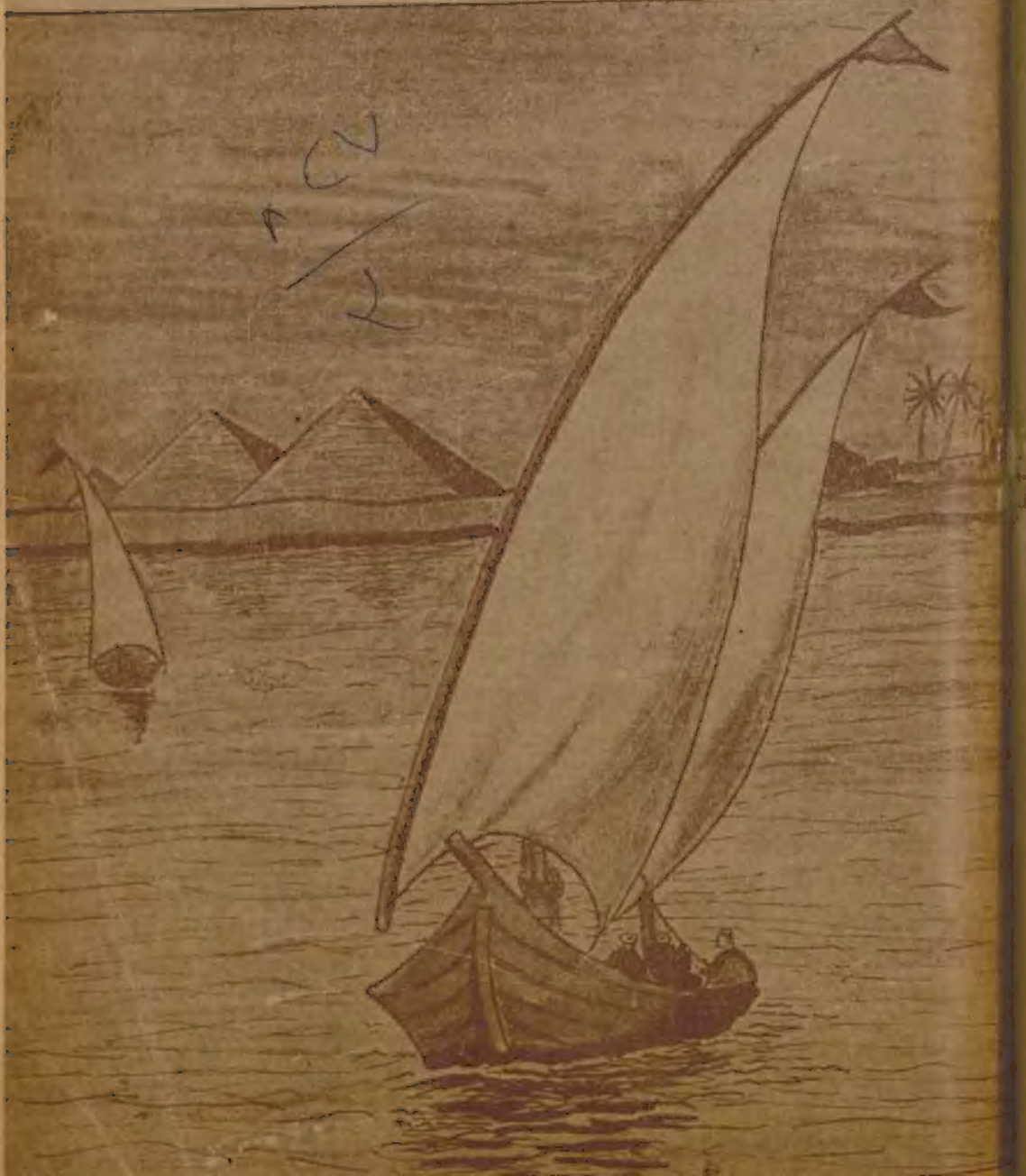


العرفه

ابريل - مايو ١٩٣٤ ص ٦٤٩
الطبعة



الإدارة الجديدة
لجـمعة المعرفة

رقم ١ شارع الهرارة

المتفرع من شارع عبد العزيز

بأنفاهرة



مصطفى عبد الرزاق



محمد فريد وجدى

فداهى القادى
نور حال البيت



أحمد الاسكندرى



عبد العزيز البشرى



علي الجارم



احمد حسن الزيات



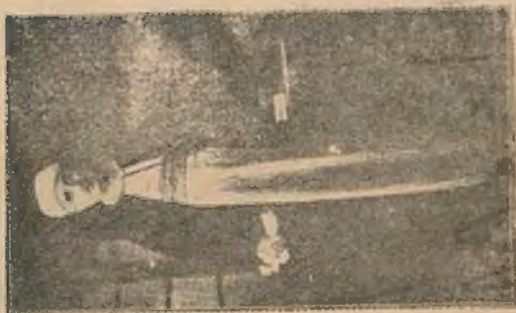
عبد الجواد رمضان



حسين شفيق المصري



كامل الكيلاني



حسن القاياتي

[بمناسبة مقال « تعريف أدباء مصر » المنشور في هذا الجزء]



محمود رمزي نظم

الجزءان : ٨٧
السنة الثالثة

المعرفة

أبريل ومايو ١٩٣٤
محرم وصفر ١٣٥٣

مجلة — شهرية — جامعة

[مقررة في وزارة المعارف العمومية]

لصاحبها ونائنها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإبراهيمي

السادس

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

الجلد

كافة صريحة

الى حضرات القراء

... وأخيراً ، وبعد عطلة دامت بضعة أشهر ، أراد الله للمعرفة أن تستأنف جهادها من جديد ، وأن تعود إلى ميدانها أكثر قوة ، وأشد دربة ، وأكثر تجربة ، وأقوى على احتمال الشدائد ، وأصمد للنضال والكفاح في سبيل الفكرة التي قامت للدفاع عنها ، والأخذ بناصرها ، تلك الفكرة هي ربط الشرق بالغرب ، وبعث الثقافة العربية ، وإحياء الروح الشرقية ، ولتر المعارف الصحيحة ، وإذاعة العلوم الفلسفية والصوفية - قديمها وحديثها - إلى جانب ما نفع به من بث أساليب التفكير الحر العامة بجميع نواحيها ، سواء أكانت في الأدب أم التاريخ ، في الفن أو الاجتماع ، في العلوم القديمة أو الحديثة ، تجريدية أو نظرية .

و « المعرفة » في هذا كله تتحرى الدقة في النشر ، والتمحيص في الاختيار ، حتى لقد جنت عليها هذه الدقة - أحياناً - مادياً وأدبياً : أما الناحية المادية فلأن صاحبها أبى أن يخاطب مواطني الجماهير دون عقولهم .

وقد كان في مقدوره ذلك وبجيده، وهو شاب لما نجتّم الثلاثين بعد، ثم هو إلى ذلك درس في معاهد مدنية بحتة، بعضها أجنبي بحت، لكنه نأى عن ذلك بقائاً وغاية ما يعمل للنشر المعارف العامة أن يجمع بين الثقافة البعيدة الغور، والثقافة العامة السهلة حتى الحد المعقول الذي يصرف الجمهور إلى بضاعة الخاصة من قادة الفكر وأعلام الرأي، وحتى لا تنير في نفوسهم ضيقاً يشغل عقولهم عن البحث النافع والتحقيق المجدى الشامل.

ولقد راحت «المعرفة» - في ظل هذه الفكرة - تقدم إلى قرائها عصارة الأذهان الجارية وخلاصة العقول المفكرة، في العلم والأدب والفلسفة والتربية والتاريخ، حتى الأفاصيل فقد استطاعت أن تخضعها للون الخاص الذي اطمأنت إليه.

ولكن «المعرفة» في الوقت الذي مهدت فيه لأول فوج من نتائج رسالتها الجامعة، كانت تلتبس بالجمهور الراقى الذي يصرف عنها بأساليب شيطانية، فلا تظفر إلا بالعدد اليسير. وهذا الجمهور نفسه هو العمود الفقري في رواج الصحف والمجلات، ومن ثم كان حرماننا منه حسارة فادحة، لو أصاب بعضها غيرنا ما وثق عن التقهقر، وما تربث في الفرار.

لكننا جاهدنا وجاهدنا، ثم كلفنا وجالدنا، بل صمدنا للجهاد حتى آخر سهم نملكه. وسنجاهد - إن شاء الله - حتى التزع الأخير من حياتنا، ولو أدى الأمر إلى بيع ما نملك من متاع أو عقار، بل ما نملك من قوت، في سبيل الفكرة التي آمنا وتؤمن بها حتى النهاية. ولعل من المستحسن أن تصالح القراء - كما وعدناهم في كل ما لعمل - بأننا كنا قد اتبينا من جمع مواد هذا العدد في ميعاده الماضي الذي كان يجب أن يصدر فيه، وهو شهر نوفمبر ١٩٣٣، ولم يكن باقياً منه إلا طبع بضع ملازم، هي أقل الأعمال زمناً وكلفة، ولكننا فوجئنا باكتشاف حرقه أثرت فينا كل التأثير.

وكان مانحن فيه لم يرض المسيئين فراحوا يستغلون ثقة بنا بهم، وذهبوا ليحصدوا من قيمة الاشتراكات، ويقبضون على موارد المجلة في غيبتنا دون أن يصلنا منها إلا القليل، في كانتهم الحسارة أفدح والمصيبة أعم وأشمل، على أن يد العدالة لم تلبث أن لحقتهم حتى أنالتهم الجزاء الأوفى، فمنهم من فصلت في أمره حكمت عليه بالسجن، ومنهم من ينتظر حكمها حتى الآن. وكذلك بحق قول الله تعالى: «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» - عالمنا هذا وفي أثناء ذلك أيضاً كانت «المعرفة» تلتبس الحياة في دفعها بعض الأحياء إلى الموت، وكانت تلتبس حقوقها لدى الناس، دون أن تخرج إلى التماس عطف أو اقتصاص عون، ولكن ذلك كان عبثاً وكان مما فرغنا من طبعه من مواضع المجلة، مقال للدكتور زكي مبارك عنوانه «حكاية أبي القاسم البغدادي» وكتب تحت هذا العنوان: [من كتاب تحت الطبع يظهر قريباً بعنوان في مئة ألفي في القرن الرابع]، وقصيدة بعنوان «هل رمت غيري زوجة؟»، أما كتاب

لنثر الفنى فقد ظهر بعد طبع المقال ، وكذلك أبلغنا أن القصيدة المذكورة نشرت في زميلتنا « الرسالة » بعد عطلتنا بقليل . ولما لم يكن في مقدورنا حذف هذين الموضوعين لارتباط كل منهما بمواضيع أخرى في مزمعنا ، فقد رأينا ألا نكتفاه عنها بالإشارة إلى ذلك . وما من شك في أن جماع هذه المشاكل ، مضافا إليها ما كنا نعالجه من مرضى شديد الوطأة لغالبه وبغالبها ، وتجاهله فيذكر لنا ، ثم نضافر القضايا الخاصة بنا ، ولم نتركها ما كان غناؤها عنها لو كنا نعلم أننا سنلقى كل هذا العنت والضيق والأعسار في سبيلها ، خصوصاً وظلنا بفصل في أمرها رغم مرور ثلاثة أعوام ونصف .

كل ذلك كان له أثره الذي شغل ذهننا ، وسبب ارتباكنا في عملنا ، حتى كان بعض المشتركين يشكو تأخر وصول الأعداد إليهم ، في حين يشكو البعض الآخر تواترنا في الرد على كتبتهم . فإلى هؤلاء ، وأولاً ، نقدم عذراً راجحاً أن يعتقدوا أن آخر شخص يلام على التقصير هو صاحب هذه المجلة الذي كان يعمل دائماً في جد وكدح ، ويكافح أحياناً صاحب فيها الليل النهار في صبر ويقين ، ولكن الظروف القاسية أغلب ، وما تريده المقادير بنفسه رغم كل حساب أو تقدير . على أننا أفدنا من ذلك درساً منيراً إن شاء الله ، فخرجنا من هذه المعركة أصلاً عوداً ، وأشد إيماناً و يقيناً ، وأكثر ثقة بالنفس ، واعتماداً على الله الذي لا رب غيره . ثم أفدنا - إلى ذلك - معرفة الصادق من غيره ، والمخلص من سواه ، فوضعت لنا الطريق ، وتجتأ أماننا السبيل .

ويعود من هذا الاستطراد الطويل ، الذي لا بد منه ، إلى ما قدامنا من خيلارة أدبية ، كانت نتيجة تدقيقنا فيما يلتزم أو بالغ عنايتنا بما نختار من بين ما يردنا من الكتب ، فإن هذه الوقفة ، بدلاً من أن تكون موضع تشجيع وتقدير ، كانت عند بعض الناصح موضع لوم وتوبيخ . بل كانت مأخذاً شديداً عليهم ، فراحوا يلصقون ضلالتنا في الخفاء كالخفافيش ، ويضطادون في الماء البكر ، ولولا حقيقة بضاء رقية ، ولبك طاهرة ، ولسان عف ، ووالله الحمد على ما أولانا من ليكنة في خبر كان ، فليعلم هؤلاء من لم يعلم ، وليفهم بالعبرة - وهي هنا صريحة - من لم يفهم بالإشارة .

واليفيق من لم يتق أننا هنا لا نحيا في زيادة أو عجز ولا كبير أو صغير ، أو تفرقة بين كاتب وكاتب ، أو شاعر وشاعر ، إلا بما يقدم من عمل ، وما تدعى العطفة أو العكس ، وحينها أيها وقف على الذات الإلهية المقدسة ، فإذا كنا قد أخطأنا فليخطئ الطبيعة من مطابع البشر . ومن ذا الذي ترضى سبحانه كمالها ليس بغيره ، ولا ربه (يستحسن من يفسر) له .

وبعد فإنا نخلص من هذا إلى تسجيل الشكر لحضرات الدين استغفر وأغنا ووالوات برساتهم ، ولحضرات المذكرين الذين تحدثوا في معاملة « المعرفة » ، فلم يضطرونا إلى مطالبهم أو تذكرهم بها عليهم .

نظامنا الجديد

وسيلمس القراء مجهودنا العلمى ونظامنا الادارى الجديدين ، فى العدد القادم إن شاء الله ، وهو ما نأخذ له العدة منذ الآن . فها نحن قد نقلنا الإدارة إلى مكان أرحب صدرأ وأكثر غرأ ، وأصلح للعمل من سابقه ، واستبدلنا بعلنا ومستخدمينا السابقين آخرين صادقين نشيطين ، وخصصنا وقتاً للبحث والمراجعة والتحرير والترجمة ، حتى نستطيع القيام بنصيب أوفر مما كنا نقدمه مضطرين .

ولكيلا نستأثر بالعمل وحدنا رأينا أن نشرك معنا قراء « المعرفة » فستفتيهم فيما يرونه صالحاً وملائماً فى خدمة الثقافة العامة ، فمن يشاء من حضرات القراء أن يكتب إلينا رأيه فى ذلك ، وفيما يرى وجوب إدخاله من تحسين أو تجديد ، بل فيما يعن له من فكرة أيا كان نوعها ، وسننظر فى هذه المقترحات التى يتفضلون علينا بها ، شاكرين لحضراتهم صادق مموثقهم ، وكرم إخلاصهم .

وننتهز هذه الفرصة لنبشر القراء الكرام أيضاً بأننا نعد العدة لإصدار مجلة أسبوعية ثقافية تجديدية تعمل على خدمة الشباب المثقف ، وتكون لسان حال للنهضة الأدبية والعلمية الحديثة .

السنة الجديدة للمجلة

وبما أن هذا الشهر - مايو سنة ١٩٣٤ - كان موعداً لصدور العدد الأول من السنة الجديدة للمجلة ، وهى السنة الرابعة ، لولا ما سبق لنا بيانه ، فقد رأينا تعديل النظام بما يأتى : -
تصدر المجلة هذا العام حتى سبتمبر سنة ١٩٣٤ ، وبهذا يكون لدى حضرات المشتركين ١٢ جزءاً فى ١٠ أعداد ، فنعوض حضراتهم ما فاتهم ، مضافاً إليه جزءان ، إذ المعروف أن المجلة تصدر عشر مرات فى السنة . وأضفنا إلى ذلك - رغم ما فى ذلك من تضحية تتحملها منفردين - تعويض المشتركين عن جميع الأشهر التى احتجبت فيها المجلة ، فلا نحاسبهم عليها .
فالذين يبدأ اشتراكهم من شهر مايو فى عام ١٩٣٣ ينتهى فى سبتمبر سنة ١٩٣٤ بدلاً من إبريل سنة ١٩٣٤ ، وتقاس على ذلك بقية المدد الأخرى . ثم نبدأ من أكتوبر ١٩٣٤ عملنا فى السنة الرابعة للمجلة إن شاء الله ، فنستمر حتى يوليو سنة ١٩٣٥ ، وتحتجب المجلة شهرين هما (أغسطس وسبتمبر) من كل عام ، وعلى هذا النمط يسير العمل بإذن الله .

وبعد ، فهذا ما رأينا ضرورة شرحه وتبينه ، وواجب إيقاف القراء عليه ومعرفة ، لأن صاحب « المعرفة » يعتبرهم جميعاً مساهمين معه فى العمل ، والله على ما نقول شهيد ووكيل .

عبد العزيز السمرمولى

الاتجاهات الحديثة

للفلسفة الروحية

من أغرب ظواهر هذا العصر ، ما نراه من انصراف علماء أوروبا وأمريكا إلى المباحث الروحية بجميع فروعها انصرافاً آخذاً بمجامع قلوبهم ، مالمكان عليهم مسارب أحاسيسهم ؛ وهذه الظاهرة تدلنا - سواء أكانت خالصة للعلم أم غير خالصة - على أن ما أصاب العالم من أزمات نفسية واقتصادية كان له شأنه البالغ في هذا الاتجاه الجديد .

فها نحن أولاء نرى أمثال : فلاوريون ، ودورويل ، وتكنسون وغيرهم من خول العلماء يعملون ليل نهار ، وفي تقدم مستمر ، على النهج بهذه العلوم نهجاً علمياً حديثاً يقوم على قواعد ثابتة مقررّة ، بل لا يكتفون بما يبدلون من جهود فردية ، وإنما يؤلفون الجماعات ويعقدون المؤتمرات يتولمعضها بمعضأ في سبيل تحقيق الغاية التي تهيم على عقولهم ، وهي البحث عن حقيقة « الإنسان الكامل » « أو « السوبرمان Superman » ؛ الذي يقول عنه الأستاذ الكبير (دريش Drisch) الرئيس الفخري لمؤتمر العلوم النفسية المنعقد في عاصمة اليونان عام ١٩٣٠ ما نصه :

« إن على المنقطعين لدراسة علوم ما وراء الظاهرات الروحية ، واجبات في أعناقهم تأديتها لمعاداة البشرية ، وأهم هذه الواجبات - في نظري - أن يوجهوا قواهم لدراسة وتحقيق نظريتهم ، بل يجب على جميع المشتغلين بسائر العلوم ، أن يعنوا بدراسة هذا البحث دراسة تمكنهم من الوقوف على العلاقة الوثيقة لعلومهم بهذا البحث الجليل ، الذي له أكبر الصلة بمعاداة الإنسانية عامة » .

فهذه النظرية التي يقوم علماء أوروبا وأمريكا الآن ببحثها وتحصيلها ، ويعنون بتتبها وتتبها ماشابهها من بحوث ومعارف ، تجعلنا نفتبط كل الاعتباط ، لأن في العناية بها اتجاهاً إلى الشرق بمبع الحكمة والنور ، والنمأساً لهدايته ووحيه ، وهو مستقرهما منذ الأزل .

على أن هذه الظاهرة إذا سرتنا حقيقة ، فإنها في الوقت نفسه تثير في نفوسنا شيئاً من الألم ، لتهاوننا - ونحن الأصل - فيما هو بشأننا أدخل وبصلاتنا أعلق ؛ لكن يعزينا عن ذلك أن كنا السابقين .

فهذه « السوبرمان » على حد التمييز الانجليزي ، والتي يزعم تلاميذ « نيتشه » أنه أول من حققها ونشر استعمالها ، إنما هي مأخوذة من الفلسفة الهندية القديمة ، وبخاصة من نظرية « النيرفانا » .

ومن قبله أيضاً استعملها ابن العربي (المتوفى عام ٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م) وعبدالكريم الجيلي (المتوفى عام ٨٢٦ هـ ١٤٢٣ م) في كتابه «الإلهام الكامل في معرفة الأوهر والأوئل» وهو عمدة المتصوفين وإمام الباحثين والسالكين؛ لأنه لب الحقيقة وناموس الطريقة في اصطلاحاتهم لكن الجيلي يرى في الإلهام السكاس رأياً معتقداً أصبح وأسد من رنى يشته وذلك لما يأتى يرى نيشته في طريقه الوصول إلى تحقيق غايته، ضرورة هدم جمع النظم والعادات. والأخلاق والآداب الموجودة، ليبنى على أنقاضها نظماً وفواعل أخرى جديدة يأخذ بسوكها قسماً من دوى المواهب الخاصة حتى يصلوا إلى درجة السوبرمان، ومن ثم تتفتح لهم فرصة أخذ نبيه بشربها وقيادتهم بواسطتها إلى ما يتخيله من سعادة وحير.

وكان نقاد العصر الحديث - وعلى رأسهم برناردشو - رأوا أن الطريق التي رسمها تصورهما نيشته عقيمة غير محققة. لأنها في نظريهم - كل لا يجزئ. ولأنها وقفت على الإنسان المنتظر. ابن الحين القادم، الذي يخرج من ظهر الجيل الحاضر.

وكذلك يأتى التيوصوفيون - وعلى رأسهم «آ في بيرانت» - أن يتركوا هذه الفرصة تقلت من أيديهم دون أن يدلوا بدلوهم في الدلاء رغمهم بضمون شروطاً للحصول هذا السكاس الإلهامى الذى يروونه لازمة من أكبر لوازم الحياة؛ والذي لا يتحقق بغير تفرغ من الأرواح بكاره. وعلاوا معتقدهم ذلك «بأن الحياة والوجدان والكون ليست إلا مظاهر أو تجليات من مظاهر الله وتجلياته؛ وهو واجب الوجود لذاته لا يدرك الإنسان كنهه. وهو أرى. أن السكون فزائل يبقى ملايين من السنين ثم يزول؛ ومن ثم يعود الخالق إلى الظهور - كما كان كاملاً ظاهراً معاً - فيخلق كوناً آخر، وهكذا يتحدد الخلق والزوال؛ ويصدر من دون عنه بواسطة اتحاد الهوى بالجواهر، وبعبارة أخرى باندماج الملب بالإنجاب، وليس بغير منفصلان عن بعضهما البعض؛ بل لأنهما مبتدران افتراق كل من القطبين الإيجابي والسلبى عن بعضهما في المغناطيس، حال أنهما موجودان في كل ذرة من دراته».... و«... تسكون مادة حياة الإنسان في هذه الدنيا متصلة بالطبيعة الأرضية فيه، وذلك بواسطة العقل الذى هو قسبان؛ قسم عال، وآخر عادى؛ فالعالى أو العلوى يعمد إلى أعلى؛ والعادى أو السفلى يسب الأسفل أى يطلب الحياة؛ وذلك لأنه متمرج بالمواطن».

و«عند الموت تطلب الروح والنفس والعقل الاتصال بالطبيعة الدنيا للإنسان؛ في حين يعود العقل السفلى إلى مصدره - وهو العقل العلوى - يحمل معه مآلهم مدة حلول النفس في الجسم. وتظل هذا الثلاث الروح والنفس والعقل - مطمئة إلى ما تقاده العقل من الخبرة في حال الوجدان مريحة مستقلة عن الجسم الدنيوى وعن كل ما يقص به من حدود ووضاوعه. أن مختلفة. وهذه حال تظل وفقاً لدرجة الارتقاء التي يبلغها الإنسان أثناء مقامه في الأرض. ثم تنهى برجع هذا الوجدان إلى الجسم، أى بقمعه أو حوله في جسم ثان وهكذا» (١).

نما الجبلى وابن العربي . وبعبارة شمر . هما الصوفيون فيرون أن الطريق إلى تحقيق الكمال تكون بالتخلص من الشهوات الدنية ، وإسكار الذات الإنسانية . والتخلص من الغلف الجسدانية بالخص من شأن الجسد ، والعمل على التحقق بأداب خاصة وسبوك خاص . في تركية النفس وتطهير الباطن . وعندئذ ين الإنسان لا يصل إلى الكمال إلا بعمرة الحق سبحانه وتعالى ، والعمل على استكناه حقائق السكون . وفهم أسرار الوجود . والرهق في ألوان الحياة . والكمال درجات . تستمر كل منها مرتب خاصة لبلوغها . وقد شرحها العلامة المشيرى في رسالته . وهى طويلة ، فليرجع إليها من شاء .

والذى يهمنا هنا أن ثبت أن الجبلى أول من تكلم في هذه النظرية بعد ابن عربى . وتول من عرف بوقف نفسه عليها . ويعتبر كتابه « الإنسان الكامل » حجة في هذا الموضوع ، وإن كان الشراح يجمعين على أن المقصود بالإنسان الكامل عند الجبلى هو سيد البشرية على الإطلاق « محمد بن عبدالله » . وهذا حق لا مرية فيه .

والإنسان الكامل في نظر أبي ريد البسطامى (المتوفى عام ٨٥٨ هـ - ٩٥٤ م) هو « من عمرته صفات الله ، وأصبح غير واع لها . أى دخل في حالة الفناء » ، وهى في النهاية عنده درجة لا تحقق إلا للأنبياء والأولياء ومن في حكمهم . والكلام في هذه النقطة دقيق جداً ، ويحتاج إلى شيء من الإسهاب والتشرح كثير ، فلمعلمنا وفق للكتابة عنها بعد .

وقبل أن نختتم كتابنا المعلى نعطي القارىء فكرة « الجبلى » من الآيات الآتية ، وهى من تصديده العينية النادرة الوجود . وقد عثر عليها المستشرق العظيم الأستاذ نيكسون في نسخة من مخطوط البريطانى ، فأودعها كتابه (١) « دراسات في التصوف الإسلامى » :

حقائق ذات في مراتب حقه تسمى باسم الخلق والحق واسع
وفى فيه من روحى نفخت كفاية هل الروح إلا عينه يا منازع
فيا أحدى الذات فى عين كثرة وبأ واحد الأشياء ذاتك شائع
تجليت فى الأشياء حين خلقها فما هى مبطت عنك فيها الرافع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ولم تكن موصولا ولا فصل فاطع

والخلاصة : هل يقدر لهذا الصراع القائم الآن بين علماء أوربا ومؤريكان يستمروا يشند حربه تدوا إلى الحقيقة المطمورة فى أرض الشرق وكنزوه ؟ ذلك ما سيكشف لنا القدر عنده . ووثقت تخفق راية السلام حقاً ، ويتحقق دستور المحبة والإخاء والمساواة .

تعريف أدباء مصر

الى الاقطار العربية

بقلم الأستاذ محمد الهرأوى

نشرنا في العدد الفائت من « المعرفة » ذلك الحديث الذي عقدته رصيفتنا مجلة « العاصفة »
بيروت في عدد ١٣ اغسطس سنة ١٩٣٣ . مع صديقنا الأستاذ الهرأوى أثناء رحلته في الاقطار
الشرقية . وكانت قد وجهت فيه شيئاً من العتاب إلى مصر لتجاهلها شعراء الافطار الشقية
وأدباءها . فوعدنا قراءنا الكرام بنشر الخطاب الذي بعث به إليها الأستاذ الهرأوى ويرد فيه
آثر اللوم والعتاب ، ويقوم بتعريف بعض أدبائنا إليهم . ونحن وفاء بهذا الوعد ثبت هذا
الذي نشرته رصيفتنا العاصفة الغراء في عدد ٢٠ اغسطس سنة ١٩٣٣ .
على أنه بدا لصديقنا الهرأوى الآن أن يحرى فيه بعض تعديلات يسيرة بالحذف والزيادة .
استدراكا لما فاتته وهو يكتب مقاله الأول بين عجلة الردوين وفود الزائرین . ومصححاً لبعض
الترتيب والأغلاط التي وقعت أثناء الطبع هناك .

قال الأستاذ الهرأوى :

أخي صاحب « العاصفة » : أرجو أن تسحوا لي بمجالاً صغيراً للحجم . ولكنه كبير المعنى .
في جريدتكم الغراء ، لكي أثبت شكري بقلبي وقلبي ولساني إلى آل لبنان ، على اختلاف درجاتهم
وطبقاتهم . على ما يلقاه المصري في بلادكم من أنواع اللطف والخفاوة في اللقاء والمعاملة .
فقد قدرت ذلك قبل سفرى خيالاً ، ولكى وجدته دون الحقيقة بمراحل . وليس الخبر كالمعين .
فمنذ قدمت إلى هذه الربوع ، وأنا وأسرتى موضع العناية ابتداءً من خدمة الفندق « بيروت
بلاس » وأصحابه وغيرهم ، إلى رجال الصحافة الغراء : يومية وأسبوعية ، إلى رجال الأدب والشعر .
إلى الأعيان ، إلى رجال الحكومة .

وبعد هذا الشكر القلبي لجميع من ذكرت على هذه الخفاوة بأبناء مصر وأدبائها وشعرائها ،
أرجو أن تعتبرونى مؤيداً لكم في التنفى بهذه الخفاوة في جريدتكم الغراء ، ولكمها الاثباتكم
في تأثركم من جانب إخوانكم المصريين الذين فهمتم عنهم خطأ أنهم لا يقدرون أدباءكم تقدر
أدباء مصر من جانبكم .

فع استئذاسكم استحو الى أن احتج عليكم بلطف على هذه المأخذة التي بنيتوها على ضعف ذاكرتي في حفظ الاسماء .

فأدب خواني بمصر - وكلهم يتنمون بأشعار رجالكم - إذا قصرت أنا في الحفظ؟ على نفي في الواقع غير مقصر، ولكن آستكم تستدرجونى للحكم على شعرائكم ودبائكم وتورطونى فى خروج عن مبدئى وعقيدتى فى المفاضلة بين شعراء البلد الواحد . فضلا عن شعراء الأقطار الحقيقية . وقد ثبتم شيئاً من رأيى هذا فى حديثكم الذى كتبتموه بذكاء عجيب . ولباقة قوية وهذا موضع إعجابى بكم . على أنكم يأستاذى الفاضل قد وقعتم فى مثل ورطتى حين سألتكم عن بعض أدبائنا فلم تذكرهم، وليس هذا بعيب فى ولا فيكم، ولكنه تقصير عام آت من أنه ليس هناك سفارات أدبية بين هذه البلاد العربية، ولا مجلة مخصصة فى كل قطر لأفلام الأدباء والشعراء . ومن الأقطار الأخرى، وذلك هو ما قلته لكم . والآن آتم حديثى معكم فأبدأ بالتعريف عن بعض أدبائنا وشعرائنا . وأقول البعض احتياطاً لذاكرتى الضعيفة . وقبل هذا التعريف أذكر أن هؤلاء الأدباء الأربعة الذين سألتونى عنهم وقدتكم على البداية بما ذكرتموه حسنة على الجملة . هؤلاء الأدباء وغيرهم ممن أحدثكم عنهم فى هذه المحالة هم موضع غر مصر والشرق ولا يقنون مرتبة عن كبار أدباء الغرب لافى التفكير ولا فى الأسلوب من ناحية الأدب العربى أذكر لكم من كبار أدباء مصر الآن ما يردنى عفو الخاطر بلا ترتيب ولا تعقيب :

الأستاذ السيد عبد العزيز البشرى . ذلك الكاتب والعالم العظيم الذى يمثل بكتابته وقلمه روح الأدب المصرى فى ظرفه ولباقته وتوفر النكتة الخفيفة الظريفة . وله كتاب « المرأة » وهو عذوبة العصر فى تحليل الشخصيات التى كتب عنها . وله مقالات رشيقة فى الصحف السيارة . كما له أدب جدى فى المؤلفات العربية المقررة بالمدارس المصرية .

والأستاذ السيد مصطفى عبد الرازق . الكاتب المفكر الذى يعنى بما يقول بأرق عبارة ومبنى أسلوب وصحة ، وله غرام بالفلسفة الاسلامية قديمها وحديثها ، وحب بدرس الادب وشعر ، كما له نمذ هى محل الاكبار والإعجاب . تبين - على اختصارها فى القول - أبعد معنى يقال .

وشقيقه الأستاذ الفاضل السيد على عبد الرازق الذى يحول قلمه فى نواحي العلم والأدب ولاصلاح الدينى والاجتماعى . وهو صريح الرأى يبتنه عن عقيدة مدروسة ، وأسوبه الكتابى من يحذى لمن أراد نموذج الأدب الصحيح الصميم .

والأستاذ السندرى المدرس بدار العلوم : عالم لغوى ، وأديب ذير ، واسع الاطلاع على الأدب العربى . وتمثل كتابته أسلوب كتاب العرب أمثال الجاحظ وابن خلدون . وهو ركن من أركان النهضة اللغوية الأدبية .

وأحونا الأديب الكبير الدكتور ركن مبارك الذي أدرج بقمه لرشيق لعالي أسوب نقد الحديث في الأدب العربي، وله جولات موفقة في تحليل المؤلفات والمقالات للأدباء والشعر، والكتب، ولا يبالي أن يخالف رأيه سواء من المتقدمين مادام غرضه صلاح نظرية النقد في النظر عن حرية الرأي.

والأستاذ السيد عبد الله عفيفي الكاتب والشاعر العظيم، وهو مغرم ببحوثه في الشعر المصري المدفون واستحرجه لتعريف الأدباء عن ماهيته وجوهره وثقت النظر إليه، وهي من كسدي عليها أجل الشكر.

والكاتب المفكر سلامة موسى، وهو من ناحيته مبال إلى الأخذ من الغرب بلا تحفظ، ودين رأيه وهو محترم له، وإن لم يوافق عليه الآخرون، عميق التفكير مختصر الأسلوب. وهناك كتاب سياسيون وحزبيون لا أدخلهم في هذا الباب، لأننا في صدد الأدب العربي، منهم الأستاذ عبدالقادر حمزة، والأستاذ عباس الحبل، والأستاذ عبد الله عنان، وغيرهم من عمدوا إلى الأدب وحده لكانوا أئمة يفسح على منوالهم.

وأذكر لكم أيضاً من رجال الشعر والأدب واللغة الأسماء الآتية:

الأستاذ أحمد الزين وهو من رجال العلم والأدب، موظف في دار الكتب المصرية، يوم مراجعة أكبر الموسوعات الأدبية، وهو عالم لعرب وشاعر عظيم، وله قصائد في كل باب، وتقدر بالحفظ والرواية عن الأقدمين والحديثين، وهو مرعف في سماع الشعر، حسن التفتي به في إسنده، والأستاذ محمد الأسمر وهو شاعر شاب، وشعره كبير من عمره، وله طرف تشر من أن في «الأهرام» كما بدا له أن ينظم في فكرة تعرض له أو موضوع يرى مناسبتها، وهو من اللفظ حسن التفكير طريف الموضوعات.

والأستاذ حسين شفيق المصري، وهو كاتب وشاعر فحل، بفيض الله على قلبه ما شاء أن يكتبه، في الشعر والنثر والمواويل والأزجال والفكاهة والجد والسياسة والنقد، وهو يقوم بتحرير عدد عظيم من الجرائد والجمالات الأسبوعية. وله «مذكرات فضولي» في محلة كل شيء وطرف وحسن يذيلها بأبيات قليلة النظم، كبيرة المعنى، تعد من الحكيم التي تحفظ والتي تحل على الرمن والأستاذ علي الجارم مفتش اللغة العربية في وزارة المعارف، وهو شاعر من الدرجة الأولى في حسن الديباجة العربية السليمة وهو أشبه الشعر، بالبحر، وله قصائد مأثورة حده.

هي محل إعجاب الكثيرين من شعراء الأقطار العربية. والأستاذ السيد حسن القاياتي، وهو شاعر جليل سليم الأسلوب حسن الديباجة إلى أقصى حد، رقيق الشعور، واسع الاطلاع على الأدب العربي، ويرجع إليه إخوانه الأدباء والشعراء.

في لنوف والاستفتاء، وله مقبوعات عالية، ويكتب الآن تحت عنوان « العثرات » إقداً
مأخذه على الكتاب والشعراء من المأخذ اللغوية والأدبية، وبيته منتدى لأهل المصل
والأدب، وهو من أسرة عريقة بيتها مفتوح لأصحاب الحاجات...

والدكتور أبو شادي وهو طبيب، ويقول الشعر على مذهب خاص، وله جرائد « ملكة
نجل » و« الدحاج » و« أبو لول ». وله مؤلفات أدبية وروايات شعرية وكتب طبية، وهو نشيط
ومكر ويعمل بمجهود عظيم في إنشاء جمعيات للشعر وأندية للأدب.

والأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة. وهو صاحب أدب ممتع. وقلم فياض. سليم
الأسلوب، رفيق التعبير. وكان مدرساً للغة العربية في الجامعة الأمريكية ثم درس في فرنسا
واحتير استاذاً للجامعة العراقية، وهو وديع الخلق، على الأدباء: أدب النفس وأدب القلم.
والأستاذ أحمد أمين. أستاذ الجامعة المصرية، وهو رئيس لجنة التأليف والترجمة التي تخرج
أثر أنفس المؤلفات المصرية العربية، وله كتاب « فجر الاسلام » و« ضحى الاسلام » اللذان هما
لأن محل إعجاب رجال العلم والتاريخ، ويكتب مقالات في الرسالة ذات قيمة في الفكر، والأدب.
والأستاذ كامل الكيلاني، وهو شاب ذكي ونشيط، له حركة مباركة في إنشاء مشروع ربط الأدب
لغري، وله مؤلفات قيمة في الأطفال وجملة مؤلفات أخرى ! وأظنه معروفاً عندكم في لبنان
بسياحته الأخيرة التي قطوع فيها لخدمة الحركة الأدبية بماله الخاص.

والأستاذ فريد وحدي وهو كاتب عظيم ألف وحده دائرة معارف القرن العشرين، وله جرائد
سيرة ومؤلفات ذات قيمة علمية وتاريخية، وله بحوث رائعة في الدين والأدب والاجتماع وهو
موسع استفادة الكثيرين في اللغة والعلم والدين والأدب.

والأستاذ محمد مسعود العالم العظيم والكاتب القدير. والباحث اللغوي والتاريخي. المترجم
... والأدب الواسع لاطلاع له. « تقويم مسعود » منذ كان المحرر الأول في « المؤيد »، وله كتب
مروية. إهياص، أو من ترجمته الدقيقة، كما له جولات حديثة في الصحف عن الفلك والآثار وغيرها.
والأستاذ أحمد محرم شاعر كبير عرني الأسلوب. سامي الديباجة. حماسي الشموخ. له ماض
مجد في حركة الأدب والسياسة. ويقم في مسقط رأسه دمههور. وهو في الصف الأول
من شعراء مصر.

والأستاذ أحمد الكاشف: وهو يقول الشعر بفطرته. فياخذ القلم واليد في الديباجة، وهو من شعراء
الدرجة الأولى. ثم هو وديع الأخلاق: ويعمل في زراعة طليانه « بالقرشية ». وهو بين القلم والقلم
من رجال الصناعاتيين...
والأستاذ مصطفى صادق الرافعي، وهو عرني صميم ذو ديباجة فياضة بالأساليب الممتارة
في الأدب وعليها ضابغة. وله مؤلفات قيمة جداً منها « إعجاز القرآن » الذي طبع على « نقة جلالة

مولانا الملك قواد، وله مؤلفات، السحاب الأحمر « وحديث القمر » و« المساكين » و« نعت راية القرآن »، وهو ذكي وقاد الدهن غيور على الدين، من بيت علم قديم، وهو وإن كان ضالاً من الشام، ولكنه ولد في مصر فاحتضنته فهو منها ولها .

والاستاذ أحمد رامي : هو حريج المعين العليا وتعلم فن المكتبات في أوروبا، وله شعرية في الطرافة وحسن الأسلوب والبيان في اللفظ والمعنى، وأخرج ديوانين من الأدب الحديث، وله أغنية كثيرة للأتمة « ثم كانوا » تتردد بين اللغة العربية والرجل العامي .

والاستاذ أحمد نسيم . وهو شاعر غزل له ماض مجيد في الحركة الأدبية والسياسية من عهد الحزب الوطني المصري أيام المرحومين مصطفى كامل ومحمد فريد، وهو الآن يقوم في دار ككتب باصلاح ما تخرج من دواوين الشعراء مثل مهييار ونايفة بنى شيان وغيرهم .

والاستاذ عبد الباقي إبراهيم حريج دار العلوم ومدرس في المعلمين، يقول الشعر، نسيم غا خطر له خاطر فيه، وهو ينظم لنفسه . ولا ينشر شعره إلا قليلاً .

والاستاذ عبد الجواد رمضان خريج الأزهر الشريف ومدرس اللغة العربية في مدرس الأوقاف الملكية، ينظم الشعر الجيد جداً ويزهّد في نشره إلا القليل منه، وهو محبوب من جونه لصفاء نفسه وجراته في الحق وقوته في اللغة والأدب .

والاستاذ علي محمود طه . وهو شاب يشتغل مهندساً ولكنه مغرم بالشعر ينظمه على أحسن ما يكون، وله وقفات فيه حطت به إلى الأمام بسرعة فهو في مصر من الشعراء المعدودين .

والاستاذ الماحي رئيس السكرتارية بالأوقاف . شاعر عربي الأسلوب، حسن الديباجة ينظم على طبيعة نفسه، وهو وديع الخلق صافي النفس خادم لأخوانه محبوب منهم .

وسنوال التعريف بباقي أدباء وكذلك أدبيات مصر وكاتباتها وشاعراتها، ومن ثم الأقطار شقيقة.

المرأى

رءاء

رجو حضرات الأدباء والأدبيات الذين لم يبعثوا إلينا بصورهم أن يتفصلوا بإرسالها كي يتيسر لنا نشرها في الأعداد القادمة .

استراك

نشرنا خطأ بصحيفة ٦٤٠ بمناسبة ديوان المرحوم إسماعيل باشا صبرى، أن القائمه بحسنه وضعه الآن . هو الاستاذ المستشار « محمد بك عزت »، والصواب أنه هو حضرة الاستاذ حسن بك رفعت المستشار بمحكمة الاستئناف وصهر المرحوم صبرى باشا . وكذلك نشرنا في « نورس ضمن المواضع » آنى بيزانت ومذهب الثيوصوفية الحديثة « ولكننا عدلنا عنه بعد صبح . نص النسخ لضيق المجال، وكتبنا بدلاً عنه في اللحظة الأخيرة « الاتجاهات الحديثة للفلسفة الروحية

الاستاذ الأكبر أرنت هيكل

بقلم الاستاذ محمد إسعاف النشاشيبي بك

ذكرت في المقالة ذات هذه العناوين: «وحدة الوجود والاعتقاد بالخالق، خلاف بين هيكل وودج، بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى» في الجزء الأول من السنة الثالثة (للمعرفة) — مرتبة في الاستاذ الأكبر أرنت هيكل (رحمه الله)، كان الوجد به (لأعليه) قد أملاه على بوم نعام ناعم، وفيها إشارات موجزة إلى بعض (مقالاته).

وقد رأيت أن أقعدها في بهو (المعرفة) في زاوية مع مقال العالم الباحث الشهير الاستاذ محمد فريد وجدى (والعظيم والملك، يزاحمها في (بيوت الله) من دونها. وقد قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ».

وإن الذي ضاعف تحبيب الاستاذ الأكبر، والإمام الأعظم (أرنت هيكل) إلينا — رؤيته خصومه (بابا) الملاحدة — أنه كان يبجل في (كتبه) عظيم هذه الدنيا. ومعنى هذا الكون. عجيبة الدهر سيدنا وزعيمنا «محمد بن عبد الله»، وأقرأ (الفصل الخامس عشر) من كتابه (أحاجي الكون) أو سرار الوجود كما راد الاستاذ (وجدى) أن يسميه بعبودية. وأقرأ رحلة (الإمام) إلى الهند، وسواها من آثاره. تعرف تحيله.

وإنه لو قام ذو همة، ونقل أو ترجم (ولاتقل عرب) أقوال الأستاذ الأكبر. في هذه «عمر نية» التي يدعو في المشرق إليها المصونون المتسمون (بالمبشرين) «لنعمهم الله بكفرهم» أو بن أعمالهم» — فإنه لو قام ذو أهمية هذى. بذلك (وللتترجمة رجال) لأضرب الناس خير ضربة، وكان عمله من «كبر ما يتزلف به إلى الله، وكتابه، ورسوله، وإلى العلم».

وخذ الآن ما وعدناك به في مستقبل هذا القول:

حملت إليها حوائب الأنبياء نبي الأستاذ الأكبر (أرنت هيكل) عالم (الكرة الأرضية) لغير الوقت و«كل من عليها فان ويدي وجه ربك ذو الجلال والإكرام» خزعا. ونسبا من الخراف. ثم هون الواحد أن (الإمام) قد بلغ أكلأ العمر. وأنه لم يتبدل صورته. وما لموت إلا صورة تتبدل — حتى ضاء في العلم كل طريق حالك. فرشد. واهتدى الصالح. فإن الأستاذ لم يمت منذ سبعين سنة يثبت الحقيقة في كل مكان. وعمرها في كل حين، ويهيب بالناس إليها، ويحوشهم عليها. ويضارع خصيمها الباطل، ويصرع نصرائه، وجل القوم أوكلهم «إلا من رحم ربك» نصرأوه. ولم يبت لهوله دماؤهم، وبك ليخشي صولة الصائل، وسلطان ذي السلطان.

ولما جاء الأقاليم الجرمانية هذا القول الدرويني ، وفرت عليه ساؤها المقت والمبرزة -
أكرم الأستاذ مثواه . وأثنى فضائله وخصائصه في الجمهور ، وكسح في تهذيبه وتبجيحه .
وقد كان يطلبه وهو غلام لم يبيع ، ويستهدى أستاذه (جان مائر) فيه . فلم يأتلق هذا
الضياء في الأصقاع الانكليزية لانبليج في الأمصار الجرمانية ، وكان الأستاذ صاحب المنطق
الدروينية . هما (دروين) أو (سبنسر) بأفقه من الأستاذ ولا صارحته الطمينة بأمر كانت
إياه . ولقد استقرى من دقائق العلم ما لم يستقرياه . واكتنه ما لم يكتنياه .

ولولا الأستاذ لم يصير مذهب الفشوة إلى الذي صار إليه . ولم تزل ريب ، ولا دحست
شبهات . ولا وضحت مشكلات ، ولا كشف حجج (ريمند) الموهوبة في معضلات الوجود كاشف .
فالأستاذ هو الذي خلص ما التبس ، وأدار ما ظلم . وعلمنا ما لم نكن نعلم « تلوا : سحاح .
لاعلم اننا إلا ما علمتنا : إنك أنت العليم الحكيم . »

والأستاذ هو الذي قال وبين أن النفس الانسانية هي وليدة النفس الحيوانية . نفس
(الحيوانات الآن) فإنها طلعت من هنالك ولم تبرح تتعالى حتى انتهت إلى حيث لتبس .
فليست النفس ، وليس صاحبها بفريقين متضادين : هذا حالد ، وذاك بائد . وإنما هما نبي
واحد . وما النفس إلا حادث طبيعي . وإنه لم تستأثر بها (الانسانية) وتغرى منها الحيوانات
المرتبقة (ولكن قد أخذ كل قسطه . والاقساط تختلف) ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليأخذ بعضهم بعضاً سخرياً . »

والأستاذ هو صاحب القول بالوحدة . وصاحب تحملتها التي شادها على ثلاث نواصي .
(الفضيلة ، والحقيقة ، والجمال) واتخذ الكون كله أجمع معبداً « والله المشرق والمغرب ربهم
تولوا فتم وجه الله » .

وهذه (النحلة) وصلة بين العلم والدين . تطمئن فيها نفوس المتحررين . فلا يتهمون في
الذي قد ذهب .

والأستاذ هو رب كل مبتدع ، ورب كل قول في العلم بليغ باهر . زراى متين سديد سحر .
وإنا إذا فعدنا نذكر محامده ومناقبه « وهـ عبيد الحصى » : جاء الصمغ « وشاح المجر » .
وإن « همه القول لتخفف عن بلوع أدنى فضائله ومعاليه ، وجهه الوصف يقصر عن تسير
فواصله ومساغيه » كما قال (النعالي) في (الصاحب) .

هذا ماسطرناه أيام الشباب ، وحين لمي (الأستاذ) ناعيه وتبدات تلك الصورة .
« ثم انقصت تلك المنون وأعلمها فكأنها وكأنهم أحلام »

محمد إسماعيل النشاشيبي

[بيت المقدس]

رجل الغد

موضوع اعاضرة اتي ألقها المربية الفاضلة الآنسة زينب الحكيم
في نادي أصدقاء الكتاب المقدس بالعجالة

ساذنى. سيداتى :

بدكرنى هذا الموقف بالوقت الذى نشأ فيه المرحوم بطرس غالى باشا . الجمعية الخيرية
تسمى « فى سنة ١٨٨١ . حيث كان من بين الخطباء - يوم افتتاحها - الأستاذ الشيخ محمد عبده ،
والشيخ محمد النجار ، وعبد الله نديم وغيرهم .

ولو أن الموقف الالى . ليس موقف إنشاء بناء جديد ، إلا أنه افتتاح عهد جديد لعراة
مبضية المسمة ، تصافح فيه علناً المرأة القبطية المسيحية فى دارها هذه لأول مرة منذ
نشأها . كما سبق أن صافح الرجل المسلم أخاه القبطى فى عهد المرحوم بطرس غالى باشا من
نحو ٥٤ سنة .

والواقع أنها السادة أنه لا يمكن أى فرد مهما بلغت به قوة الحيلة ، أن ينجح فى التفريق بين
سبحى وسلم خارج مصر أو داخلها ، لأن أهل مصر رجال حزمة ، وساء خصيفات « لا . خار »
تتهوى نفوسهم الصغار أو توهن عزائمهم الشدائد . ولقد كان للمرحوم سعد باشا . والمثلث
رحمت البطريرارك السابق . الفصل فى القضاء على ما تسعى إليه عناصر كثيرة للتفريق بين
مصريين المتحدين اللذين يؤلفان الأمة المصرية ولا يزالان متحدين مع ما يبذل من السعاليات
تفريق بينهما . والآن أيها السادة والسيدات : نتحدث بى حصراتكم عن رجل الغد ومن هو
رجل الغد ؟ هو طفل اليوم وفتى اليوم وشيخ اليوم .

ولست أعنى ذلك الذى لم يتجاوز النامنة أو لتاسعة خضب ، إنما أعنى الطفل كما يعبر عنه
العلماء . فإن لفظة الطفل تنلق على الفرد حتى سن العشرين . ولا يخالف ، بالغة إذا قلت إن
نصيب الانسان بالطفل مدى حياته يكون أقرب إلى حقيقة نصيبه منها ، فليس لفظاً : الشيخ
وهرم ضدى لفظى الطفل والشاب . فلقد يكون الفرد فى عامه الخامس أو أدنى . وعقليته عقلية
رجل . ولا بد قد علمتم حضراتكم أن أصغر فارس فرئسى عمره خمس سنوات ، وأن رجلاً
عمره خمس سنوات فى أمريكا ألف كتاباً ، ولقد يكون الشاب الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة أو
مى لم يتم عقده الثالث فى كيماسة الرجل المحرب والشيخ المحنث .

ومصطفى كمال الذى نهض بتركيا . بعد أن أذن على جنازتها مؤذن الموت . وكاد كما ترون

وتسمعون عن إصلاحه فيها وإنشائه لها من جديد - أصغر المجددين سناً الآن . ويوتن صاحب نظرية الجاذبية كان أصغر فتى في العالم أجمع حاز مثل مركزه ! فقد عين مستاداً للرياضيات في جامعة كمبردج ولم يتجاوز الثانية والعشرين . وها هو ذا مصطفى كامل الذي عمل لوطنه في آخره الأخير من حياته ما لم تعمله أجيال بأسرها في عديد الأعوام . قد مات وعمره ٤٣ سنة فقد كان اسكندر المقدوني الذي فتح الفتوحات وطبقت شهرته الآفاق مات وهو ابن ثلاثين سنة . هذا وقد يكون رجل الأربعين في عقلية اليافع ، وقد يكون الهرم الذي كل على الدهر وشرب أبه غراً ، ولا تساوى عقليته عقلية دجاجة أو سمكة ولا أقول طفلاً . إن الطقولة في شؤون الحياة غير طقولة السن وإن تكن هذه مرتبطة بتلك غالباً . حيث أثبت لما عم الناس قديماً وحديثاً ضرورة ملازمة نشاط الإنسان وجميع ما يحيط به حالته الخاصة رلسنه لمعية يقدر الإمكان .

أما وقد أخلفت التجارب ظننا في ثمار حياتنا ، وفلذات أكبادنا منذ القدم بحيث ينبغ من مجموع سدين هذا الكون إلا أفراد تكاد تحصر عدداً في كل عمه وفن . وهؤلاء الذين شقوا طريقهم في الحياة سواء تهيأت لهم الظروف ثم لم تهيأ . فقد وصلت من هذا الحكم وهذه الحقيقة إلى أنه لا بد في نظامنا العالمي العملي والمعنوي بقص ميسر يرجع إلى ضعف سبل لتوربا ، وبما أن المجال مجال تحليل علمي عملي نريد من ورائه الوصول إلى حل ررضينا ونتيجة فعليه لنسأل إليها لرجل الفداء أقول :

إن هذا الجيل يسمى جيل الطفل ، وإبه امم موفق لشدة اليقظة التي أصبحت عووض منل متدرجة ببطء من أيام أفلاطون وباتارك اليوناني الذي عاش في القرن الأول للميلاد . وتتمت تلك الحركة بشك أسرع من أواسط القرن الثامن عشر حتى بلغت الذروة اليوم . وفي يقيني ، أن هذه العناية الفائقة واليقظة الصادقة نحو الطفل لم تكن إلا وليدة ساء العقول الفذة المدبرة التي أدت رسالتها إلى العالم على أكمل وجه ، وإذا كان هؤلاء قد سدوا إلى عالم الجهاد والكفاح وسط المواصف القاصفة والافكار الهاثمة والتشبعه جهلا وغسة دون أن تساعد أو تعضد في إبان كفاحها . فلا بد أنها لافقت من الجهد شقه . ونسب من الوهن آله . ومن الشدة أمضاها . ومع ذلك ظهرت لنا من بينهم عبقریات تبني مدى الدهر . ومما هؤلاء كثيرون قدماء ومحدثون .

فما هوذا إدسون النور إليه السحر ، وتاريخ حياته حافل بالصعاب من لفه إيلائه . ولأن هل هذه الصعاب توقفت نبوغه وعبقرية دون أن يبلغ جل أغراضه ؟ وهل منعت ظروف حياة الفاسية من أن يخفف من قسوتها . وأن يشمل العالم أجمع بنور اختراعاته التي تنيف على الألف ؟ ثم هنالك قائم أمين الذي كانت روحه روح أديب ، روح حساسة ونفس حياشة لثرة

معزل للبحث والتفتيش ، فتستطلع ما في حياة الكون وحركته من نشاط وجمال . بل كانت عبده الواسعان كما يقول هيكل : « تريدان أن يرى جده الوحد الدائمة تتكرر مناظرها فتطبع من صفحات نفسه وحياً وإلهاماً أكثر مما تؤدي إليها المباحث الجافة منطقاً وجدلاً . فكان حرص على متاعه منها . ويدعو غيره لهذا المتاع ، وذلك لا يؤنأه إلا رجل فن جميل لا يقف عند التلذذ لنفسه بعمق الحياة ، بل يعبر لغيره عن معنى هذه النعم . فقام أدنى رسالته بتبوير عن شعوره بوصف ما في هذه الحياة من مختلف ألوان الجمال » ، إلى أن قال : « وحياتكم كانت كلها متجهة إلى هذه الدعوة . وكانت متجهة إليها بقوة آخذة بنفسه . متغلبة عليه ، فانه منه محل الإيمان بها إيماناً صادقاً » .

ثم لتدهش أن تعلم أن قاصداً كان مع كل هذا قاصياً فستشاراً إبان حياته ، وقد فصدت أنقل لحضراتكم حرفياً هذه الفقرات عن حياة قاسم بقلم هيكل : « لأنى اعتبرها جمعت دعت ، ونسجل نفسي كاتبة زهرة ، وتظهر سمواً خلقياً لذلك الكاتب : وما أجل ما يعتدح به رجل جلال . وليس أعظم من أن يبيكي رجل رجلاً ، ولأن تمتدح امرأة امرأة » .

وودى أيضاً أن أرى حضراتكم نموذجاً للأسلوب الكتابي الراقى والنفكير المشرى . فهو أخذت نموذجاً لكاتب من طراز آخر واتسمت صدوركم لسماع شئ . من كتابته زهرة . لما ترددت في اختيار الدكتور طه حسين ، إذ هو في نظري شخصية عبقرية مزدوجة كقاسم أمين . فكما كانت لقاسم دسرة تعدد العبقرية كالدكتور طه . فإن الأخير يمتاز في دفرع للعبقرية الواحدة . (فهو عبقرى إذا كتب في الأدب . وعبقرى إذا كتب في النقد ، وعبقرى العباقرة إذا كتب في السياسة) . وهو مع هذا ليس ديباً زريباً خصب ، بل هو فوق ذلك مرب ماهر . واجتماعى حصيف ، فتفصوا لسماع حديثه لابنته في كتابه « الأيام » من ١٢ . والقارى حديثه إلى ابنته يرى عظم الفرق بين طفولته وطفولتها . وكيف أنه تحمل متدح وما لا يستطاع للتغلب على شئون الحياة وتنشئة ابنته هذه وأخيها على حسن ما يمكن ؛ ذلك تلحظ أنه في حديثه يولى ابنته ثقة على صغرهما مما يربى شخصيتها ويشحها على اعتماد على النفس . وسلوكه هذا مع أطفاله قدوة طيبة لمن سيكون رجل الغد .

وبهمى أن أخذ « شوقى » كمثل على لاشاعرية المصرية ، فقد كان عبقرى متفناً أما شعره على من حدة فليست في حاجة إلى ذكر شئ منه لحضراتكم فكلمكم قارى . وكلمكم مطلع . وإن عبرته - لأن أسمعهم حضراتكم - قطعة شعرية من قصة كليوباترا الأظهر شيئاً من عبقرية في سادسية . ناحية القصص التنبلى الشعرى ، فلقد صور نفسي المرأة القوية في أشد موافقها شكل يشهد له بالقدرة الفائقة . وليس يعنينى كثيراً موضوع أرمه كليوباترا النفسية تحولها التخلص منها بالطريقة التى حصلت ، وإنما زبد الوقوف على قدرة « شوقى » في تصوير

نفسية امرأة . وهي من القطعة الشعرية التي مطلعها « هلى الآن مقعدتى هلى » . والتي منها
سقطت روما على ملكى ولست جواهر أسرت وحنى آلى
فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل حلاله يحس حلالى
ومنها: وقد علم البرية أن تاجى نمته الشمس والأسر اموالى
ومنها: يطالبنى به وطن عزيز وآباء ودائعهم غوالى
ومنها: موت كما حيت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمل

وبعد ، ما آن لما الأوان وحنى لما الوقت . أن تقوم قومة الرجل الواحد . وتشبه بقد
المرأة العظيمة فناهى الصيم على نفسنا ، ونشبت بحقوقنا كاملة . ونرد جانحة الاستمرار عن عز
القومية فتستमित فى الدفاع عن وطننا وحقوقنا إلى آخر رمق لما فى الحياة ؟
ثم لننقل إلى عبقرى من طراز آخر ، ذلك هو شلى الشاعر الانجليزى .

ولمجبى منه وقد نشأ فى أسرة جميلة وورثه جده غنى طائلاً . أنه زهد فى المال ورغب عن
الدعة والراحة ، وترك بيت أبيه وأهله جميعاً . لا على أن يستغنى مأوى من دوهبة الشعر وما . ورت
من ما فى نفسى ملاك ولا يستمع لوجيه ، ويذكر شيطانه فيتبع خطواته كما فعل من العرب عمر
ابن قى ربيعة ومن الانجليز بيرون الشاعر . وإنما سما بنفسه الزكية وإحساسه لراقى إلى حب
الطبيعة وفسيح الخيال . فترك للناس من بعده أثراً نافعاً يتبرئ من كرايم ومرواياتى .

إلى هنا قد يسألنى البعض فيقول: وما الذى كافت به الحياة أمثال من ذكرت؟ فأقول: يأتى
أنهم انتفعوا بتشغيل قوائى ومواهبهم فى حياتهم . لم يكونوا قد انتفعوا أو استمتعوا
بشيء آخر . حقيقة ليس منا من ينكر أو يستهين بما دار عدهاء لرجال وعظماى النساء فى عشت
العصور من أذى ونصال شاق وتضحيات حسام ، إلا أن كل هذا معفو عنه . ومشار بنفسه .
فيولا تضحيات عظماء النفوس ، العناء الهمة ، العناء الجهد والإقدام والمثابرة: لم يصل العنق لشرى
إلى ما نراه فيه من رقى وتطور .

ولو حاولت أن أستمر فى سرد أسماء بعض العظماء والعظماى ولو اسماً واحداً لكل قرن
من أمتازوا بمبقرىات خارقة ، لطال لى المقال . فهناك مدام كورى . وبوديشيا ربيعة
المدافعات عن الوطن . ومنسورى صديقة الطفل . ورايمى العدوية زعيمة المتصوفات . وأم
الحسين زعيمة الرحبات . وهناك بيتشه . ونسلا . وسعد . ونابليون . ومحمد على . ولودج .
وغاندى ، وغير هؤلاء كثيرون جداً . والذى أريد أن أقوله الآن . هو: أن هؤلاء
كثرتهم قليلون بالنسبة إلى عدد الانسان فى العصور السابقة وفى العصر الحاضر .

فكيف نصل رجال الفد إلى أن يكونوا عابرة مثل هؤلاء ، إن لم يكن فى جميع وحنى
الحياة فى أكبر جزء من المستطاع الممكن ؟! إن زماننا غير زمان من سلفوا ، وقد جاء فى

تشرى وقد سبق الغربي ما نصه : « لا تقمرو أولادكم على آدابكم . فإنهم محقرون
 زمان غير زمانكم » . والحقيقة أننا نريد ثماراً يانعة ننفع بها نفعاً طيباً ، ونصل بواسطتها
 إلى تأسيس مجتمع راق ، تكون القيادة فيه للعقل (أى قوى النفس جميعاً) لا للغيرة الأولية .
 وأن يستمر الخلف مرتكناً على السلف . والسلف ضابطاً على الخلف ، مما يفقدهم ميراثهم
 عبيية من تفكير ونشاط . فيتراجع الجميع اتقهري بدل السير قدماً إلى مراقي الإنسانية .
 وإن ما يتطلبه أفعالنا اليوم غير ما كان متبعاً بالأمس . لذلك إذا أردنا أن نسهل على طفل
 اليوم الوصول إلى هذه الغاية التى نطمح إليها ، فلي يكون ذلك بغير تيسير السبل لظهور نواته
 ورغبته وميوله الدفينة إلى حيز العمل المنتج علماً وعملاً ، مع ملاحظة أن أجهزته الجسمية
 خصوصاً جهازه العصبي ، وهذا ما يجب أن يأخذ جزءاً كبيراً من عنايتنا ونشاطنا ، فالتألو
 فتمننا بفعل ذلك ، لأننا العجب العجاب من ناشئة اليوم ، خصوصاً أن العصر عصر عمل
 ونج . وأصبحت الطريق معبدة واضحة . ويجد الطفل من الوقت ما يساعده على التفكير
 والابتكار ، لاسي وثه من مزايا الكائن الحى النشاط الذاتى العقلى ، وليس ذلك مقصوداً
 على تناء أمة واحدة وإنما يشترك فيه كل كائن حى فى هذا الوجود . لذلك كان لزوماً أن
 يرق باب الرقى البشرى العالمى من هذه الطريق ، وقد اتفق فى ذلك غالبية المربين قديماً وحديثاً ،
 سارلوك الانجليزى (١٦٣٢) فى هذا المعنى : « إن المعارف الحقيقية لاتنال إلا بتمرير العقل .
 وسكل عقل مميزات خاصة . لذا وجب أن تكون التربية مؤسسة على ما لكل طفل من مميزات ،
 وعلى حاجاته الاجتماعية أيضاً . وأن نهتم بما يكون عليه فى حياته العملية » .

وقال روسو (١٧١٢) : « ليس معنى الحياة مجرد التنفس ، بل معناها العمل باستعمال أعضاءنا
 وحواسنا وقوانا العقلية . وباستعمال كل ما بقى من جسمنا حتى نحس بوجودنا ، فالغرض
 من الحياة ومن التربية أن نعيش عيشة تامة » .

وقال بتسالتسى (١٧٤٦) : « يجب ألا يكون التعليم غرضاً فى ذاته ، بل واسطة فى التربية
 مثالية وتقوية المواهب جميعاً عملياً » وقال فروبل أبو الطفل وحاميها : « يجب أن تكون طرق
 تربية مرشدة للأطفال دون ظهور وثابة لقيادته بحكمة لكي يسير وفق طبيعته لاضدها » .

وإن من أهم قوانينه فى التربية قانون النشاط الذاتى . وإنا نبرهن على صحة نظريته هذه ،
 أن تمرين أى عضو فى عمل ما ينتج تقوية ذلك العضو فيه ، وينميه نمواً متناسباً مع تمرينه .
 وكذلك الطفل إذا استعمل مجهوده الذاتى فى فرع خاص من الرياضات العملية أو العملية ،
 فإنه يحصل على النمو المطابق لهذا المجهود ، وبالعكس إذا أساء استعماله فإنه يعطى نمو تعطيل
 متناسباً مع إهمال هذه التمرينات . ومن ذلك نرون أن العقل بقوته الأصلية ونشاطه الخاص به
 يؤسس لنفسه علمه الإدراكي . فالعمل والنشاط والحركة تحقق للشخص علمه الخاص ، ولا سيما

أن النشاط الذاتى الصادر عن البواعث النفسية الخاصة والناش عن الرغبة والارتياح . والقائم على توفر القوة للفرد يمكنه من الحصول على الفائدة المقصودة من التربية الصحيحة .

هذا وإن النشاط الذاتى - أو ما نسميه أحياناً السعى الصادر عن الطفل بطبيعته - يمدد للنفس وانعاش فرصاً عظيمة للتهديب بتنسيق وربط بنات أفكاره بما يحيط به . وبذلك يفهم الطفل أثر الغرس من وجوده كوحدة مستقلة فى ذاتها دطامة أولية تؤسس عليها الانسانية .

وبعد فما لا يختلف فيه اثنان أن حرمان الفرد ومن ثم الجماعة ، من ميرة النشاط العنسى والتحارب العملية - جريمة خطيرة على التقدم القومى والمعادلة التومية والمطمح التعليمية .

البلد المصرى بلد الثورات السريعة الهبوب السريعة السكون : وذلك شأن البلاد المعبر على مرها ، ومصر تفوق غيرها فى ضياع نشاطها لسرعة تفرقها وتعدد أحزابها . ولذلك فاستمدت من ثورتها قليلة نسبياً . وإذا ضربنا صفحا عن الثورات السياسية ، وفكرنا فى شيء أشد مساساً بموضوع بحثنا هذا ، وأخذنا ثورة تعديل المناهج الدراسية منذ عام ١٩٢٤ مثلاً . ومثلاً حيوية بهم كل فرد فىنا ، وجدنا أننا لانسهر على نظام معقول صريح للوصول إلى أغراضنا فى مختلف الشؤون بله شئون التربية والتعليم . تلك المسألة الهامة المعويصة التى يتوقف عليها رقى العالم جمع لقد اتفق فى هذا البلد على وضع نحو العشرين إلى الثلاثين مادة لتدرس فى المدهج . وكلف الطفل ذلك من طور الروضة إلى الدراسة العالية فالتخصص ، هذا عدا الاحكامات التى تجدر العناية بحركاتها وتشجيع الفش ، بشتى الوسائل على الاندماج فى سلوكها ، بدل ابداعه إلى تيار المجتمع الفاسد ، فيغزو المقاهى وما كن اللهو كالمسخر لإخلاء جيبه وإفلاس ماله والديه ، وتخريب أخلاقه وإفساد مستقبله .

ولكن ، لنقف هنا قليلاً ونسائل أنفسنا : هل أفادتنا ثورة تعديل المناهج ؟ الجواب مع الأسف سلباً ، لانا لا تزال نرى الطلاب متأففين والآباء غاضبين والمدرسين ناقلين . والحقيقة أن المناهج بهذا التعديل لم تخرج لنا رجالاً كنا نطمح فى إيجادهم ، والأسوأ من ذلك أن من شد بذكائه ونشاطه واستعداده أهمل شأنه ، واستولى عليه اليأس من دوام عدم تشجيعه . ومن هذا نرى النفوس ثائرة - ولقد يكون لها الحق فى بعض النواحي - غير أننا نرى أن سبب هذا كله يرجع إلى أساس هام لم ينتبه إليه أحد من القائمين بالأصلاح فى مصر : ذلك هو إصلاح شأن الطفل فى السنوات التى تبد من يوم حمله إلى أن يلتحق بالمدرسة (الروضة) فى سن الخامسة ، متفاضين فى ذلك عن أهمية علاقة الآباء بالأبناء التى لانعرف الأسر عنها إلا النزر اليسير . وثانياً يشكو الجميع من مواضع لا يجب أن تكون موضع شكاية ، بل يجب أن تكون موضع تقدير وعناية ، مثال ذلك أنهم يشكون من كثرة مواد الدراسة مع أن ذلك فيه إعلاء لشأن الطالب ، حيث إنه عامل قوى لتوسيع مداركه وإنماء لشخصيته ، وإن ذلك منه

وة أولى تمكنه في المستقبل من الصعود عليها إلى قوم درجات البحث والتنقيب، ومن هذا يرى أن الشكاية كان يجب أن تكون من سوء طرق التعليم وتواكل وجهل إقائين به، وسوء رتيب الدراسات المتنوعة في السنة الواحدة وفي مرحلة التحصيل كلها، وحسن دراسة جميع المواد إلزامية لكل طالب، وغير ذلك.

أما السبب الأول وهو الجدير بالعناية الفائقة في نظري، وهو السبب الذي من جهة ضربت الأمثال بالمعاقرة سألني الذكر، عني أن هيب رجل الغد أن يقتدى بهم. وذلك لكي يكون جبر قدوة لأطفاله حين يكون أباً إن كان رجلاً. وأما إن كانت امرأة خصوصاً وأن العدو والتجارب كدت أن هناك علاقات ثابتة بين الوالدين وبنائهم. فهناك:

١ - علاقة طبيعية. وتلك هي رابطة الزواج التي ينشأ بواسطتها الطفل. ومما لا ريب فيه أن هناك ميراث طبيعية ثابتة توضح علاقة أطفـال برجل وامرأة هياماً وبه. فإذا كانا سليمي الجسم والعقل عبقرى المواهب، ظهر ذلك في نتاجها الذي يجب أن يكون محدود العدد حتى يستطيعا تلشغته بسهولة ونجاح.

٢ - ثم هناك الرابطة الاتقـالية بين الوالدين والأبناء. وهذه الصلة مميزة للرابطة الطبيعية، وكثيراً ما نسمع الوالدين يرددان: ابني! ابنتي! ولدي! مع قصد التقشيد على يا المتسكلم، وفق في هذا التعبير الاتقـالي من مظاهر. هو مظهر الحب الأبوي. وهذا يعني به دائماً ما يكره والدان لأولادهما من نخبة. ولا يشترط أن يعنى به ما يكره الأولاد لأبائهم من محبة، (لأنهم يكتسبون ذلك كلما تقدمت بهم الأيام).

٣ - ثم هناك الرابطة العقلية، فكلاً بما الطفل وتقدمت به سوء عمره. تمت عنده رابطة عقلية خاصة. فهو يحفظ أو يتعلم من والديه إذ يتحدث إليهما عن الأشياء. ومما لا شك فيه أن رابطة العقلية هذه لها ارتباط وثيق بالرابطة الاتقـالية سالفة الذكر.

ب- وأخيراً هناك الرابطة الاجتماعية بين الوالدين والأبناء، فنلاحظ أن الوالد الفجور منه والسرور منه يمرضه لتجارب مختلفة وأشياء ممتازة لا ينالها باقي الأطفال من نفس الأسرة، لأن حالهم لا تدعو إلى الفخر، وليسوا حائزين الرضا التام من والديهم. والحكم العادل في أمثال هذه الأحوال يتوقف على مقدار ثقافة الوالدين ومقدار دراستها لابنائهم، وهنا يظهر فرق كبير بين الطفل الذي يأخذه والده هنا وهناك، وبين الطفل الذي يظل قعيدة البيت حتى إذا ما خرج إلى المجتمع كان بـله قليل التجربة، غريباً في محيطه.

لذلك، فنحن في حاجة ماسة إلى مساعدة فعلية للأباء والأمهات لكي نعاونهم على النهوض بأسرهم من جهة تربية النفس والتعاون على الحياة المشتركة. ولقد قدمت أن لفظـة الطفل

يصح أن تطلق على الأسرار مدى حياته لكي يستطيع المدرس والتفقيب طول هذه الحياة .
إذ لا حير في عقل يقف تفكيره . وحياة تنتهي غايتها .

إذن نحن في حاجة إلى مدارس خاصة بالآباء تشبهاً بما اتبعته الأمم الراقية للأخذ بناصر
الإنسانية . فبدأ أوائل القرن العشرين تبنى علماء الاجتماع والتربية إلى الدور الهام الذي يثبه
الآباء في تربية رجال الغد لما بين هؤلاء هؤلاء من الروابط والعلاقات وكيف وحد أن هذه
الروابط بين الآباء والآباء غير كافية بإعداد النفس . إعداداً مرضية . لذلك يجب أن نعوض
الآباء ما قاتهم في أوقات تحصيلهم . فزودهم في تلك المدارس بكثير من العلوم المستحدثة . كعلم
النفس التجريبي والاجتماع والمنطق والفنون المتنوعة لما لها من أهمية في تربية وتكوين عقيدة
الإنسان . كما نساعد على دراسة الطفل بنوع خاص في شهر أطوار حياته خصوصاً طوري الطفولة
فالراهقة . إتقاء ما عساده ينتج من مشاكل خلقية واجتماعية في المستقبل .

وعليه يجب أن نسرّع في إنشاء اتحادات وجمعيات للآباء بحيث تظم الأمهات والآباء
من كل الطبقات لنبايحهم . ونرشد في أمور تربية رجال الغد . كما عملت إنجلترا وأمريكا
١٨٧٧ الأولى و ١٨٩٧ الثانية . وبالضرورة سينشأ عن هذا معاونة المدارس على مهمتها
الشاقة . وسنقدر العناية بالأطفال الملهل والمقتردين . ونعني بموضوع رعاية الطفل لشكل عمره
لم يكن بتلك المدارس الخاصة فليكن بكثرة اساضرات والدراسات والتجارب العملية .
فإن حالنا الراهنة في مصر حال يشفق على البلد منها ويرثي لحالها . وإنه طالما لا نحذ
ييد بعضنا بعضاً . ولا نشد أزر بعضنا بعضاً . وطالما لا يوجد من يهتمة الله لا أن يأخذ بدورها
ويهدينا الصراط المستقيم ويوجهنا الوجهة الصالحة . فلن نستطيع أن نطمح في عيشة راضية
وجنة عالية على هذه الأرض .

والواجب علينا جميعاً أن نتأمل بقول سالم بن عبد الله : « اجعل الناس أباً وأخاً وإبناً .
فببر أباك . واحفظ أخاك . وارحم ابنك » . وعلينا أن نعمل كثيراً ولا نتقار أحراً كثيراً .
ولا ينوتى أن أقول : إن على المرأة - وأنا واحدة من جنسها - أن تشعر عن ساعد الجد . وأن
تساه بجزء وافر من نشاطها وذكائها ومنازتها لأن تؤدي رسالتها على أكمل وجه . وأن تأخذ
بيد الرجل في تسامح معها كافها ذلك من مشقة .

وليعلم الرجل المصري أن رسالة المرأة المصرية لا تفقد إليه إلا إذ استمد لاستقبالها .
فإذا كان يرجى للمرأة المصرية الجديدة أن تضارع أحبتها المائدة أو أن تقشبه بمنيلاتها
من نساء الغرب اللاتي غيرن صفحة التاريخ بما أوحين إلى الموانع والعباقرة . فلا بد من إعداد
الرجل المصري لتلقى رسالتها بقبول حسن . وأن يملأها المكان اللائق بها حتى تهض بمصرنا
نهضة نحو توصلنا إلى السكال التام .

على طريق بيروت

للاستاذ أحمد الصافي

ويوم عدت من سفر بعيد
 إخال البرق بين السحب ناراً
 وكنا في أتومبيل سريع
 كفيل في الصلاة له عيون
 كأن الدرب سوداء الأفاعي
 تلوى في السرى وتشيل صدرأ
 زروم لرأسها الثائي وصولاً
 عشقنا رأسها الثائي ومن ذا
 ركبنا بطن فيل فوق أفعى
 فلاح على الطريق لنا مشاة
 أب شيخ ، وطفل دون سبع ،
 وزابعهم - كاهل الكهف - كلب
 يسير بجانبهم يحمي حمام
 خندق بالأتومبيل المولى
 فظن بأنه وحش غريب
 فتار بوجه ذاك الوحش يعوى
 يروم له بشدقيه اقتراساً
 فرام السائق القاسي اتقماً

وقد غطت أديم الأفق سحب
 تشب بغابة حيناً ونخبو
 تساوى عنده بُعد وقرب
 تشع كأنها في الليل شهب
 سرت ما يب آكام تدب
 لها فلصدرها خفض ونصب
 وليس يعوقنا في السير صعب
 لرأس الحية السوداء يصبو
 وذاك الفيل يزأر إذ يخب
 يؤلف بينهم نسب وحب
 وأم زانب منها القود شيب
 يلوح كأنه في الشكل ذئب
 وفي عيذه نيران تشب
 إلى أهليه وجهاً لا يحب
 توجه منه نحو الأهل خطب
 وهب نخلت عاصفة تهب
 ويغدو بالنباح له يسب
 وما ضاقت به في السير درب

فوجه سيره للكلب ظلماً
 فظل الكلب يرفس رفس موت
 تفجع أهله فبكوا عليه
 بكوه وكيف لا يكون خلاً
 وجاء الطفل يبغى ضم كلب
 لقد نشأ معاً والكلب جرو
 يداعبه ويؤنسه بقفز
 رأى دمه فصب عليه دمعاً
 أيا كلبى العزيز! قدتك نفسى
 وظل يروم مسح التراب عنه
 يحاول حمله حيناً فيعيا
 ويلتمه لينعشه بلثم
 تلقى اللثم عن أبويه طباً
 فراح يزيد ذاك الكلب لثماً
 وظلت أمه تبكى حناناً
 يروم أبوه سحب الكلب منه
 تمسك طفله بالكلب حباً
 تركناهم وفي قلبى شجون
 فثرت على الأثام لقتل كلب
 وقلت: بأى ذنب أوردوه
 بكيت وللسماء رفعت رأسى
 وأورده الحمام وقال كلب !
 عظام حطمت وانشق قلب
 بدمع مؤه ألم وكرب
 وفيما قد قضى عنه يذب
 له معه هوى ماض وأعب
 وليس عليه سن الطفل يربو
 وذلك الطفل فوق الأرض يحبو
 وصاح وصوته نوح وندب
 ألا حى وكل! فذا أكل وشرب
 وللدم منه فوق الأرض سكب
 ويبغى أن يسير به فيكبو
 كأن اللثم للمجروح طب
 له، إن نابه جرح وضرب
 وبالدم قد تلطخ منه ثوب
 لدمع الطفل أو لدم يصب
 ليدفنه فلم يمكنه سحب
 وهل يرضى بدفن الألف صلب؟
 ولم يأبه معى للأمر صعب
 وصرت كائناتى للكل حرب
 رداه، وهل دفاع الكلب ذنب؟
 وقلت: أما لهذا الكلب رب؟
 أحمد الصافي [دمشق]

الشباب والعروبة في القاهرة

[كتبت في الأصل لجريدة « الجامعة الإسلامية » بيساقا ، ولم يتيسر إرسالها في الميعاد المحدود ، فرأينا إتمامها هنا ببعضها وفصلها]

تفصلت « الجامعة الإسلامية » فرغت إلى أن أساهم معها في عددها الذي شاعت أن توجه به « الشباب » . ومن المحقق أن « الشباب » يستطيعون في هذه المرحلة من مراحل العصر الحديث أن يفتبطوا كثيراً ، لأنهم لم يمدوا حافتي الصوت إلى ذلك الحد الذي لا يفتح آذان الشيوخ ، ولأنهم قدموا للحياة — على ضروبها — أسباباً من التفوق من شأنها أن تحمل على المفاخرة والمباهاة ..

وعندى أن الشباب — في الوقت الحاضر — فما يعنى بإشباع عاطفة الغرور في نفسه بمقدار ما يمتد بتوجيه الحيل الحديث توجيهها مترتة موفقة ، ثم فيه ما فيه من مجانبة لهذه المثرات الثقيلة في تحطمت على صخورها أحلام الأجيال الغابرة ، وفيه ما فيه من تحقيق لألوان من النفع الخافل بكل ما هو خير شامل .

والذين يدرسون اليوم أطلع « الشباب » دراسة عم وتحقيق ، يحيل إليهم أن الجانب الروحي هو الذي يسيطر على هذه الأطلاع سيطرة كبرى . وهذا من حير ما نسوقه — معشر شباب المشتغلين بالبحوث المعية الروحية الفلسفية — دليلاً وأى دليل على اندحار المادية ، رغم ما يبدو في مظاهرها الحالية من ملا ، وروا ، ويوح لعين الأعشى بريقه فيظلمه نوراً حتى د حاء لم يجده إلا برقة حلاباً ، ونسوقه دليلاً آخر على أن التنبه الروحي قد أخذ يستقر بعد إذ تقلقل من مستقره قروناً عديدة . فأخذ ينتمش وينتمش نسيم الحياة من جديد . بفضل العلوم الحديثة إثر اعتقد أنها من أكبر العوامل على تثبيت المعتقدات الروحية ، لا على هدمها كما يظن كثيرون . والواقع أن الشباب اليوم لا تنطوى قوسهم على الأمنى والمسولة والآمال الكاذبة ندعية إلى السيادة المادية وما فيها من ضروب الإرهاق والاستعمار ، وإنما تسيطر عليهم أحلام ناعمة بيضاء ، وأمان سامية ، يريدون بها أن يحققوا من دستور السلام والإخاء والمساواة ، أكبر حب . حتى لا تطفئ عليه تلك العقائد التي رغمت العالم على أن يعيش في تناحر وتدار . بل في جحيم القصاص وسعير الحروب .

هذه النزعات الجديدة بما فيها من جلال ، وما يتحلقها من روعة ، وما يفرها من خير ، هي التي

تأحت للشباب تلك المزلة السامية في النفوس : وما أحسب إلا أنها هي التي هيأت لرمية الكبيرة الممتازة « الجامعة الإسلامية » أن تصدر هذا العدد المتناثر لتصور فيه جهود الشبان من جانب ، ثم لترجيى إليهم من نصائح الكتاب ما يستطيعون به أن يتجهوا إلى منتهى ما آوهم في خطوات سديدة وسعى رشيد .

وأنعود إلى حبل من المساهمة في عدد « الجامعة الإسلامية » المتناثر ، فأقف بالقراء المتقربين في جوانب الشرق العربي كله موقفاً لا أدري ، فهو موقف الحيرة ، ثم هو موقف التردد ، أم هو موقف بين هذين ؟ فقد نلت حولي لأست بقلبي عنان موضوع أستطيع به محاربة الشباب في شيء من التوفيق ، ولكي كنت كثير الحيرة بين ألوان التفكير ، كثير التردد بين صور الشباب المتعددة وثمانية الواسعة . فأنا أعلم من نزعات الشباب ما يعلمه الذي يكاد أعنف مراحلها وزخرها بالجرأة والتمرد !! « على حد تعبير الشيوخ وتصريحهم له » . وما نزل - والله الحمد - الذي لا يحمد على المكروه سواء . إن صح أن ثمة مكروه - في دور الشباب الباكر - وهنا لا أكنم الزميل الجليل صاحب « الجامعة » لقول بأني كنت أودع دعوتي أضيائر المحفوضات . معتذراً من إجابة الدعوة الكريمة بهذه الشواغل المرتحلة المألوفة . ولكي توقفت عن هذا الخاطر فجأة .

إذ لم لا أحدث الشباب عن مظاهر أمروية في القاهرة ؟ القاهرة التي احتملت في السيف العائث ألواناً من الجدل الحاد العنيف حول هويتها اليوم : هي مصرية فرعونية . ثم هي مصرية عربية ؟

إذن فلأنحذر عن القاهرة من هذا الصرب . على ألا نهمل في هذا الحديث آملاً لا نهب مع الرجح ثم لا تلبث أن تذهب بها الأعاصير ، أو تمثل أحلاماً تعانق السماء . فتمس أقصوصة لوحدة العربية من ذلك الحجاب الذي علمه الهاتون بها . فالشباب الذي تركز اليوم في القاهرة تلك الأقصوصة سيعمل الآن . وبعد الآن ، على أن يجعلها حقيقة صريحة لا دنار عليها رغبة الموثورين . سأحدثك عن القاهرة حين لا تبدو في مظهرها القومي وحده ، بل حين تأخذ ربتها من ألوان الشرق العربي كله ، فأقول لك إن أمروية على ضروب صورها نجد في مدينته الأعلام والأهر حياة حافلة بما تنير في النفس من أعظم عواطف العبطة والسرور .

واسمحوا لي أن أرفع بحق أن « القاهرة » تستطيع وحدها أن تقعد أريكه الصدر ، يوم يفاحر الناس بما ترحم به . أمواصم الإسلامية من جماعات وجامعات ، وإذا كان الأزهر يحس بين طواياه أسباباً من انجذاب ، فأوفر هذه الأسباب عندي أنه نواح للشعوب الإسلامية أن تجتمع في صفحته ، وأن تتروى من ثقافته . ولقد بقيت هذه البقعة الطاهرة من مدينة « القاهرة » تؤدي رسالتها حتى اليوم داء لا تمثر فيه ولا التواء . ثم تجمعت إلى هذه الرسالة أسباب أخرى

يتصل بعضها بالصحافة . ويتصل بعضها بالسياسة . ويتصل بعضها بالأدب بعيداً عن الجوانب الصحفية . وكانت جماع هذه الأسباب وليدة الحرب الكبرى قبل أن تكون وليدة الصلات التي جمعت طائفة من الشعوب العربية تحت التاج العثماني حتى أحر الحرب الكبرى .

كانت هذه الصلات وليدة الحرب . فالشبان المصريون الذين اتجهوا إلى الميدان الشرقي قد عادوا إلينا ومن قلوبهم ذكريات طويلة عن هذا العهد . برغم ما كانت يكتنفه من ضروب لا تحدث؛ وما من شك في أن الشبان العرب قد مهدوا لأنفسهم توافاً شتى من الأواصر ، وصوراً رائمة من العلاقات مع أحوالهم لذين رحلوا إليهم من مصر . ومهما يكن نظراً إلى مكانة واثق وهؤلاء . فإننا لا نستطيع أن نمكر أثر هذه الأواصر والعلاقات وعملها الساحر في النفوس . على ما فيها من سداجة بالغة وبساطة لينة .

بعد هذه المرحلة تبيح لنا في مصر أن نعلم الشيء الكثير عن دسائس وعن الشام كله وعن العراق وعن كل شعب عربي كابد الحرب عدواً أو صديقاً ، ثم استغضت الأيام التي وجدت في أولئك الشبان البسطاء أن توجد بين طوائف أخرى تلتحق صلة بالحياة ، فاداً جهودها السياسية مستطمة في سخط واحد . واداً جهودها الأدبية بمدائد تتلاقى في جدول واحد . وكأن ماء النيل قد امتزج بمياه بردى وأمواه القرات .

هذه الوحدة هي التي تعيش الآن في شربها الشعبي . وهي التي يريد المسلحون لها أن تعيش في شرب رابع وتحت اتحاد . وإذا كنا قد لمسنا حظ « الوحدة » أو بعضها منه في الشام وفي فلسطين والعراق . فهل يدعوك ذلك إلى السؤال : متى حصص صانته في القاهرة ؟

إن العروبة ترى في القاهرة أروع ما تشهده من حيرة ، فقير مصريون صدوراً عن قرية مصرية ، ولم يعرف أجدادهم من الشرق العربي إلا ما ، ولم يعد الشرق العربي عنده حدود الحان . ولكنهم مع ذلك يحرقون في العروبة شوقاً ويتدلهم ن ، غراماً .

ففي دار العروبة القائمة على سيف السيل . حيث يسقط فيها صحبها العلامة ، محمد زكي ، شاه سباط العروبة لا ضيل ، يستفيع الشرق أن يجازف في غيرة . فيقتبس عليها دون أن يتألم من أمث ؟ وإنه للاق فيها آباء الألبين وأطراف النهار . حواء يتصل كل واحد منهم ، ثم شقيقة . وهذا مغربي من الشمال الأفريقي . وهذا عربي من صميم السكاب . وهذا عربي من نجد بغداد . وهذا عربي صدر عن كابن أفغانستان ، وهكذا وهكذا يتلاقى بالأمم العربية كل مجموعة في أفراد منها عند هذا الصعيد .

فإذا أخذنا الشرق حظه من « دار العروبة » . وشاء المحنة بأفراد من « علام المصريين ليدلمع عنى مافى طوائفهم من رعات حيال العروبة وبنائها ، إذا به يدهش ويدهش حين يقر فى طليان قلوبهم صفحات عاصرة تذكر العروبة ، زاخرة بذكرياتها العميقة العظيمة .

ثم كل شيء في القاهرة يتناول العروبة وفق أسلوبه، فالأستاذ الدكتور منصور فهمي عميد كلية الآداب يعيش اليوم وفي دحيطة نفسه روح عربية لا تعرف حدود الأصقاع. ولا مسائل الفلك. والأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرزاق أستاذ الفلسفة الإسلامية في الجامعة المصرية لا يحفل بجلسة من الجلوسات، أو يعنى بحديث من الأحاديث، بمقدار ما يحفل بجلسات العروبة. وأحاديثها الرائعة التي يمنحها لضييفها الأوفى. والأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك عميد معهد التربية السابق قلما يتخير في رسائله حديثاً لا يخاطب به العروبة في مظهرها الشامل، وغير هؤلاء. جماعات وأنشخص كثيرون. لا يسمح الخيال بذكرهم خوف الإطالة والملال. منقشرون في القاهرة، لهم طابعهم العربي، وأسلوبهم العربي، وميولهم العربية، وأطباعهم في أن تكون مصر بين الناطقين بالضاد صنة وثيقة مخوفة بالنجاح واضطراد الفوز.

وما يقال عن هذه الجوانب الثقافية يقال عن نظائرها من الجوانب الأخرى، فنجح في مصر نعتقد أن مشاركة بني عمومنا من العرب لنا فيما تفرغ عليه من شمال - أيا كان نوعه - إنما تحمل معها حياة من الإحياء السحري، ووشيجة من وشائج القرى المتينة، التي لا تستطيع قوة في الأرض - بالغة ما بلغت - أن تقصم عراها. أو تهد من بنيانها الشامخ الذراء الرفيع المهد. وقد يسرك كثيراً أن تعلم أن الحفلات التي تقام في القاهرة لا بعدها ناجحة ما لم يكن من شهودها جماعة من أقطاب الشرق العربي. وما لم يكن من خطبائها جماعة أخرى من خطبائه المصنف أو من شعرائه المبرزين النابهين. وقد يسرك كثيراً أن تعلم بأن الوافدين من الشرق العربي على القاهرة لا قدرة له على الدعوى بأنه تزح عن بلده إلى بلد غريب. وأنى له هذه الدعوى العريضة، وإخوانه المصريون يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم؟ بل أنى له بهذه وهو معروف أبداً بأصدفائه تنطوى نفوسهم على عمق عواطف الود والإخاء، يوفرون عليه أسباب - ود من الحياة القاهرية التي لا ضرب لها في الشرق كله؟ وقد يسرك أيضاً أن تعلم بأن التذكير الذي تبدأ أول مراحلها في العراق أو في أقصى الجزيرة إنما تلى حظها من الدروع ولا تشر في القاهرة قبل أن يتناولها الباحثون وكأهم يجادلون رجلاً لا يبعد عنهم إلا شبراً واحداً.

فهي يتاح لهذه المظاهر الجياشة ألون الأخاء وضروب الود لها أن تحرك في «الشباب» عواطف سحرية من المرجح عندي أن الشباب سيمتثلون لها بالتأمل الكثير. والتفكير الهادئ. - سيبكرور لها حياة جديدة من حقها أن تكون استقلالاً طلياً لهذه الصلات العميقة حتى تخرج من نسوبها لمشتت إلى أسلوب آخر شيء ما يكون بالقصيدة الموحدة الثقافية. وإلى أن يشكر الشباب هذا الأسلوب لاستغلال مظاهر العروبة في القاهرة أمد أيدي إليه مصراعاً إلى أنه أن يهيئ لنا من أسرارنا وشداً ما

مضى الذى استنزل الإلهام بمعنه
يا مرسلا في ديار الخلد إنك بالـ
أثكلت مصرأ وبغدادأ وأندلسا
ياموت إيكفبك ماجرعت من غصص
في القلب والجفن جرح غير مندمل
أستغفر الله لا كفرأ ولا جزعأ
هي المقادير لا تجرى لنيل منى

فقيد مصر فقيد الشرق أجمعه
ما شب إلا حرأ بالامارة في
أو شاب إلا أميرأ بالنبوغ وما
قالوا: جرير، فقلنا: لا يضارعه
وإن غلت (أسواق علم) في معارضه
ما أجل الدر نظما في فلائده
قد كان بعلأ جو الشرق مفخرة
وكان عنه يسرى كل نازلة
قومية نهضت في غرة سطعت
نقد، ووصف، وتهذيب، ونسلية،
قدمثلت في خيال الشعر مملكة
شوق وحافظ كانا الرافعين لو
كم أمدنا النشء في تكوين نشأته

في سلسل من غير الفسك قد عذبا
وحى القديم شفيت الداء والعطبا
والشام والفرس والأتراك والعربا
ياموت! حتى السجيا تقنتي سلبا
قلب جريح ودمع بالدم انكبا
كلا، وهل حيلة في رد ما كتبأ
ولا لدفع قضاء الله إيت قربا

يشاطر الشرق فيه الغرب منتعبا
باب الملوك وإن لم يؤتها نسبأ
من شاعر قبله قد أحرز اللقبأ
ولا طراز جرير منه قد قربا
أسواق «أحمد»^(١) كانت كلها ذهبأ
وأبدع الزهر متنورا إذا كتبأ
بين الشعوب وكان البالغ الأربأ
وكان يهتز في أفراحه طربأ
بنورها يهتدى من ينشد الأدبا
فوق المسارح زادت أمره عجبأ
أحيا بها الفرس والأتراك والعربأ
أء المجد للشرق أنى للعلا ذهبأ
وهيا اللهدى نحو السها السيبأ

(١) إشارة إلى كتاب المرحوم شوقي بك المسمى «أسواق الذهب» وهو من خير ما كتبه في النثر

وأغنيا اللغة الفصحى وما برحا مهذبين بها الأقلام والكتبا
حتى أطاعا وشيكا أمر ربهما وأوردنا النيل فخراً جاوز الشبا

إن يعقب الأول الثانى فلا عجب فاعهدناهما إلا قد اصطحبا
على دين لسكل منهما ، أبى ضعفى به ، وهو يعي الأيد الأربا
كلامهما قدرنى لى « درة » نزع منى بدرة فكر زانت الأدبا
ومن لى بفضل بيان أستعين به على رثاء يؤدى بعض ما وجبا ١١

من التراب لمن أجسام من سبقوا وخلفوا الدمع هطالا ومنسكبا
صيب منه نبات لأرض نضرته لونا وشكلا ويحلو حسن ما اكتسبا
مع انقضاء الذى نجا عناصره هو الحياة التى من مأها شربا
فونه من قلوب طالما نعمت وشربه من جمال طالما عذبا
لم تقز غير أرواح لها صعدت وغادرت دونها الأفلاك والشبا
الله أكبر فى كينونة نزع منا الخلود وفيما الله قد وهبا
فى قضاء وفى عيش وفى قدر وفى احتمال الآسى فى أن يقال خبا

فى ذمة الله فى فردوس رحته شوقى وحافظ من بدرين قد غربا
بخشيا صنجة الأحجار دونها فن جدود تحي فيها النفسبا
بخشيا صنجة والترب فوقها فن قلوب وانكن مزقت إربا
بهم رحمت الله دائمة دوام غيث على قبريهما صببا
بهم من دعاء الشعب أطيبه ما أحزنا مصر والأهلين والصحببا

الاسلام والعلوم الجغرافية

محاضرة ألقاها بالألمانية في رابطة الثقافة الإسلامية بفينا

الأستاذ أحمد زكي وليدى بك

أستاذ التاريخ التركى بجامعة استنبول سابقاً

إننا نبتعد شيئاً فشيئاً عن الزمن الذى كانت تعتبر فيه التحولات الى نجمت عن الفتوحات العربية والتركية والمغولية وعن هجرات هذه الأقوام من شمال شرقى وجنوب غربى آسيا نكبة على تاريخ العالم وتعد كارثة على الحضارة الانسانية . أما الآن فالعلماء أمثال هيرى ييريبه والأخوين اسكندر وأوجين كوليشر . ثم هنا فى فيينا الأستاذ روبش والأستاذة ارنابانست يرهنون على العكس أن هذه الحركات لعبت دوراً عظيماً إيجابياً فى تاريخ المدينة .

إن حوادث التاريخ مرتبطة فيما بينها ، فبدون الثقافة الكلاسيكية لا يمكننا تصور وتقدير الثقافة الاسلامية ، وكذلك الحركة الثقافية الحديثة فى الشرق لا تتصور وتقدر بدون المدينة الأوروبية ، وبالمثل لم تكن الثقافة الافرنجية لتقوم لها قاعة ما لم تقم المدينة الاسلامية فى التاريخ ، وكما قال ييريبه « بدون محمد لم يكن أحد يتذكر شارلمان » .

ولو لم تدخل فى الاسلام شعوب وسط آسيا (الإيرانية والتركية) للقى الاسلام دية محصوراً فى غرب آسيا . ولما صار مدينة عالمية استطاعت أن تنتشر الى شواطئ المحيط الهادى ، ولو لم يفتح المسلمون الأتراك بلاد الهند لما تيسر للهند أن تشارك فى الحركة الثقافية التى مدت فى غرب آسيا فى المصور الوسطى ، وكذلك لولا الضغط العربى والبربرى عن طريق اسانبا لما انتشرت التجارة الألمانية البحرية فى بحر البلطيق .

ولم تنسج التجارة والعلاقات الثقافية بين آسيا (شرقاً ووسطاً وغرباً) وبين شرقى أوروبا إلا بعد الفتوحات المغولية - ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر - التى نشطت حركة تأسيس الشركات التجارية العالمية . وقد أصبحت اليوم هذه المسائل - وخاصة تأثير قبول الهجرة الجارفة من آسيا نحو العالم الخارجى - محل عناية عظمى عند كثير من اهل العلم . إن العرب والبربر وكذلك الأتراك المغول لم يكن لهم من التأثير فى الحركات الثقافية للشعوب الأخرى أن بنوا عوامل المنفعة حسب . بل إن ثقافتهم ذاتها كانت غنية المدة غزيرة القوة الدافعة . ونجد اليوم أن دراسة الحركات الثقافية من الوجهة البسيكولوجية وعلاقتها بالمكانية إحدى المسائل التى تستغرق عناية المؤرخين والجغرافيين المعاصرين .

تكوّن الجغرافية الإسلامية أساس مثل هذه الدراسات، وقد بين بركات ونوماشك وبرتولد وبستراخ وشفارتز بوضوح أهمية هذه المعلومات عن غرب وأواسط آسيا. فلو لا علوم الجغرافية التاريخية الإسلامية لما وصل إلينا علم عن حياة المدن وثقافتها في غرب ووسط آسيا ليس فقط في العصر الإسلامي بل في زمن الساسانيين. وقد وضع فرين وماركارت وعقوب ونيتم أهمية هذه الجغرافية لشرق أوروبا، كما وضّحها رينو وساخاو وفرايدلجنوب شرق أوروبا وجنوب شرق آسيا.

ومن مؤلفات علماء جغرافية الأقدمين من العرب (البخاني والخوازمي وسهراب) تعتمد على وصف أقاصي المعمورة على المصادر اليونانية. وأما الجغرافيون الذين يرجع أصلهم إلى وسط آسيا (مثل الجيهاني والكرديزي والمؤلف المجهول لكتاب حدود العالم ثم البيروني) فقد خلصوا هذه المعلومات تدريجاً من التأثيرات اليونانية والانجيلية واليهودية. ولكي تتوفر المعرفة عن شرق آسيا وشرق أوروبا، كان قيام الدول الثلاث التركية المسلمة في أقاليمها (أو الألبانية) في وسط آسيا والغزنوية في جنوب آسيا والبلغار المسلمين على حدودها الفوقية أثر عظيم. فتمكن الملاة البيروني من تدوين تواريخ مضبوطة عن شرق آسيا والافغانوسية عن طريق الترانسكاز الشرقية والشرق البحرية في جنوب وشرق آسيا، ثم عن شرق أوروبا عن طريق التجار البلغار والخوازم. وأمكنه أيضاً عن طريق سفراء الصين والهند الشرقية الذين كانوا ينتمون إلى أصل تركي إسلامي وأخذوا عن طريق البحر والهند عن أفغانستان الحاضرة. أن يستقي معلومات وبيانات عن القطب الجنوبي وراء المحيط الهندي. ويستفاد من سائر كتابات البيروني أن التجار المسلمين الأوائل من عهد الأمويين نسوا مستعمرات في البحر الأحمر أغنى المحيط الهندي حول جزائر حاوه. وروجوا من تلك الجزائر.

و نرى أن كلام الجغرافي اس رستم (طبعة دي جويه ص ٨٨٠) عن مكان في أرض بحر حيث يكون النهار ست ساعات فقط، يرجح أنه كان يعني جنوب أستراليا، ولو أن القس كريس الألماني وجيريل فيراند الفرنسي أرادا تعليل كلامه تعليلاً آخر.

وقد كان البيروني أول مسلم أورد بيانات بأسماء نهر أنغار في شرق سيبيريا وبأخبار السكان في مناطق بحيرة البايكال ومناطق اسكندناوه القديمة المسماة «ورنك» ثم عن صناعة المعادن في شمال شرق أوروبا، وكذلك عن البحر المنحدر الشمالي. وتمكن عن طريق التجار المسلمين في أفريقيا أن يحصل على معلومات قيمة عن جنوب أفريقيا. وعن موزمبيق (سفالة الزنج) عن البلاد الواقعة جنوب خط الاستواء. حيث يظن البيروني أن الوقت يكون هناك شتاءً حين يكون عندنا صيفاً — وطبعاً لم يكن بين معلومات هذا العلامة المطلع أمثال جبال قاف

(الموجودة في النقولات الإسلامية) ولا الخرافات اليونانية عن عجريب وهيبيروري (Agribbie ec Hyberborie) ثم عن سد بأجوج ومأجوج التي كثيرا ما بحث عنها الجغرافيون المسلمون الأقدمون في شمال بحر الخزر وخلف جبال تيانشان . فلم تكن في رضى البيروني سوى الأجزاء الغربية من سور الصين . كما يعتبره كذلك العالم التركستاني محمود الكاشغري في خريطته . والجغرافيون المعاصرون أيضاً مثل دى جويه ومارقوارت .

ومع هذا بقي الشرق الأقصى مجهولاً نوعاً ما عند البيروني أيضاً ، فعنده أن الإقليم الذي ينتهى حيث تنتهى الأقاليم : الخامس والسادس والسابع . أما في عهد المغول فلم تنق هذه قيمة لم تكن معروفة للمسلمين في شرق أوروبا وشمال شرق وجنوب آسيا . فالورير المغولي في (رشيد الدين) قد دون بيانات هامة مطولة عن الجغرافيا وعموم وصف الأقوام في وسط وشرق آسيا . كما ترك لنا مؤلفات عن تاريخ الصين والهند وأوروبا حافلة بالصور المقابلة . وذلك الصور توصح بدقة أشكال الصينيين والأوربيين وزياءهم في ذلك العهد البعيد . ونجد في هذه الكتب نبذاً قيمة عن الصين والهند وأوروبا (وتوجد أحسن المخطوطات الباقية من هذه الكتب المصورة في مكتبة طوبقوسراى باستانبول) وكان للجغرافيين المسلمين في عهد المغول تأثير في العلوم الجغرافية في الصين ، فإن الخريطة الصينية الرسمية التي يرجع تاريخها إلى عام ١٣٣١ هـ . كما أثبت البرت هرمانز . إنما تكون قد رسمت بإرشاد الجغرافيين لمسلمين وإسماهم الذين وضعوها . وهناك مهندس مسلم آخر هو قطب الدين شيرازى حدم المغول في إيران . وقد رسم خريطة عام ١٢٩٠ للبحر الأبيض المتوسط وقدمها إلى الملك المغولى الأيلخاى أرغون خان . كما أن المغوليين جنكيز وتيمور وغيرهما استخدموا كثيراً خرائط الجغرافيه لأغراض حربية فنية . وفي عهد خلفاء أرغون - وهما غازان وولجايتو - أثبتت جغرافية للعالم اشترك في تصنيفها علماء من مختلف الأقطار .

ولكن مع الأسف لم يمكن العثور إلى يومنا هذا لا على الخرائط السالفة ولا على علماء المؤلف الجغرافى للعالم . وما تلى ذلك من مؤلفات فهو فقير في مادته الأصلية . ولكن مع هذا فقد ترك لنا المغول - وخاصة تيمور - أوصافاً مفصلة لاسفارهم الحربية وحضوظ رحل حيوتهم التي كان يرسمها لهم كتابهم المعروفون باسم بخشيه . ثم ترجمت هذه الكتابات فيما بعد إلى اللغة الفارسية .

وقد تمكننا لأول مرة من الحصول على معلومات تختص بالجغرافية والمركز الاقتمدى لآسيا الصغرى وإيران عن طريق الجغرافيين والمؤرخين في بلاد المغول ، كما عرفنا أيضاً لأول مرة عن طريق المدونين المغول - مثل رشيد الدين دوصاف ، وروانبة المراكب العربية (مثل أحمد بن ماجد وسليمان بن أحمد المهدي) - شيئاً عن طرق التجارة البحرية في جنوب

شرق آسيا والتي نشطت من جديد أثناء نفوذ المغول في إيران والصين كما وصلتنا معلومات وأخبار دقيقة عن جزر الأوكشيل الملاي .

إن الجغرافيين المسلمين إذا ووزنوا بأمثالهم من اليونانيين تبين أنهم حطوا بالعلم خطوات واسعة بميرة كما استقصى ذلك بارتولد . لأنهم اهتموا بحياة الشعوب المدنية والاقتصادية والثقافية ، أكثر مما اهتم بها علماء اليونان كما وصغوا عاداتهم ولغاتهم وعقائدهم .

ثم إن تعيين خطوط الطول والعرض للندن كان مصبوطاً خاصة عن البيروني ، ووصف مر حل الطرق في البلاد كان أيضاً وافياً خاصة عند جغرافي العهد المغولي (حمد الله قزويني وحافظ أبرو) حتى إنه لو وضعت خريطة لإيران وما وراء النهر حسب معلومات هؤلاء لوجدناها لا تختلف اختلافاً بيناً عن الخرائط المستعملة اليوم .

ولكن مع الأسف نجد أن المصادر الجغرافية الإسلامية خاصة في الشرق نفسه ليست في متناول المهتمين بهذا الموضوع ، وكانت العناية حتى الآن موجهة نحو الطبقات القديمة للجغرافيين الأقدمين (ومنها ما نشره دي جويه ونالينو ومزيك) ، ولكن لم يترجم منها إلى اللغات الأوروبية سوى القليل (مختصر ابن خردادبه وقدمه وجزء من الخوارزمي ثم المقدسي وابتاتى) ولا يزال من المتعذر العثور على بعض مؤلفات أعلام الجغرافيين (مثل مؤلفات الجيهازي ومفصل ابن خردادبه ، وكتاب صور الأقاليم لرشيد الدين) ومعظم ما وجد إلى الآن من هذه المؤلفات لا يزال بهيئة مخطوطات محفوظة في مكاتب الممالك المختلفة ، وهذه المخطوطات الممتدة في المكتبات المختلفة لم يتح إلا للقليل من العلماء دراستها وهي دراسة غير كاملة (مثل بارتولد ولستراخج . وإذن فهذه المؤلفات تصبح لها قيمتها الفنية إذا هي طبعت مشفوعة بالانتقاد والتحليل .

وإنني أقول : « الانتقاد والتحليل » . لأن المصادر الجغرافية الإسلامية لها أخطاؤها بقاءً ومعظمها - وخاصة ما ألف بعد القرن العاشر - تبرز منه صورة ميرة للجغرافية التاريخية لذلك العصر أيضاً . فالجغرافيون - ما بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر - كالأدريسي والدمشقي (وهذان مترجمان إلى الفرنسية) والبكري (ماعدا تقريره عن غرب أفريقيا) والممرى (وهذا مترجم جره منه) ومعهم البلدان لياقوت الحموي ، يصورون الدنيا ليس فقط كما رأوها هم بل كما وصفها المؤلفون الأقدمون أيضاً ، وكثيراً ما ذكروا ما كتبه هؤلاء الأسبقون دون الإشارة إلى أسمائهم . مثلاً الإدريسي يجمع بين تقارير الأقدمين من المؤلفين المسلمين واليونانيين مع تقارير معاصريه دون أن يذكر أن هذا المزج من عنده هو ، وهكذا انتقلت هذه الأمزجة بعد إلى مؤلفات خلفه ومنهم ابن الوردي وابن سعيد الأندلسي .

لذلك أصبح من السهل أن يقع الإنسان في الخطأ فينسب تقارير المؤلفين الأسبقين إلى

المؤلفين المتأخرين . ومع ذلك فهذه التقارير إذا حقق بالبحث الانتقادي التحليلي مصدرها فقد يمكن في بعض الأحيان الوصول من وراء ذلك إلى بيانات عظيمة القيمة . وحتى المؤلفين في القرنين السادس عشر والسابع عشر مثل الشيخ أبي الفصل العلامي وأمين أحمد راري في الهند وكاتب جلبي في تركيا ومحمود بن ولي في تركستان (وهذا الأخير مؤرخ من العصر المغولي المتأخر وقد عثرت على أثر مؤلف جغرافي له سنة ١٩١٤ من بخاري) قد استفوا معوماتهم من مصادر مفقودة الآن . كما أن أمين أحمد رازي استعمل مثل غيره كتابات جغرافية لرشيد الدين لم توجد الآن . وهكذا نجد أنه إذا عني بجمع ودراسة مثل هذه المؤلفات الإسلامية الجغرافية في العصر المتأخر دراسة تحليلية انتقادية ونشرت لكونت كثيراً من المصدقين من علماء تاريخ الثقافة العالمية .

وهذا أريد أن أعطي مثالا يرى كيف أن الدين أوجدوا العلوم الجغرافية الإسلامية كانوا يدركون تفوقهم على اليونان ويعتقدون بمقدرتهم الشخصية ويعرفون حق المعرفة ما يجب عليهم أدائه نحو العلم . وهأنذا أذكر نبذة من كتاب لم يسبق نشره للبيروني عن أصول التحقيق الجغرافي ، وهذا الكتاب تمت في سبتمبر سنة ١٠٢٥ في غزة (في فغانستان الحالية) والنسخة الخطية الوحيدة بخط المؤلف موجودة في مكتبة جامع محمد الفايح باستانبول (غزة ٣٣٨٦) قال :

« إن غرضي هو معرفة خط الطول لبلد معين على سطح الكرة الأرضية وهو غرضي . فإني الآن أمكنني أن أحقق خط عرضها ، أما عن خط الطول فقد عاقتني عدة موانع عن إيمان التثبت منه ، ولكنني لو كنت ألتبس لنفسى عذراً بهذه العوائق لكنت كافراً بأنعم الله تعالى الظاهرة والباطنة . ثم بفضل ولي النعمة التي يسبقها على (الأمير محمود الغزنوي) . ولكن كانت هناك موانع أخرى وهي عدة مشاكل علمية وحلها يدعو الله سبحانه وتعالى التوفيق ولم يفل عزيمتي في سبيل حلها الوقوف على شفا الخطر روحاً وجسماً . وإني سأسارع في تحصيلها وإتمامها قبل حلول الأجل . فإني أقول إن معظم المعلومات في كتاب الجغرافية (لبطليموس) عن الطول والعرض لبلاد معينة من سطح الأرض مصدرها السماع من أما كن مختلفة شاسعة البعد وباستخدام هذه المعلومات لا بد أن يكون لبطليموس قد سلك الطريق الصحيح . وعلى كل حال فالأساس الذي بنيت عليه هذه المعلومات هو المسموعات ، لأن تلك البلاد كانت متمدة الوصول بسبب التباين للملئ . نعم لأن هذا التباين الملئ كان العائق الأكبر للسياحة في البلاد . فنحن نرى أن بعض الشعوب - مثل اليهود - تعتقد أنها تكون مقربة إلى الله إذا اغتالت أضدادها من الشعوب الأخرى . أو أن بعض الشعوب - مثل الروم - كانت تعتبر الأجانب عبيداً . وهذا

هون عاقبة . أو أن السائح لكونه جنسياً في تلك البلاد قد يعتقل وتحوم حوله الشبه المختلفة
فيكون مركزه محفوظاً بالمخاطر .

ما الآن فقد تغيرت الظروف، فإن الاسلام امتد من شرق الارض إلى غربها حتى الاندلس
وبس شرقاً حتى حدود الصين وإلى أواسط الهند وجنوباً إلى الحبشة وبلاد الرافدين (يعني جنوب
أفريقيا) ولأرخبيل الملايو وجاوه) وشمالاً حتى بلاد الترك والصقالية (السلاف) وجمع
أمة المختلفة على أساس الألفة التي هي صمم «تفرد الله به». ولم يبق منهم إلا ما يكون من
سد دوى العبث وقطاع الطرق وصارت البقية المصرة على الكفر تهاب الاسلام وتعظم أهله
وبهائمهم . فأصبح آتخذ تحصيل الانباء الجغرافية بالسمع أوثق وأصح . فكثيراً ما نجد في
كتب الجغرافية (لبطليموس) بعض المواضع موقفاً في شرق مواقع أخرى بينما تكون في
حقيقة المشاهدة غريبة الموقع وبالعكس . والأسباب التي أدت إلى هذه الأخطاء إما ناشئة
من ضعف أبعاد المراكز التي بنيت عليها خطوط الطول والعرض ، وإما ارتحال الأقوام
من هذه البلاد إلى مواطن أخرى مع نقل أسماء هذه البلاد معهم . انتهى كلام البيروني .
وبدا تبيننا من هذا المثال كيف أن البيروني كان يعلم جيداً أنه ومعاصروه من الجغرافيين
سبهم في ظروف أسعد من ظروف المؤلفين اليونان، فإننا نرى أيضاً في كتب أخرى لهذا
ملازم أنه استفاد من هذه الفرصة إنما استفادة لكي يزيد في معلوماته وينميها، ويبدو لنا أنه
إن - إنما شغوا بالاطلاع على كل حديد في العلوم التي نهضت بالتوسع الدول الإسلامية في جنوب
ووسط آسيا في عصره .

ثم إن لهذه القطعة التي ذكرناها للبيروني مغزى آخر فهي ترينا كيف أن عالماً خوارزمياً
حوارم الآن في تركستان الحاضرة) قدر انتشار الاسلام في وطنه وفي بقية العالم أجمع
ورحب بتعاون الشعوب المختلفة في سبيل المدنية نتيجة لدخولها في حوزة الاسلام .

وفي حوارزم - في عهد البيروني - لم يكن هذا التعاون مقصوراً على المسلمين بل تعداه إلى
سيحيين . أما الآن فإننا نعيش في زمن يظن في فيه الشعور القومي شيئاً فشيئاً في أنحاء العالم،
وكذلك ظهرت بين المسلمين من غير العرب بسبب نمو ذلك الشعور مصادمة لعالمية الاسلام
وتدبرع اللغة العربية، ولكن يصبح من الخطأ الفاحش أن يهمل ذلك الدور الإيجابي الذي
به تعاون الشعوب في العصور الوسطى في آسيا بسبب الاسلام أو أن تعد أعمال علماء المسلمين -
سواء كانوا إيرانيين أم أتراك أم هنوداً أم غيرهم من الشعوب في نظر الحركات القومية
مصرية - باطلاً أو جدرة بأن تطرح جانباً أو أن تنسب مؤلفاتهم التي كتبت باللغة العربية إلى
قائمة العرب السياسية في ذلك العهد .

ولم يفت البيروني أن يقدر - بشعور صحيح أيضاً - أثر التعاون الذي قامت به الشعوب المختلفة في ميدان الثقافة في مؤلفاته الأخرى. وكان الاسلام في نظر البيروني مدينة أكثر منه ديناً. واللغة العربية لغة علمية أكثر مهالفة للقرآن .

وكان توطيد قوة الاسلام في مبدأ الأمر في وسط آسيا قائماً على التوافق بين انتشار النفوذ السياسي للعرب وبين ميل تجار تلك البلاد إلى ترك نظام الإقطاعيات الذي كان سائداً هناك، وقد خدموا الاسلام إذ ذاك مثل المبشرين حتى في الأماكن الشرقية النائية الخالية من النفوذ السياسي للعرب . مثلما أنهم فيما بعد في الربع الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) خدموا جنس كبير المجوسي ضد إخوانه المسلمين مثل حواريهم شاه وغيره من ملوك الطوائف الذين كانوا يحكمون على نظام الإقطاعيات الذي عمقته هؤلاء التجار. وذلك لأنهم رأوا مصلحتهم التجارية في ذلك .

ثم إن احتلال العرب للتركستان لم تصحبه ذكريات مؤلمة عند الشعب التركستاني بحسب ما كانت الحال عند الشعب الإيراني . وقد تكيف الاسلام بالتدريج بما يطابق روح ذلك البلاد حتى إنه في زمن البيروني كانت "سلطة السياسية كلها في أيدي المسلمين من أهل البلاد أنفسهم ، فكان الاسلام عندهم ديناً يحمل فكرة إرشادهم إلى سبيل التعاون بين الشعوب المختلفة فصادف ذلك هوى في أئمة عوامهم مثل البيروني .

ويجب أن نتذكر جيداً أن ما أمكن الإتيان به من العظماء في التاريخ قام على أساس تعاون الشعوب في فكرة واحدة . وذلك لم يكن جلياً في تاريخ نهضة الثقافة الإسلامية في العصور الوسطى فقط بل في جميع أدوار تاريخ البشر .

وعندى أنه إذا عني بنشر المدونات الجغرافية الإسلامية مع التحليل والانتقاد كما يسبب آتقاء عن طريق اهتمام الهيئات الإسلامية الحاضرة من جهة، والتعاون العملي مع علماء أوربا من جهة أخرى، لا يمكن أن تهيأ تربة صالحة لبذور التعاون الجديد المنمر لهذه الدول والشعوب الإسلامية .

ومن الواضح الجلي أن دراسة تاريخ ثقافة العالم الإسلامي تقوم على أساس متين إذا لم تبق كالسر محصورة بين علماء اللغة والمستشرقين ، بل باتساع نطاقها من جهة البحث والتدقيق حتى تشمل كل الدوائر العلمية العامة . وكذلك إذا أصبحت هذه المصادر الشرقية لجميع فروع العلم في متناول معاهد العلم وكتلياته التي تشتغل بالبحوث في تاريخ حضارة البشر .

فلهدا اعتقد أن ترجمة هذه المصادر الجغرافية الإسلامية وسائر مصادر تاريخ المذبة الإسلامية إلى أمهات اللغات الأوروبية واجب تشترك في تأديته جميع الشعوب المتحضرة في العالم .

الحفريات في العراق

للاستاذ محمد يحيى الهاشمي

مدرس اللغة العربية بجامعة برلين

شوق العظيم لمعرفة المآدان المنتشرة في البلاد العربية جميعاً من الخليج الفارسي إلى جبال الأطللس ساقى للاطلاع على كثير من البعثات الغربية الذين أموا بلادنا لدراساتها من كل الجهات؛ فبعد أن درس الأوروبيون أرضهم وعلموا ما فوقها وما تحتها شراً شرباً طافوا آفاق العالم ليدرسوا الأقطار البائية عنهم، لأنهم يودون أن يعرفوا الحياة كما هي؛ ومعرفة الحياة كما هي اضطررتهم أن يفحصوا كل نقطة من النقاط كي يعتمدوا عن الحكم المستعمل. هكذا تواضعوا لمعرفة وجمعوا قوامهم وسعوا سمعهم نحو هدفهم فتقدموا وهكذا تقاعسنا ونمنا فتأخرنا. لقد اكتفينا بالقليل، وإذا علم أحد منا شيئاً سيراً ظن نفسه أنه أدرك علوم الأولين والآخرين. تعودنا ألا نشجع بعضنا بمصداً على العمل فنبط همتنا ونعش بذلك في دياجير الضلمات لا تفتح أعيننا لرى ما في السكون. أو يطرأ أن نرى العلماء الأوروبيين من ألمانيا وإسبانيا وإفريقيا وهولنديين يشتغلون في استنباط علومنا ونحن لا نفكر في هذا الموضوع التفكير اللائق.

ولو ترجرون الطير يوماً علمتموها لما تحته من عثرة وشتات

هل علمت أيها الأخ أن الأوروبي يدرك مدنيتنا وقيمتها العلمية والتاريخية أكثر منا؟ لا نعتبر بالبعثات من شتى المدن؟ ربما يقال إنا قوم فقراء، وليس عندنا من المال ما يقوم بنضوب للبحث والتنقيب والاشتغال العلمي والنهوض بآمتنا السريعة.

نعم إنه لسكذلك ولكن التكاثر والعمل المشترك يربل كل عثرة؛ أما الإهمال فينبط لهمة ويكون سبباً لأن يعيش بعض أبناء وطننا المختصين بمبشرين في العالم لا وطن يأويهم ولا شمس يأخذ بيدهم، ينفرون إلى الشرق بحثين وألم وإلى الغرب باعجاب وتقدير.

وإذا سردت هنا شيئاً طفيفاً عن بعض التنقيبات في العراق؛ تلك الأرض التي أشغلت عباد الأوروبيين عصوراً عديدة، علمنا ما هي الهمة العظيمة التي يبذلها الأوروبيون متكاتفين ليدلوا حصاء كل شيء، والاطلاع على كل حقيقة.

العراق: أرض الحضارات المريقة الأصل، موطن آشور وبابل، مشيد إيوان كسرى، مقر الخلفاء العباسيين، جذبت قلوب كثيرين من البعثات الكبار الذين وقفوا جل حياتهم

لكشف الغطاء عن مدينة من تلك المدينيات ، حيث في هذه الأرض ذات الوثائق التاريخية القيمة المنعمودة تحت التراب التي تهيئنا عن مسألة عديدة وتحل لما جهم الآثار .
والذي يجلب دقة نظر الأوروبيين اليوم . كيفية ولوج المدينة الإسلامية في فارس والعلاقة ما بين الساسانيين وهم الفرس قبل الاسلام ، وأوائل المدينة الإسلامية في العراق . فهناك كانت حروب طاحنة بين الفرس والروم ، وبين العرب والروم . وكذلك بين العرب والفرس .

بلاد ما بين النهرين كانت الطريق الوحيدة إلى الهند في العالم القديم الموصلة بين الشرق والغرب ، والتي يجري فيها نهرا العظيمان : الدجلة والفرات العاملين على خصب أراضيها . فلا غرو أن تكون تلك الأرض مطمح أنظار المتحجب منذ ذلك الزمن البعيد الذي دون له التاريخ عنه أخباراً ضئيلة .

ولقد تحول كثيرون من الأوروبيين للبحث والتنقيب في تلك الأصقاع : فمنهم من كان يبحث عن المصادن والزيوت ، ومنهم من كان يسعى لبش تراث الأقدمين ليقرأ أخبارهم ، ويرمي نظرة عميقة في طراز حياتهم الماضية . ولقد رأى الدكتور شتيد المعاون في متحف قصر ويلهلم في برلين في الشعبة الإسلامية ، آثار مدينة سامرة « سر من رأى » ، تلك المدينة التي بناها الخلفاء خارج بغداد على شفة نهر الدجلة ليعيشوا قسماً من حياتهم بعيدين عن ضوضاء المدينة وفي سكون الضيعة الهادئ . ولو رأى الانسان تلك الآثار من مدينة (سر من رأى) في المتحف لكاد يظن أنها غرف حديثة ليست ملبوسة من الآثار القديمة . لأن الاعتناء والدقة والاهتمام بالشيء يجعله قريباً من كيانه الأول .

اشتغل البحااث الألمان في جمع آثار هذه المدينة قبل الحرب العامة ، وقد جمعوا ما قدروا عليه . أما اليوم فيشتغلون في العراق في تلك المدينة المهمة جنوبي بغداد ، التي جمعت آثار ثلاث مدينيات : « مدينة العرب والفرس والروم » : ألا وهي مدينة كسرىفون التي يسميها العرب « المدينة العتيقة » .

ساح الأستاذ سائر Sarr مدير السابق للشعبة الإسلامية لمتحف برلين عام ١٩٢٠ في أرض العراق . وأدرك أن كثيراً من التسميات الدارجة على الأفواه لا تطابق الواقع . مثل القصر الذي يزعم أنه إيوان كسرى هو ليس إيوان كسرى بل هو قصر رومي . استدل على صحة قوله من طراز البناء والمخطوطات الموجودة فيه . وقد رأى ضرورة القيام بحفريات وفقدت خطته عام ١٩٢٨ بمساعدة الجمعية الألمانية لدراسة الشرق وجمعية إسعاف العموم .

كتريفون

عن العصر الذهبي لكتريفون يخبرنا كثير من كتاب العرب والمؤرخين والجغرافيين المبعثرة
مخطوطاتهم في شتى حزائن مكتبات أوروبا ، ولكن لم تنظم تلك الوثائق التاريخية حتى هذا
اليوم . وتصير سهلة الاستعمال . وهذا الباب لايزال مفتوحاً لمن أراد أن يبحث ، وقد استخرج
من تحت الأرض كثير من آثار البناء العارسي لحزانات القصر المعروف بـ (ثق - كسرى)
من كتريفون ، واستخرج أيضاً بعض الآثار من أوائل العهد الاسلامي في مدينة « سلمن -
باك » أي سلمان التقي .

والمدينة الثانية المهمة هي مدينة زليخة التي كانت مقابلة لكتريفون على ضفة نهر الدجلة ،
ولكن النهر لايجري اليوم من مدينة زليخة ، بل بين طلال كتريفون . ويشاهد حليا آثار
ضفة النهر القديمة ، وهكذا غير لنهر مجراه على معر الدهور على ما كان عليه في السابق .
وتلك الآثار التي جمعت موجود قسم منها في متحف بغداد ، والقسم الآخر في الشعبة الاسلامية
بمتحف برلين . وقد سنت اليوم الحكومة العراقية قانوناً تمنع فيه إخراج الآثار ما لم يكن لها
منيل في البلاد .

ومند عامين تشكلت لجنة ألمانية أمريكية للبحث عن الآثار في العراق ، وقد كان يرأس اللجنة
الأستاذ كويل Kuenel مدير الشعبة الاسلامية بمتحف برلين الحالي . وذهب معه المهندس
لمهارى (واحسموت wachsmuth) للمهارى الشهير في مدينة ماربورغ في ألمانيا ، ومن الأمريكان
ذهب الأستاذ يوسف اوبتون Joseph opton للمعاون في الشعبة الاسلامية في متحف متروبوليتان
Metropolitan في نيويورك . وقد وجدت اللجنة مساعدة كبيرة من الحكومة العراقية ،
وتسكنت من اكتشاف آثار جمّة في فن البناء والزينات المنزلية القديمة ، ولايزال المدققون
والمختصون في الآثار وتاريخ الفن اجميل يشتغلون في كشف ألقا تلك الآثار وفهم طراز
البناء الاسلامي القديم .

فعسى أن نعتبر بالسعي الخيبي الذي يبذله غيرنا في معرفة وطننا . فببذل كل جهدها
معرفة حالنا . ظاهراً وباطناً ، قديماً وحديثاً . ولا نكون أقل من الأوروبيين في معرفة
نفسنا وتاريخنا ومدنيتنا ، وربما ندرك ما أضعنا فنجمع قواها لنعيد مجداً مضى ومدنية
اندثرت ، وما ذلك على شبابنا الناهض الفتى بعزير .

محمد يحيى الهاشمي

مدرس اللغة العربية في جامعة برلين .

في حاة خمار

[بين خمر الديان وخمر الدنان]

جمع مجلس للشراب في حاة بعماد الدين جماعة من أهل الأدب . من بينهم الأستاذ حسين شفيق المصري . ووفد عليهم الأستاذ محمود رمزي نظيم . وهو صوفي أفلح من زمان عن اللهو والشراب ، والترم حانات صفاء الصوفيين - فشاء المجلس أن يفسد عليه التوبة ، فاتهمه بصعف الشاعرية إذا لم يقرع الكاس بالكاس ، ويرع منزعهم ويكرع من دنهم . فقال : دونكم والمساجلة الارتجالية .
والطلق شفيق ونظم : الأول بلسان الكاس والطاس ، والثاني يرد عليه بلسان الصوفيين ، فيترجم عن حان الألحان في صفاء الوجدان ، فاتتهى ارتجالها بهذه الحمزية الشائقة :

افصد الدن وهات	دمه فيه حياتي
واسقنيها فهي عندي	نزعة من نزعاتي
آه لو يدري بما فيه	ها غواة الصالحات
فهي للأرواح نور	في ظلام الشهوات
عصروها من كروم	مثمرات نضرات
وعناقيد تدلت	كالثرثريا زاهرات
قطفتها غايات	كالنجوم الساطعات
وتولّى عاصروها	نشر تلك النفحات
بأكروها وهي بكر	وأثوها في الغداة
بعد ما أشعل جمر الصـ	بيع فحم الظلمات
ذهّبوا منها كثر وسمّا	بطلاها حاليات
حملت ذوب نضار	من شعاع الشمس آت

هاهنا بين الندامى والحسان الخفرات
وانثر الزهر علينا بدرات بدرات
ذائب الياقوت هذا فاق سحر الساحرات
يطرد الهم بعيداً خلف ستر الغفلات
إنها الخرفه ماتت فهي للحظ المواتى
شفة الكاس بهامته ل شفاء الغائيات
وترى راشفها يتر عند الرشقات
هزة الواجد قد فاز ببعض القبلات
يابنات الكرم إنا نحن عشاق البنات
فتمالين إلينا فوق راحت السقاة
إنما أنتن للأر واح أرواح الحياة
كل شيء أنا فاسيه: سوى: خذها وهات
فأدرها واستقنيها تحت عرش الثمرات
إنها الأنس متاحاً في صفاء اللحظات
أيها الناهى! رويداً ياعدو الطيبات
إن في الكأس وفي العود مشار النشوات
أنا لولاها لما فارقته ظل الحسرات
لا ولا كنت طروباً إنها أحيت مواتى
كلما جدت همومي بددتها سكراتي
يا أخا كل غوى إتنا خير الفواة
عم بهافي الحان واطرب في الليالي المقمرات

لا تبح بالسر هذا بين أحلاف الصلاة
 إنما الخلد القوم عملوا للباقيات
 ليتنا بمننا فرحت من حياة الحياة
 بين ولدان وهور رآحلت غايات
 إنما نحن غصون وجناها للسمات

محمود رمزي نظم

حسين شفيق المصري

حياتي

لست أدري ولا إخال سأدري
 أنهكتني الآمال فكرياً وجهداً
 أستبين المأمول في ظلمة الغي
 فإذا نلته تبينت فيه
 ربما كن ما أنال كما شئت
 فعجيب تناحر النفس للعي
 وفجاء مروفه تتوالى
 إنهم فيه بين ماض دفين
 ورغاب ما بين هذين كنت
 أين أو كيف أستطيع حياتي؟
 وهي دون المرموق في المحاني
 مب قوى النهي سليم الأداة
 غير ما أبتغيه من رغباتي
 مت وتشويهه من العارضات
 ن وما طيبه لهم بالمواتي
 أو وجاء تنسل في الذات
 يبعث الحزن أو مغيب آت
 في مثار من الأسي مقفلات

عبد اللطيف ثابت

ولنعط الكلمة للمؤلف ليحدثنا عن منهج كتابه :

« . . . بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة على سيدنا محمد النبي وآله والسلام ، أما الذي أحقاره من الأدب فالخطاب البدوي ، والشعر القديم العربي ، ثم الشوارد التي افترعتها خواطر المتأخرين من اعلام الأدباء ، والنوادر التي احترعتها قراح الخدين من عيان الشعراء ، هذا الذي أحصله من ديب غيري ، وأقتنيه وتحتي به وأدعيه وأرويه من مناج ماتفسوا به وتنافسوا فيه ، ويصدق شاهدي عليه أشعار لنفسي دونتها ، ورسائل سيرتها ، ومقامات حضرتها ، ثم إن هذه حكاية عن رجل بغدادى كنت أعاشره برهة من الدهر فيبقى منه ألفاظ مستحسنة ومستحشنة ، وعبارات [عن] أهل بلده مستفصحة ومستفصحة . فأنتب خاطري لتكون كالتذكرة في معرفة أخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم . وكألا عودج المأخوذ عن عاداتهم . وكأنها قد نظمتمهم في صورة واحدة يقع تحتها نوعهم ، وتشترك فيها أشخاص ذلك النوع على أحد واحد بحيث لا يختلفون فيه إلا باختلاف المراتب ، وقوت المنازل ، ولعل صرت في ذلك كما قال أبو عثمان الجاحظ في فصل من كلامه : هـ . و : مع هذا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع محارج كلامهم لا يفاد من ذلك شيئاً » ، وكذلك تكون حكايته للمعربي والخراساني والأهوازي والسندى والزنجي . نعم حتى تجده كأنه أطبع منهم ، فأما إذا حكى كلام الفأفاء فكأنه قد جمع كل ضربه في كلام كل فأفاء في الأرض في لسان واحد ، كما أنك تجده يحاكي الأعمى بصورة بدشتها وجهه وعينيه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله ، فكأن هذا الحكى قد جمع ما هو مفترق فيهم ، وحضر جميع طرف حكايات العميان في أعمى واحد ، ولقد كان فلان يتف بيباب الكرخ محضرة المسكارين فينبق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حبير ولا متعب بهير إلا ينبق ، وقد يسمع نقيق الحمار على الحقيقة فلا ينبعث له ولا يتحرك كحركته . نصوت هذا الحمار كما وكأنه قد جمع جميع النغم التي تناسب نقيق الحمار فجعلها نقيق حمار واحد ، رتاحت لسماع ذلك نفوس جميع الحمير ، ولذلك زعمت الأوائل أن الإنسان إنما قيل له ليدلصغير سليل العالم الكبير لأنه يصور بيده كل صورة ، ويحكي بضمه كل صوت . ولأنه كل نبات كما تأكل البهائم . ويأكل اللحم كما تأكل السباع ، ويأكل الحب كما تأكل الطيور . ولأن فيه أشكالا من جميع أجناس الحيوان » .

وإذ قدمت هذه الجملة فأقول : هذه حكاية مقدرة على أحوال يوم واحد من أوله إلى آخره ، أو ليلة كذلك . وإنما يمكن استيفائها واستغراقها في مثل هذه المدة ، فمن نشد

سبها ولم يعد تطوين وسوها، وبصوها كفه على قلبه، ولا لحماً يرد فيها من عباراتهم فسور
معه يترى بها، لاسيما مع انتهائه منها إلى الحكاية البدوية لأدبية التي أردفها بها. ومع
لوحدها البلاء (ملح المادرة في لحنها، وحلاوتها في قصر متنها، وحرارتها في حسن منقها)،
كنت له من البسط جهده الممتع على غيره الممتع له^(١) ثم إن في مقدمة شوط مستعيره
وأستعيره من شعر أبي عبد الله بن الحجاج وهو قوله:

ياسيدي دعوة مَن شعره يجرى على العادة والعرف
لا بد أن يغفل عن لفظة طريفة يأتي بها سخفى

٣ — وهذه المقدمة تبين غرض المؤلف: فهو يريد وصف الحياة في بغداد لعنده، وسياق
الحكاية صريح في أنه قصد إلى وصف جانب خاص هو جانب العبث والنجون. والشريف في
روح المؤلف هو شعوره بأهمية تدوين العادات والألفاظ، وشارته إلى أن اللحن قد يكون
مخرج من الفصاحة في عرض الملح والفكادات، وأن السخف قد يكون وسيلة إلى شريف
الألفاظ في بعض الأحيان.

وأكثر ألفاظ البغداديين فيما دونه أبو المظهر غير قه وسية. معنى أنها لم تدون في المعاجم،
وبو المظهر يقصد إليها قصداً: فهو رجل مثقف العقل يجرى في درس اللغة على مباح. من ذلك
ما ينطق به المحدث:

— يا أبا القاسم، تعرف شيئاً من السباحة؟

فيجيب:

— يا أحمق! يا سوادى لا يحسن أن يركب البقر. وتركى لا يحسن أن يبرخ القوم! رواقه
سبح من الصفصع ومن التنين. تعرف من السباحة! وأعلم بحسنها فقد، سمك ولا بقدر. عرف
سبح الشق والزرع والغمر والاستلقاء والتراور والشكلبي والضاووسى والعقربى والمقرص
والمورون والكامل والطويل والمقيد، كان أستاذى في جميعها ابن الطوا والزنايرى.

وفي هذا الحوار يهملنا أبو المظهر أسماء العوم، وهى أسماء لا نجد شرحها كاملاً في
التواميس. ولا نجد في أهل زماننا من يعرف ما لها من مدلول، وقد تكون أسماء العوم في
سنة الرياضة المصرية مما يمت إلى لغات أجنبية. ولا يتف أبو المظهر عند هذا بل يفتق أحدث
ألفاظ الملاحين فيقول:

— يا أبا القاسم، أريد أن أعرف شيئاً من ألفاظ الملاحين وأحوالهم، فيقول:

— يحتاج أن تعرف ألوان المراكب في السفن والسميريات، والمراكب العمليات، والربزب

والكمدوريت . والبُلوع . والضبُطاب . والجُدَى . والحاسوس . ونور حات . والقورب .
والخيطيات ، والشلمى ، والجعفریات . (١)

ولحديث بقية فيها استقصاء لألفاظ الملاحين ، وهى خطة تذكر بتأصمه المسيو كولان
حين عاشر الملاحين المصريين ليعرف الألفاظ الفنية لأجزاء السفن المصرية . فانظر كيف
سبق أبو المطهر صاحبنا كولان عشرة قرون ! ويتصل بهذا تدويمه لمظاهر الحضارة في
بغداد . فقد سحر من أهل صمران إذ يحد السالك محال كريهة الأسماء مثل : « موضع الخدمين »
و « درب الصم » و « درب العمى » ، ويقول : « هل ترى عندكم من رباب الصناعات والمهن
مثل من أرى ببغداد من الوراقين . والخياطين . والحراطين . والزرايين ، والمزقين .
والطباخين . والمجانين . ومن لا يحصى عدداً من الخذاق المعجزين ؟ » (٢)

٤ - ولأبي المطهر صور فنية يقصد إليها رغبة في الدعاية ، من ذلك قوله في وصف مايق :
« وبقيس - حلال الأحاديث - على من بنيه من العيين فيناوضه ويتسمع من أحاديثه وينشأها
ويقول : ياسيدنا ! ذاك والله ليس كلام البشر ، إنما هو سحر يوله القيوب ولاسمع . كلام . وكرد
الشراب ، ورد الشباب ، بل كالنجم الحاضر . والشباب الناضر ، قطع الزهر . وعقد حجر
ما هو إلا كالشجرى بالولد الكريم . إني سمع الشيخ العقيم . حسن الديباجة ، صدى لرحلته
حبو المساع : يماق به المريض . ويجبر به المبيض ، يسود سامعه إلى السجود ، ويورى بحرى
الماء في العمود ، قد اتسع له بنود الله مشرع الإطباب . وانفجرح عنه مسلك الإسماء ، فهو
منتر الدر على الدر .

فيقول الذى على يساره :

في أن شئ . أتم ؟ فيغمز إليه بعينه ويقبل عليه ويقول :
ياسيدنا ! إياى محنة صلحاء بلا طافة شعر ، في كلام أثقل من الجبدل . ومن من الخضم
هذيان المحموم . وسوداء المهموم . لئله يتسنى الأخرس عن كله . ويفرح الأصم بصممه . وكلام
واقه يصدى الخاطر ، إن لم يمش اططر . كلام تقعر الأسماع من حزونه ، وتقجير الأرواح من
وعودته ، لا مساع له فى الأسماع . ولا قبول من الطبايع .

ثم يلتفت إلى العيين فينشده صاحبه الذى يليه شعراً فيقول :
أعيذه بالله . ما أصفى نظره ، وثقى درره ، وأغزر بحره . وأحكم نخته ونجوه (٣) ... لوجعل
خلعة على الزمان لتحلى بها ، كاثراً ، وتحلى فيها مناحراً ، شعر والله يختلط بأجزاء النفس . لأن
والله تصير أصدافاً لهذا الدر !

ويلتفت عنه ثانياً إلى اليسار فيقول :

ياسيدنا ! ما كنت تسمع ذا الشعر البارد العبارة ، الثقيل الاستمارة ، وتلك الإشارة

بوره . يسيدنا : بلا حلاوة ولا طراوة . ليس إلا قواء ويطاء وحقاء . لو شعر غرد الله
بما لما شعر !

ثم يقبل على المئين ثالثاً ويأخذ في تقريبه ويقول :

سيدنا بحمد الله كرم الأخلاق والأطواق . أبعد لسان وصافه . ولشرف سب سلافه ،
بأناس من كلالة . ولا فقر بها عن ضلالة . شجرة ضيئة أصلها في الماء وفرعها في السماء ،
لو نعمد الله في الكرم والجود بحر لا يشمأ وارده . ولا يفتقر بارده . لو أن البحر قدره .
بحب مدده ، والجبال ذهبه . لمصرب عما يهبه . وفي الماء البحر أمد لسبعة بحر . كأنما يومه
منه ثمر سبعة أنسر . شجرة فصل عودها أذب . وغصنها عذ . وثمرها عقل ،
بحمد الله مع خلق كسيم الأوار . على صفحات الأشجار . في فمحات لأشجار . حلائق
البحر ، والحيث في صفاء الشمول . أذكر من حركات الريح بين الرخا . جد كمو (١) .
وهزل كحديقة الأورد ، سبعة ناست ، وتفاحة فانت . وعشرة يكاد مؤها يقطر . وصحوها
بمارة عطر . ثم المنظر الذي تهر وضائه العيوف ، متبرقم والله ببديع الجمال . متعود
من الكمال . متخلل محائل الأمثال . نحى والله من الويل ، على النحل . الخلق وضى . واخلق
والفصل مضى . محاسن أنا والله منها في روضة وغدير . بل في جنة وحرير .

فمنتهى إلى من يليه ويقول على العادة في المفاق والخبث .

وثة سخنة عين عصارة لوم . في فؤاده حبث ، كالكمأة لا أصل لها ثابت ، ولا فرع
و قذف والله اللين بذؤمه لصفئت أنوار نجومه . لا يبيض حجره ، ولا ينمر شجره ،
لا يروى . وزند لا يورى ، قالب جهل مستور بنوب ، يثمر في عنان جهله . ويتساقط
بوح حرقه . صخرة حنقها ، لا تستجيب لدرتقى . وحية مماء لا تسمع إلى الرق . كأننى
ببرته شفر منه عوداً ، وهز طوداً ، ثقيل الطلعة ، بفيض التفتيل والجملة . ينحى ثقل
فانت نعاد . ويمشى على العيون والأكباد ، هو والله في العين فذاة ، وبين النمل والإحص
بأنان وجهه على الحقيقة هول . المطلع النحس يطالع من جبهته . والخل يقطر من وحنه .
بنت على المئين ، وكلام لا يسوغ في الأذن . ما كنت أدري والله يحدث ثم يحدث ،
دان كنه أمد (٢) من مخرج ثقله ، لا يفرق والله بين محساة ومفساة ... الخ (٣) .

ور ما يلاحظ في هذه الصورة كثرة التسم . وكانت ذلك لهذه المؤلف من طبيعة
والسورة عادية من حيث السياق ، فليس فيها تخيل أو طبيعة المفاق غير هذا الوضع

البسيط. وهو التمون والنقلب، والظهور بوجهين. وتلك تظهر ما في شيم المتأففين.

وليس لأبي المظهر يد في توين هذه الصورة فهي جملة من الحامد والمفاح جميعها من نفاذ معاصره، وكما نشرنا في النص لفرنسي إلى أنه اقتبسها من كتب النعالي. ويظهر لنا الآن أن النعالي هو الذي اعتمد على أبي المظهر في نظم هذه الصور الفنية.

٥ - ومن هذا الباب ما كتبه في وصف الثقيل :

« يا أول ليلة الغريب ، إذا بعد عن الحبيب . ياطلعه الرقيب . يابوم الأربعاء في آخر صفر . يالقاء السكاكوس في وقت السحر ... يا خراجا بلاغة ، ياسفراً مقروءة بعة . يا أخلق من نيسان ابن حرب . يا أشام على نفسه من ضربة وهب . يا بفص من قدح النسياب في كف المربس . وأكر من نظر المفلس في وجه الغريم البغيض ، يا أسن من الكنيف في سحر الصيف ، وأسن من طلعة البغيض عن الصيف . يا وجه المستخرج في يوم السبت . يا إفطار الصائم عن الخبز البحت . يا برد من الشمال في كانون . وأوسخ من قراش الجرب المبزون . يا قذر من ذباب على حمس رجب . وأحقر من قملة في أذن كك ... يا مذر من جنبه الدباغين ، وأتن من رخ القصابين . يا بلد من حضيض الحمام ، وأتن من حانوت الحمام ، يا قذر من ملين السماكين . يا أوحش من شحم الظلم في عين المظنوم ، وأكره من صوت لبوم ، يا صشم اغموم ، يا ربح من غم الدين . وشد من وجع العين ، وأوحش من بكرة يوم البين . يا ليلة المسافر . في كانون الآخر . يا كاف بأس . وبرد قارس ، يا دل من ناسج برد . ودابغ جلد . وراكب قرد . وسائس عرد . يا قسن من طيبي يعربد عن الدماء . ويقترح أنواع الغناء . ويتشهى بعد أكل الغذاء والعشاء . لون الصيف في الشتاء ، محتملاً لاسق . فضاء على المغنى . يوانب ويندى (١) . يا شد في الآخر ومن تطاول الحجب . وعبوس لبواب . وجمء الحجاب . وسوء المنقلب والإيب . يا شد من كربة صاحب المتاع السكسد . وأضيق من قلب السكاشح الحاسد ، وأكر من الاستيعاب السعن البارد . يا كره من هجران الصديق . ومن المظر إلى زوج الأم عن الريق . ومصيق الحريق . بل من سوء القضاء . وحيد البلاء . وشحاتة الأعداء . وحسد الأقرباء . وملازمة نمره (٢) وخيانة الشركاء . وملاحضة اللئلا . وملاسة السفهاء ، ومساءلة البخلاء . ومعاداة الشره (٣) .

وقد نشرنا في النص الفرني إلى أن هذه الصورة منقولة عن رسالة الخوارزمي . ونرجح الآن أن الخوارزمي هو الذي حاكى أبا المظهر في وصف الثقيل . لأن الخوارزمي مات سنة ٣٨٣ و ٣٩٣ . وثو المظهر كان شاباً ماجناً في سنة ٣٠٦ . فمن المستبعد أن يكون عاش ثوبلاً من انتصاف القرن الرابع . وقد عدنا فوارنا بين الرسالتين : رسالة أبي المظهر . ورسالة الخوارزمي .

يوجد « تموافقن في العماض. وتختلفان في العماض. وفي العبارات المتقاربة تظهر الدقة في جانب الخوازمي ، فأبو المظهر يقول :

« يا من الكنيف ، في سحر الصيف » ، والخوازمي يقول : « يا كنيف السحن في الصيف » ، وهي عبارة أقدر وأشتم .

ورسالة الخوازمي طويلة جداً ، ولكن هيئات أن يصل إلى ما وصل أبو المظهر من الإحاش والإقذاع . فإنه شر أهاجيه في كتابه شر الشوك ، وهذه الأهاجي البشعة من مظاهر الحضارة في بغداد . ونعبد القريء أن يدعش من ذلك . فإن الحضارات تقضي فنوناً من المذائب والمذال لا تستطيعها البداوات . وعيوب أصحاب الحرف والصناعات . وردائل المترفين ومساوي المؤسرين لا تعرف إلا في الخواضر المزهرة . ومن أحل ذلك اتخذنا أهاجي أبي مظهر عنواناً على قوة الحضارة في بغداد . وهل يستطيع البدوي أن يفهم كيف تكون الحضارة في حفة الدباغين ، ورع القصايين ، وطين الكنيص : هيئات ! ففدك وأمنها بلالاً لا يعرفها إلا الحضريون .

٦ - ومن ضريف الصور ما جرى به قسه في وصف الجبال . وهو كاهل عصره يتحدث عن جمال النساء وجمال الغلمان ، ففي الفن الأول يقول :

ودودة البغداديين ومحونهم أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يذكر . فاضنت بحر عوبة من بيت الموك قد جمعت الذكاء مع الملاحاة ، والغضنة مع الصباحة . . . قد أطر الغناء شارها ، وروى الإياد حاجها . ورخم الدلال لفافها . وقتر النعيم لحاظها ، وأرهدف الظرف عطاها ، ولألت المعمة أطرافها . ولد لراشف مقبلها ، واغتص بالبرني محلحها . وأطر ماء النعيم بين يمين وحملها . وترفرق جريال الشباب على صفحاتها . وتورد من صيف الحياء حدها ، واهتر من بصارة نصبا قدما . وشخص لطراوة نهدها ، وارتجت من الشحم روادفها ، وتشربت راحلن سوا الفها . ثم أعيدت ساخطة على محبها . وقد قبض التيه جبينها . وشمتت النحوة برينها . وضقت نمدد عليه ذوبه بأناملها المترفة . وتأبى قبول معاذيره المزخرفة ، حتى إذا شغ عشقها في الاستسنة والخضوع . وبلأ كمامه بسوارب الدموع ، اقترب مبهتمة عن شنت الدر ، وصحت بلفيف كلامها على ذلك الجوى والحر ، ثم أقبلت نرجستها تدمعان راحة مشقه المبتى ، فترى والله حباب الدموع وخر الخجل . وتقسأ تموت فتحبيها براد من القبل ، وشمتت بمد ذلك زيارته في ملاءة من الللام ، ووافته وهو ساد في ساعة الأحلام ، وقد يرى نهمها ربح المسات العتيق . وعبق الجومنها بريا الراح العتيق . انشنت متبيلة وقد بين البهر غلائلها . ودر الآين مفاصلها ، ورعد الوجد فرائصها ، وغمز المشي أحماصها ، وحملت تمس عليه بالممامها ،

وتدعى فصل غرامها ، وتناسم من أحاديثها بما هو قرأ بعينه . وشهس إلى نفسه . من ضل
بقائها . وبوغ نملها . تدوى بالخطاها . وتدوى بالخطاها . تروى بمقتها . ونحوي بقبنتها . الخ
الخ . (ص ٧٦ ، ٧٧)

وفى الفن الثانى يقول :

« تم تشغلنى بأبله ، وتسألنى عن الأباطيل . وتقطع كلامى بما لا يفيدك ؟ ما أرى والله
رأس أحدكم غلاماً نظيفاً غنج الحركات . حو الشائس ، حنت الأعطاف ، بابى العطف
يمشى بخصر دقيق . وردف تقيس . غنت عليه المناطى ، ودل على حسن صنعة الخياط ، حذاه
جلمار ، وعيناه ترجس . وشاربه زمرد . وشفته مرجان وعقيق . ونفرد در . وريفه رحيق .
كأنه دينار منقوش . أو جرعة عسل . . . لو جذب عصو منه انقطر ، ريق من نسيم الهواء .
وألذ من الماء بعد الظما ، كأنه طاقة ريحان ، أو غصن بان ، أو قصيب حيران ، أو صافى
ريان ، كأن جبينه هلال ، وكأن حاجبه خط بقلم . كأن عيذه عينا جوذر . وكأن أنفه حد
سيف . وكأن وجهه الحمر ، أو لون الراح ، وحمرة التفاح ، أحسن من نور زهر الربيع الباكر
على النمنن الروى ، أحسن من الروض المطور ، كأن شاربه طراز بنفسج على ورد جنى
كأن شاربه زبر الخضر . وعذاره طراز المسك الأذفر ، على الورد الأحمر . إذا تكلم
يكشف حجاب الزمرد والعقيق ، عن الدر الأنيق . . . كأن فيه حلقة خاتم ، وكأن نفرة البرد
أو أقحوان تحت غمامة ، كأن فاه الحمر ، نبت فيه الدر ، كأن عنقه إبريق فضة كأنما
ليس بدنه قشور الدر . كأنه فضة قد مسها ذهب . كأن بطنه قبطية ، وساقه بردية . وقدمه لسان
حية ، كأن وجهه الشمس . وكأنه دارة القمر ، وكأنه المشتري ، وكأنه الزهرة ، وكأنه الدر .
وكانه الغمامة ، أظهر من الماء الزلال ، وألذ من معانقة الخيال ، وأزهر من النار ، وأزكى من
الأرض التى تبت البنفسج . . . كالظبي الغرير ، والقمر المير . والغصن النضير . والمهاة على
الفدير . . . الخ (١) » .

وهذه الصور أيضاً منقولة عن معاصريه من كتاب القرن الرابع ، ودليل ذلك أنها حلت
من الرباط الوثيق الذى يجمع بين «واصر» لإنشاء المتن ، فهى توصف حشرت حشراً . ولم
يتكاف الكاتب إلا التقاطها من أزامير الأسجاع ، بحيث يصعب التمييز بين ما نقله وما ابتدعه .
وإن كنا نجد جودة القصص فى مثل قوله يصف غلام ابن عرس :

« كان إذا حضر ألقى إزاره وقال لأهل المجلس : افترحوا واستفتحوا ، فأنى ولدكم . بن
لنكم . خدمكم بضائى ، وأساعدكم على رحصى وغلايى ، من أرادنى مرة واحدة ثردته ألف

مرة . ومن أحبني رياءً أحببته خلاصاً ، ومن مات لي مت عليه . لم يخل عليكم بحسني وشارفي ؟ ولم أتعسر عليكم ؟ وإنما خلقت لكم ، ولم أتناول عليكم ، وأنا غداً مضطراً إليكم ؟ إذا بقل وجهي وتدن سبالي . ونولي جمالي . وتكسح حدي . وتموج قدي . حاجتي والله إليكم غداً تشد من حاجتكم إلى اليوم . لما الله سوء الخلق ، وشراسة الطباع ، وقلة الرعاية والحفاظ . . . الخ^(١) .

٧ - وقد وصف الخمر في ثمان كن متفرقة من حكايته ، أظهرها ما جاء في صفحة ١٠٩ و صفحة ١٣٧ . وهي كذلك صفات نخدها عند معاصريه ، فلا موجب لعرضها في هذا القدر . ونشير إلى ثمان متطرفة وصفه للخمر بأنها « روق من دين أبي نواس^(٢) » ! .

٨ - وقد يلقاك أبو المطهر بنظرات فلسفية يعمل بها غلبة التجون على الناس ، فقد وصف أحد المؤمنين في زمانه بأنه كان إذا سمع غناء تمرغ في التراب ، وهاج . وريد ، ونعر ، واستمر ، وتس بنانه ، وركل برجله ، ولطم وجهه ألف لكمة في ساعة . وهنا يسأل السامعون :

— يا أبا القاسم اكل هذا يجري لسمع غناء ؟
فيقول :

— « هذه صورة إذا استولت على أهل مجلس وجدت لها عدوى لا تمك ، وغاية لا تدرك . لأنه قل ما يجو الإنسان من صبوة أو صباية ، أو حسرة على فائت ، أو فكري متمنى ، أو خوف من فليعة ، أو رجاء لمنتظر ، أو حزن على حال ، فالناس كأنهم على جذبة واحدة في هذه الحال » .^(٣)

٩ - وقد عرض لفكاهات البغداديين ونوادرج في غير موضع ، وهي في الأكثر فكاهات ماجة لا تحسن روايتها في هذا الفصل ، ولا بأس من إيراد هاتين النادرتين :

استمرض رجل جارية مليحة وتوقف عن شرائها لمرج كان بها فقالت : إن كنت تريد جلا تحج عليه فما أصلح لك ، وإن كنت تريد جارية للتمتع فالمرج لا يمنعك من ذلك .^(٤)
وقل آخر لجارية : ليتك أمسيت تحتى ! فقالت : نعم ياسيدي . مع ثلاث آخر !^(٥) متى إذا كان على الجنابة .

وفي الكتاب قصص كثيرة عن مجون أهل بغداد وحلابة مغنيهم وقيانهم ، ووصاف سابقة لسهراتهم ومجالس لهوهم وأنسهم .

ذلك كله بأسلوب جميل جذاب يحمل الفارغين على تشبهى اللهو والتجون .

(١) من ٨٥ (٢) جزء في ١٣٢ (٣) نشاء الشراب يطوى على ما فيه من الخطأ ، أو شاطو تعريب ، و صوابه (بساط) و « متعة الابطال » تنزل الشيوخ كالأطفال و (الاطفال) بحرفة ، و الصواب (الارضات) و « بأحد من قديم . و بصحت من قديم » و (قديم) بحرفة ، و الصواب (قديم) .

(٣) من ٧٨ و ٧٩ (٤) من ٧٥ (٥) من ٧٦

وكانما أراد المؤلف أن يجعل تلك القصة مرجعاً لأكثر المعاني الهزلية . فـهـ يترك باباً من أبواب الدعابة إلا طرفه . ولم يدع معنى من معاني الخلعة إلا لم يهـ ، وحسبه حشر في كتابه أقدر ماروى من الشعر الماجن المخلع .

وهذا النوع من التأليف قيمته على أى حال ، فهو لون من ألوان الأدب تحتاج النفس إليه في ساعات الملل .

١٠- وفي الكتاب لم يزل أثر الحياة على لسنة عوام المصريين . كقول شاعر في وصف نقيط :

ياكل شئ . وحش مهول يارأس خنزير ووجه غول (١)
والشاهد في (شئ وحش) .

وقول آخر :

يسفل الناس ووباشهم من بين صفعان إلى ضارط ٢

والشاهد في (أوباش) وهي مقلوبة عن (أوشاب)

وقول أبي القاسم : « ياسفل العالم ! إذا أسكرتموني فمن يرني حينئذ بأمر هذا الدبوت الذي أنا في داره ؟ » (٣)

وقول شاعر :

ويلك ستي كليني قبل أن أبصر مثله

وعوام المصريين يقولون : « فلان عليه حقه لسان » . يعنون أن له لساناً ضويلاً . نى ثاراً . ومثل هذا التعبير ورد في بيت ماجن تقبح روايته .

١١- وجملة القول أن كتاب أبي المظهر الأردى سخيف . ولكنه مع سخفه سريـف : والمؤلف خليق بأن يوصف بما رواه لأحد الشعراء :

شيخ سخيف ولكن يأتى بسخف مـليـح

وهذه قصيدة رائعة لأبي دلف الخزر جـ من شعراء القرن الرابع اسمها قصيدة الساسانية (٤) . وهي في الشعر كحكاية أبي القاسم في الشر . كتبتها تصف أخلاق الأوباش وتحكى ألقاطهم ، ومراجعة هذين الأثرين مفيدة لمن يعنيه أن يعرف ما أهملت المـعـاجـم من ألقاط الجماهير السوقية . وبكل مدينة أحياء ماحنة تفرد بالأمط وتمايز تمثل ما فيها من شواذ الأخلاق . وفي القاهرة "يوم ناس يسمون (أولاد البلد) هم كـنـايـات وإشارات لا يفهمها الخواص . كأنـدى يـقع لأهل Belvedere من أحياء باريس . مـ"

زكى مبارك

١١ ص ١١٦ (٢) ص ١٢٤ (٣) ص ١٢٦ (٤) ترجمه القصيدة مشروحة في مجلة الشعر

وجوه الإعجاز

بقلم الأستاذ السباعي السباعي يومي

المدرس بدار العلوم العليا

تكلّمنا في أعداد الماضي عن إعجاز القرآن عرض عام . وودعنا أن يتبعه بالكلام على

«وجوه الإعجاز» : وهانحن أولاً : نفي بالوعد :

ليس بين العرب خلاف في أن العرب عجزوا أمام تحدي القرآن إياهم فـ «يأتوا بشيء منه» ، ولكن منهم من لم ينسب هذا العجز إلى ضعف فيهم أقعدت عن انحاء كافة ، ولا إلى قوة بلاغية في القرآن وقّعوا أمامها حاسدين ، وإنما نسبوه إلى أن الله سبحانه وتعالى صرفهم مع قدرته أن يحاكيه صرفاً ، وهذا هو القول بالصرف المندسوب إلى النظام ، زعم منه أن ذلك دليل على تأييد الله لرسوله ، لأن عجز القادر أقوى دلالة على هذا التأييد من عجز العاجز لتصور فيه ، ولكن ذلك قول ظاهر أمّasad واضح البطالان لم يقل به غير صاحبه ، ولولا أن الذم لم يجد شيوخ الكلاميين وسمّاذا الجاحظ - وإن كان الجاحظ لم يرتض منه هذا القول على ما ذكرناه - ما تعرض لثقله أحد من الباحثين . وهذه أدلة أمّasad إن كان في حاجة إلى تدليل :

أولاً : - لو كان عجز العرب بالصرف ولم يكن القرآن نفسه معجزاً للخلا من بني فصيحة نه عن غيره من الكلام ، ولصدر عن كثير من العرب عجب ودهش من تلك القوة الخفية التي تحول بينهم وبين أن يقولوا مثله . ولا تزال في صدورهم عقدة لم يرزل ، وفي قلوبهم لسنة لم تمتد . فإلّا ذلك لم يصدر عنهم وما بالحلم كان الظاهر عليهم . وثمة بقعة الكلام ، وصياغة القول - أعجب أعجب من فساده القرآن وأندمشته الآخرة من بلاغته ، حتى كان كثير منهم على عماده وكبرائه يسجد لتفصاحته وبيانه . وقد أثر في ذلك الكثير وله أسس الجاهل الفقير . روى أن عرابي سمع قوله تعالى : «فما استأسرا منه حلصوا حياً» . فقال : شهد أن محمداً لا يقدر على مثل هذا الكلام . وروى أن آخر سمع قرأه يقرأ : «فصدع بما تؤمر وعرض عن المتركين» فسجد ومن سجدت لتفصاحته ، وهذا عمر بن قسوته وشدة قبل إسلامه دخل على أخيه وزوجها وهما يقرآن سورة طه فربّما سمع وثني النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم من بعده . وإنا لنسوق هنا حديث الوليد بن المغيرة وقد سمع من النبي عليه الصلاة والسلام : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ولبنى يغضكم الله» فذكروا ، فرق قلبه لهذا البيان وعصمت بذلك قريش وهو فيهم هو . فأنه أبو جهل

فقال له : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعضوك كيلا تأتي محمدًا بقرضنا يقول . فقال : قد علمت قريش أني من " كثرها مالا . قل : فقل فيه قولاً يبلغ قومك ثم رده له . فقال : ومادا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برحزه ولا بقصيده ولا بشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا . والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة . وإن عليه لفضاوة . وإنه لشعر أعلاه مفرق أسفله . وإنه ليعلم ولا يملئ عليه . وإنه ليعظم ما خلقه . قل : لا ترصني عندي ، قومك حتى تقول فيه . قل : قد عني حتى أفكر . فما فكر قل : « هذا سحر يا ثردعن غيره » ، ذلك ما قل الوليد بن المغيرة ذو المال والولد والقوة والمدد وأحد رجبى القرينتين الذين تمت قريش أن لو كان القرآن نزل على أحدهما كما حدث الله عنهم بقوله « ودلوا لولا رل هذا القرآن على رجل من القرينتين عظيم » . يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون » . فهو رجل مكة ورجل الفائف عروة بن مسعود ، نعم ذلك ما قل بعد تفسير وتقدير وإصرار على ما به من جحد وعناد ، وهو يدل على ما لم يتدر على إخفائه . فقد صرح في حديثه أن ما يقولون لا يشبه شيئاً من هذا القرآن . ووصفه بما وصفه ، مما يدل على هذه المغامرة . وأخيراً كان حكمه عليه قوله فيه « هذا سحر يا ثرد عن غيره » ، فجاء ذلك الحكم حاملاً في ثناياه أن القرآن قوة خارقة . تنظر قريش إليها انظرتها إلى السحر . وكفى بهذا من المعاندين إداة وتسلياً . وماد منافسنا هذا الحديث من عدو طاغ شهادة منه على الإعجاز والفصل ما شهدت به لأعداءه . فليسق تصوير القرآن لهذا الحادث شاهداً آخر في الموضوع أيضاً . فقد جاء قصصه رائعة معجزة : قل سبحانه لبيه وقد ساء صنى الله عليه وسلم صدقريش لوليد أن يسلم ، واستلام الوليد لها في رميه القرآن بالسحر . يؤسسه ويصبره ويهدد هذا المفتون ويرجره : « ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً ، وبين شهوداً . ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أريد كلاً . إنه كان لآياتنا عنيداً . سأرهقه صعوداً ، به فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سألني سقر ، وما أدراك ما سقر . لأنني ولا تذر ، لواحدة للبشر . عليها تسعة عشر » . فهذه الآيات قد صورت الحادث تصويراً شمل أطرافه في بلاغة وقوة أداء من بيان مكانة الوليد ومقدار ما شمله لذلك من غرور حمله يقول ما يقول . وإن ذلك لم يفهم شيئاً في أراد الله من سمير . وثانياً : لو كان إعجاز القرآن بالصرفة كما يقول النفاخ . وليس ذلك لعصيلة فيه . لزال الصرفة بزوال زمن التمديد ولأصبح في مكة الفصحاء والبلغاء أن يقولوا مثله نخوة في ذاته من صفة الإعجاز . ولكن شيئاً من ذلك لم يكن وإن يكون . فقد تبارى بعد ذلك فرسان الكلام وثق

رحال المتر بغاية ما في طوقهم من بيان. ومع هذا بقي بينهم وبين ما جاء به القرآن لبون الشاسع والمدى البعيد على ما مدح به من هدى وأنا لهم إياه من رشاد، فتأيد بهذا ما كانت من إجماع الصدر الأول على أن معجزة الرسول العظمى باقية ما بقى الزمان وأن لا معجزة له باقية سوى هذا القرآن .

ثم كانت ما كان من تدوين علوم الفصاحة والبلاغة وتعميد الطريق إليهما لكل طالب لهما راغب فيهما . ولكن بدلاً من أن يعين ما وضع لهما من قواعد . وفصل من فصول رحال الكلام أى أن يشبهوا فيما يقولون شيئاً من القرآن . راجع الشقة بعيدة عنهم ، والمحاولة مستحيلة عليهم . لما تكشفت عنه تلك القواعد من مزايا القرآن التى لا تحصى ، وفصائله التى لا تستقصى . حتى لقد عهد إمام المؤلفين ورئيس البلغاء والمكلمين عبد القاهر الجرجاني إلى تسمية ما ألفه فى هذا الباب « دلائل الإعجاز » . وليس بعد إقرار مثله إفراز . ولا ينبعث مثل خير ، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه .

ومن العلماء من قل إن التحدى جاء فى كلام الله القديم لقائه بنفسه وهو إحدى صفاته العشرين . ومن ثم وقع المعجز لأنه محال أن يهبط لبشرى صفة من هذه الصفات ما لله حل شأنه فيها ، وليس هذا بأقل غرابة من القول بالصرقة إن لم يكن غريب منه . فإن الكلام القديم قبل صوغه فى هذه الصورة الى بلغ بها . لا مثل له ولا وقوف للعرب على كنهه . فكيف يتحداه بشئ غير معروف لهم . والتكليف بغير المعروف لا تسيغه العقول ولا تقبىه الأفهام ؟ فإن قيل إن المراد تحديهم بما تضمنته هذه الصورة بعد تبليغها ، قلنا إذن الإعجاز فى الممانى لا الألفاظ ، وإن يكون سائر الكتب المارة معجزة كالتوراة والإنجيل . لأنها صور معبرة عن كلام الله القديم ، وما قال بذلك إسماعيل . ولا ذكرت تلك الكتب عن نفسها شيئاً من هذا كما ذكر ورد القرآن .

على أن فى القرآن نفسه ما يفهم أن التحدى كان يطلب إلى العرب الإتيان بمثل هذه الصورة اللفظية فى نظمها وتأليفها دون لنظر لمعاييرها ، فإنهم حين قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما حدث الجاحظ : « أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف ، فذلك يمكنك ما لا يمكننا ، ورموه بأفراء الكتاب على الله ، قل لهم : فها هوها مقتريات كما هى الآية « أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات وادعوا من أسمطعتم من دون الله إن كنتم صادقين طاب لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن الله لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » ، ومع هذا لم يرم ذلك منهم خطيب ولا طمع فيه شاعر كما أسلفنا ، وفى ذلك دلالة كافية على أن القرآن أعجز بنظمه البديع وتأليفه المعجيب الذى أنتج البيان الرائع ، وأتى بالسحر الحلال .

وذهب فريق من العلماء إلى أن القرآن أعجز بما تضمنه من التنبؤ بالغيوب والكشف عما

في إحدى ثم مصيباً في ذلك كله الإصابة جميعها. وما شتمل عليه من تخصص حتى سير الآثار
وأخبار الماصين. مما لا يقف على مثله علم بالسير دارس للآثار. ولكن ذلك لا يهين وحده
دليلاً على الإعجاز. لأنهم إن كانوا يريدون منه أن العرب عجزت عنه لعدم قدرته. على أن تنبأ
ص دقة. ولا استحالة وقوفها على مثل ما جاء به قصص القرآن لخروج النبوة عن منقوش. ولأنها
من حيث القصص لم تك على علم بالسير ولم تسلك له سبيل التحصيد. بل لا ترتضى ذلك أيضاً
دليلاً على الإعجاز الذي يجب أن يكون للقرآن. وإلا كان ما ورد في الكتب المنزلة قبله تبارع
غيب أو قصاً لتقصص. وما أكثر هذا الأخير فيها معجزاً كذلك !

وقد سبق أن هذا لم تذكره تلك الكتب عن نفسها مثلما ذكر القرآن الكريم. وأنه لم
يقبل به إنسان. كما سبق أيضاً أن رسول الله حين قالوا له: أنت تعرف من أحوال الأمم ما لا نعرف.
ورموه بالافتراء. قال: فها توهها مفتريات. وتحداهم بذلك القرآن فما أقدموا ولا حاولوا. ابن كان ما ورد
في القرآن نفسه بعيداً عن التنبؤ والقصص. وهو معظمه. فهداً صفة الإعجاز. وفي مقدور العرب
أن يحاكموه. مع أن الإعجاز ثابت لكل كم منه تحقق فيه القدر الذي تنازل إليه التحدي من
السورة القصيرة والآيات اليسيرة. كما هو منطوق الكتاب وعليه يكاد يتعقد الإجماع.

أما إذا أرادوا أن محمداً وهو بشر لا يمكن أن يكون مصدر هذه الغيوب كما لا يمكن وهو
أمر لا يقرأ ولا يكتب أن يكون جعبة هذه الأخبار. وخاصة إذا لم يعرف عنه في الحال الأولى
سحر ولا كهانة. ولا في الثانية اتصال عن كانوا على بعض العلم بهذه الآثار. وأنه وهذا
شأنه لا بد أن يكون صادقاً في نسبة هذين إلى الله. لأنه وحده المستأثر بعلم الغيوب ودون غيره
الملم تورخ الأولين. وبذلك تثبت نبوته. وينسحب الصدق إلى سائر الواسع من القرآن.
يقول أما إذا أرادوا هذا فإننا لا نقبله دليلاً على الإعجاز أيضاً بالمعنى المراد. لأنه ينتهي بنا إلى
ما انتهى إليه الأمر الأول. إذ كل ما بينهما من فارق أنا اتخذنا في الأول عجز العرب. وفي الثاني
عجز محمد دليلاً على أن بعض الكتاب يحتم عن طريق معناه أنه من عند الله. وبذلك تثبت نبوة
محمد ويتناول الصدق سائر الكتاب. ولكننا لازلنا على هذا وعلى ذلك بعينين عن ثبات
الإعجاز للقرآن إثباتاً ينال جميعه بالذات لا بعضه بالنظر إلى معناه. ثم يثنى على سائر كما
تقدم بطريق الاستنباط.

إلى هنا انتهينا من ذكر الوجوه الثلاثة التي لم رتضها دليلاً على الإعجاز. ومن قولنا فيها
يظهر أن الأولين مرفوضان جملة وتفصيلاً. أما الثالث فمع عدم نهوضه وحده دليلاً على إعجاز
الآيات لذات الآيات صالح أن يساق حجة للإعجاز. ولكن على النحو الذي بيناه. ولهذا لا يفوتنا
أن نذكر شيئاً عن القصص والنبوءات. ثم القصص من مظاهر القرآن وهو الكثير الغالب

فيه : فلندع الخليل له الآن إلى حيث يأتى ذكر الأغراض ، ولمكشف هذا ببعض ماورد فيه من آيات المفهمة استحلاله عن رسول الله : ولم يكن من عند الله ، والموضحة مدحه إلى الإعجاز : قال تعالى : « وما كنت تتو من قبله من كتاب ولا خطه يمينك دأ لارتاب المبطلون . » وقال : « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين ، وقال أيضاً : « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتذر قوماً ما ثناء من نذير من قبلك لعلهم يهتدون » ، وقال والقول في هذا الباب كثير : « تلك من أبناء الغيب نوحيا إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » .

وأما النبوءات فعلى قلتها في القرآن أدل من القصص على الإعجاز بالنهج الذي نهجناه ، وهذا شطر منها حيث لا عودة إليها فيما سيأتى من كلام ، قال الله تعالى : « الم غلبت الروم في دن الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلون في بضع سنين » . وقد غلبوا في هذا البضع . وقال : « لقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مخلقين رهو سكم ومقصرين لا يخافون » ، فدخروا كما قال ، وقال في قصة بدر : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » كما قال فيها « إن يمدكم الله إحدى الطائفتين ثمالكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره عرمون » فصدق في ذلك كما صدق في إخباره عما في نفوسهم من ودح أن غير ذات الشوكة تكون لهم ، ومن تحقيق ما أراد هو من أنها لهم ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المحرمون ، وهذا من تنبؤه عما في الضمائر .

ومنه أيضاً قوله على لسان رسوله فيمن تخلفوا عنه في إحدى الغزوات « ولن تخرجوا معي ندأ ولن تقاتوا معي عدوا » ، فإنهم لم يخرجوا معه بعد ، وكذا قوله لليهود : « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين » . لما تمتاه أحد منهم تحقيقاً لقوله بعد « ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدهم تحرم الناس على حياة . ومن الذين أشركوا يود أحدكم لو يعمر ألف سنة وما هو يتمزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون » .

لهذا ذكر الباقلا في كتاب « إعجاز القرآن » عن أصحابه وغيره ثلاثة أوجه من الإعجاز . جعل أولها الإخبار عن الغيوب ، وثانيهما الإخبار عن قصص الأولين . وثالثهما ما أن نشرع فيه مرتضين إليه الوجه الحق للإعجاز ، فقد قال : « والوجه الثالث أنه بدع لطيف ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى المدى الذي يعلم عجز الخلق عنه » ، وهو ما نريد ، ولكن على خلاف معه في التفاصيل .

الرجوع الى ميتوزيلا

برنارد شو

في البداية

ميتوزيلا بطريق يقال إنه عمر طويل حتى نيف على التسعة بنصف قرن أو يزيد . «رجوع إليه هو الرجوع بالإنسان إلى الحياة الطويلة ، والحكمة في ذلك هي ما تدور عليه القصة بحسب معناه القاريء بعد حين . والمؤلف يرى في تأريخ التطور الخالق *creation & evolution* فبدأ بقصة آدم وحواء واستغل تلك الأمنية الأبدية « حجر الفلاسفة » الذي يغيب الناس عن حالة الموت . والقصة فوق ذلك معرض تمثل فيه تماؤص الحياة المتمدينة ، وخاصة الجانب السيامي منها .

نحن في ناحية من جنة عدن . يجلس فيها آدم وحواء ، وعلى مقربة منهما تسكن حيتة شامية الرأس . وبين مكسور الرقبة . وقد جذب الأيل أنظار آدم وحواء بسكونه المستمر ومظهره المتقبض . مما أثار في نفس الرجل الخوف أن تزل قدمه مرة فتندك رقبتة وينقطع حب حياته ، وتحس حواء ببعض ما يجب ، ويشفق كل منهما أن يجره رفيقه تلك الهجرة الأبدية . ويأمله لوحده ليس فيها نيس ، ولكن حواء تعجب من خوف آدم هذا لأنه يتردد دائماً بين الشجر من الخلود والخوف من الموت ! ويهم آدم بالأيل ويذهب به بعيداً ليرى به في البحر . وفي أثناء غيابه تتحرك الحية وتتحدث إلى حواء بلغتها ، لأن طول إصفاؤها إلى حوارها مع آدم أفضى بها إلى تعلم اللغة التي يتكلمان . وهي تحدثها لما ترى من شدة خوفها من الموت ، وتكلمها عن دواء الموت وهو الميلاد وبعث الحياة من جديد ، وتضرب لها مثلاً بنفسها فهي تلد حيات جدد ، وهذا ما فعلته ليليت عند ما آلمتها فكرة الموت فولدت آدم وحواء ! . وأخلق ليس محلاً ، ففضيحيجب أن ترغب وتخيّل ثم تريد فتخلق ، ولم لا ؟ ألم تكن حواء عاجزة عن تسليق الأشجار ؟ ألم ترغب وتخيّل وتريد فخلقت من العضلات والاستعدادات مامكنها من تسليق الأشجار ؟ هكذا أخلق ممارسة واجتهاد . . . ولا يجوز لحواء أن تردد إذا كانت تريد أن تغلب على الموت ورعبه . وإذا مارجع آدم هرعت إليه حواء وأفضت إليه بكل ما دار بينها وبين الحياة . ويسر الرجل لذلك ، إلا أن خوفاً يداخله أن يقتله من سوف يلد من أحياء ، ولكنه يجد في

نفسه إطمئناً غريباً، وبحيل إليه أن صوتاً يوحى إليه بأن لن يصيبه أذى من سيله، ويصرح لحواء بأنه نفس الصوت الذى يبغضه فى فكرة قتلها. وهنا تقول له :

حواء « إن الصوت يهمس لى بقتلك ومع ذلك فلا أرغب أن تموت قبلى ، ولا حاجة لى بصوت يأمرنى بذلك » . فيقول آدم : « كلا... ذلك بين من غير صوت ما، لأن هنالك شيئاً يربطنا ببعضنا... شىء ليس له كلمة... »

الحية « الحب... الحب... الحب »

آدم « إنها الكلمة قصيرة لمثل هذا الشىء الطويل ؟ »

الحية « الحب ندى يكون كلمة طويلة لشىء قصير... ولكنه إذا كان قصيراً كان حواء... »

آدم « إنك تحيرينى، كان اصطرانى القديم ثقيلاً ، ولكنه كان بسيطاً . وهذه البدائع لى نوعين قد تطلب كيانى قبل أن تمنحنى هدية الموت ، كنت أنوء بحمل المحوق الخالد، ولكن لم ألك مهتاج العقل، وإذا كنت لم أعلم أنى أحب حواء فلم أكن أعرف كذلك أنها يمكن أن ترهد فى حى وتحب آدم آخر ، أو أن ترغب فى موتى... هل تعرفين سما لهذه الحالة ؟ »

الحية « الفيرة... الفيرة... الفيرة »

آدم « كيف لا تأثرب عى الهم مادام المستقبل أضحى غير مؤكد ؟ إن أى شىء خير من الشك . فالحياة أصبحت غير يقينية والحب غير يقينى ، فهل لديك كلمة لهذا الشقاء الجديد ؟ »

الحية « الخوف... الخوف... الخوف » . فيقول آدم : « هل عندك علاج له ؟ » . فتقول « نعم . الأمل... الأمل... الأمل » . فيسأل « وما الأمل ؟ » ، فتقول : « مادمت لاتعرف المستقبل فإنك لاتعرف أنه لن يكون أسعد من الماضى... هذا هو الأمل » .

آدم « إنه لا يعربى أن الخوف عندى أقوى من الأمل ، ينبغى أن أضفر باليقين... هيبه لى أو أقتلك إذا ماظفرت بك نائمة » فتقول حواء « حتى الجميلة... كلا... كيف تفكر فى من هذا الأمر المروع ؟ » فتقول الحية (لآدم) : « قيد المستقبل بإرادتك وانذر نذراً » ، فيسأل آدم « وما النذر ؟ » فتحبب الحية « اختر يوماً لموتك، واعزم أن تموت فى ذلك اليوم، فلا يبق الموت غير يقينى ، ودع حواء تنذر أن تحبك حتى تموت فلا يبقى الحب بين مغالب الشك » آدم « هذا جميل » ، فتستدرك حواء « ولكنه سوف يقضى على الأمل ! » فيقول آدم (مفضلاً) « يا امرأة... إن الأمل شرير والسعادة شريرة . اليقين هو السعادة »

الحية « وما الشرير ؟ » فيحببها آدم : « كل ما أخاف أن أفعل شريراً ، اصغ إلى يا حواء، واصغ أيتها الحية واشهدا أنرى : سأعيش ألف دورة فلسكية » .

الحية « ألف سنة؟ ألف سنة؟ » ، فردد آدم « نعم سأعيش ألف ولن سنة أبقى بعد ذلك، ولن سوف

ت وتغوز باراحة . وسوف أحب حواء كى هذا الزمن دور سواها . فتقول حواء « وقد
وى آدم بنذره فلن أحب رجلا سواه » .

وتتفحص الحية أنهما احترازا الزواج ، ثم تتفحص حواء ذمية لتفحص إياها لمر هذا
الزواج ، وتهمس فى أذنها بكلام فيتمهل وجبها فرحاً ، ثم بعينه الامتعاض فتخفيه بين يديها

تقصت قرون ، وقد هبط آدم من عدن وطاش مع حواء . وها هو ذا يتفر وهما دى تفزل
وم يظلا كما كانا حافظين لنوب الفتوة جديداً . وإنما حصصا لسمطان الزمان الذى سبهما روق
الشباب ومكن منهما الكبر . ولأول مرة يظهر بخانبيهما آدمى جديد هو هابيل . وهو متع
براء الحرب مزهو بقرور اعدائين . ولا يكلمهما شئ جهداً أن تلاحظ ما بين الآب والابن من
سوء تفاهة وغضب ظاهر . وذنوب الآب . فتل أحاه قيين ، ولكنه يمتنع عن بسبه بأن حواء
هو الذى اخترع النار والقتل وأنه قد نسيه بما كان يقضى به على غيره . وهو شئ كل من لا
يؤمن لذلك بل يفخر به ، لأن حياته فى . به أحسن بمعانى العظمة من حياة أبيه . ومذاق حواء
آدم غير الخمر وهو يستطيع أن يفخر بالخمر إن جاز له أن يفخر بأنه خلق رجلاً . ثم هو
فيستطيع أن يزعم أنه القاتل الأول . وحياة القاتل حياة قوة وحرية

ولا يروق حواء حديث ابنها ، وتخفى على آدم أن يتأثر به . فتفحص على ابنها بهوهم أن يدر
بما لا يستحق الفخر أو الشدة . وتكر عليه أن يرغم لنفسه ما ليس لها من الحرية وقوة السير
أمراته . يساق إلى مقاتلة الحيوان بوحى صامت منها . لأنه يذوق السعادة فى تلك الساحة
ومن بصيده تحت قدميها مزهواً أمامها بقوته وجبروته . وهو بعد هذا ودل على الإغتراب
. وبأنه ذات العذاب مثلها والجهد فى سبيل الإنتاج والبناء . ماسة به منطقتة من هذا
المتنفس . ولكن المتن لا يهتر لكلام به وميزال يصر على إثبات محبوب حياته والثرى به
أبيه . فإننا نأظر أبوه إلى الأرض وفرأى أن الحياء تمنع هو إلى . به وقد إن الأرض
أصل الأمراض كذلك . وتشتد ثورته على الأرض وما فيها من طعام . وتفسد ويستهلك
هذا هو كل ما للإنسان . فما الفرق بينه وبين الدب أو يشتد سحقه الأرض ويتغذى الأرض فى كبر
به بدعائهما بالخطر مما يدعوه حواء فى اقتدح فم بينه . لتهدى من ثأريه وتعد من حر رتبته
حتى إذا رتبتهما حواء إلى السكون اعترفت لها بأنهما راسية من حياة آدم . ونير رضية عن حواء
هابل . تلك تضجرها متافها من لوز واحد وحركة واحدة . وهذه تفرها ثنائيه من وحشية وحرب
وإنما الذى يعزىها ويهون عليها هو الأمن فى المستقبل . وقد بدت تفاهل من راححة تأنر ولها
وعلى التى تتحقق على يدي بعض أبنائها . فمنهم من يسرح بنظره بين الكواكب يمشى عيم
الاستماء ويلاحظ حركة كواكبها . ومنهم من صنع له هذا أنقرل العجيب . ومنهم من يهيم فى

هناك يأخذ فرائسك في شرح كتابه أو إحييه فثلاً إن رجال السياسة يموتون ولما يلبثوا سن
ارشد يموتون وقبس من النور يوشك أن يشرق على موسهم المنظمة، فيجب أن تمتد بهم الحياة
ليبلغوا الحكمة ويميدوا من تجارب افقروا، ولما يسمع مستر لان هذا الكلام يوافق عليه
واسكه لا يرى قائدة عملية من الخوض فيه، فقد استطاع أن تمسك الشيور بأيديها لو تنفق
سما، على الأرض. وبسألان كوزان: هل اهتدى إلى أكسير الحياة؟ هل يقدم لهم طعاماً أو
سقى شراباً؟ فيأسف العالم لأنه بعدتهما في العرفية بلان عليه بأفواه مفتوحة وعيون مغفلة.
ولكن لابن لا يثق بالعلم كثيراً ويستشهد خطأ العلماء المتكررة، وربما كانت ثقته بالشعر عنهم
ويجد من فرائسك موافقة على كلامه. ويضرب هذا مثلاً على صدق الشعر بأسطورة عدن. ثم
يقول: حس. أنت تذكر أنه في جنة عدن لم يكن آدم وحواء حاضرين لموت. وإن الموت
الطبيعي - كما سميته الآن - لم يكن جزءاً من الحياة وإنما هو احتراع متأخر عليها ومنفصل
تماماً عنها. ولما يتر من لان بأن الموت غير الطبيعي كان موجوداً يستلزم فرائسك قائلاً:
«نعم، كان آدم وحواء معلمين بين فئتين خفيفين: افتراض النوع من الموت غير الطبيعي،
والأمن في حياة بديلة. ولما لم يطبقا واحداً منهما، قررا أن يكتميا بحياة قسرية مدها ألف عام
ومن ثم يمهدان بعملهما في روج حديد، فاحترعا الميلاد الطبيعي والموت الطبيعي اللذين هما من
الظاهر استمرار الحياة من غير أن يروح مخوق تحت وطأة الخلود».

فالحياة حادة ولو في الأفراد، ونحن صورها المتكررة، وهي تسير في سبيل اقوة وامر نان
غير المحدودين، واللذين يجب أن يذلا غير محدودين ليسوغا لنا الحياة. وبسأل لابن عن
أصل الخطيئة، فيجيبه فرائسك قائلاً: إن آدم كان يعيش في عدن آمناً من الموت فكانت بيته الأبدية،
وكان لذلك يوجه جن عنايته إلى المحافظة عليها والاهتمام بشأنها، فلما اخترع الموت اضغبي
ومضى مستأجراً لا يبيت لا صاحبه ففرت عنايته به، وتجراً على ضرب حواء بعد أن كان يشفق
أن يصيبها بسوء فيبقى وحيداً لا ينس له، ولما جاء أبناء ساروا على سنته وزادوا عليها. فكان
القتل وكان الصراع وكان الشقاء... هذه هي قصة عدن ولك أن تسميها التطور الخلاق إن كنت
من المغرمين بالاستمالة العلمية. وليس التطور ظاهرة عارضة عظيمة قوة، نحن تجربة في يدها. فإن
بشرنا بنجاح أبقننا. وإن رأيت أننا تجربة فاشلة قضت علينا وابتدعت غيرنا... وكما من محو طفت
اقرضت ولم تترك إلا آثارها على الأحجار القديمة.

كل هذا طيب ولكن كيف السبيل إلى العيش ثلثمائة عام؟ هل هناك أكسير أو نحوه؟ الحق
انه لا يوجد أكسير ولا غيره، وكل ما في الأمر - كما يقول فرائسك - أننا نستطيع أن نبث
في عقول الناس أنه لا يوجد شيء يمنع من ذلك - طول العمر - إلا رادتهم أن يموتوا قبل أن
يشارف عملهم التمام. وإلا جهلهم بالعمل العظيم المتروك لهم أمر القيام به.

ونحيت من لابن ويرج. لأن عقليته لا تقتنع بالأموال المادية. فما لرغبة والافتقار
 معنى فأمر آخر! ليس كنا نرغب أن نمر ثلثه عام ومع ذلك لا يتاح لنا أن نتجاوز العمر
 محدود؟ ولكن كوراد لا يرى ذلك وهو يقول مدلاً: «كل يوم لو يحصل على مليون جنيه
 عماداً لا يحصل عليها؟ لأن الذي يتخلى أن يكون مليونيراً لا يتحصر على توفير سته. بنسات ولو
 مدده الموت حوفاً وانتصب محملاً في وجهه. والذين يرغبون أن يخلدوا لا يتناولون أن يقيموا
 عن شرب البيرة أو تدخين التبغ. وهم يعتقدون أن الامتناع عن المسكرات والتدخين يعيش جلاً
 قول. مثل هذه الرغبة لم تتجاوز عتبة لأرادته. انظر إليهم كم يعتقدون أنه يجب عليهم أن ينفروا.
 لكن لابن عسير عليه أن يفهم هذا الكلام. وهو نفس من أن يقول عمره. ويرج بعد بأن
 يجعل من هذه المسألة أساساً للمعركة الانتخابية. وهذا لا يصدق شيئاً من هذا. حتى خطيبته
 ست تشت فيه شكاً قوياً لما ترى أنه من المحتمل أن تفرج الحمار وترجع إلى ميتوزيلا. فما
 شقيقتان فلا يتخاطبا شت في الموضوع. لكن من يفرج أحد مني أم لا؟ هذا مالا يهمله أحد.

نحن في عام ٢١٦٠ م في الجبل ترايسا وفي غرفة رئيس الوزارة وهو يجتمع في عيشته مابين
 مستر بيرج ومستر لابن. ونحن نحس تقدماً في الحصار الميكانيكية. فالوزير يتحدث في وريرة
 مسحة بعلية ون هي على بعد ميل عديدة، ويستطيع أن يراها ويرى المكان الذي نحن فيه كأنها
 في بعد أشبار منه. ويأخذنا عجب شديد أن نرى رمة المصالح الحكومية في أيدي الرأب:
 فورية الصحة زنجية من فريقية، ورئيس السكرتيرين لنا نحن الصين الكونفوشيوس. وسبب
 ذلك كما يقول كونفوشيوس أن الإنجليز بعد حرب صاحبه اقتنعوا بأنهم ليسوا أهلاً للحكومة
 فسلموا أموره للغرباء. وتنظمت بدلت آلة الحكومة وتفرغت لتفكر في السياسة العليا.

يحدث على الرئيس موظف إنجليزي كبير الشبه بكوراد بارناباس. يبدو عليه الاضطراب
 ونصدر عنه حركات عيفة. وكان الرئيس قد أرسله بدلاً منه ليتقابل معترعاً أمريكياً اخترع آلة
 للتمس تحت الماء. ورئت الحكومة أن تعرض على الأمريكي شريطاً سمياً بين العلاء الذين
 ماوا غرقاً. وشاهد بارناباس من هؤلاء العلاء المنكوبين. الأسقف ستيكيت ووزير ديكنسن
 والجنرال باليهوي، وتحقق منهم بعين فاحصة. ولشد ما كانت دهشته عظيمة عند ما تبين له هؤلاء
 الأشخاص ورئيس ساقفة يورك الحالي شخص واحد بعينه. نعم ليس الذي بينهم مشابهة
 نويه. وإنما هي ذاتية واحدة. ويدهش الحديث الموظف رئيس الوزراء ورئيس السكرتيرين
 ويريد دهشتهم عند ما يدخل عليهم رئيس ساقفة يورك. وهو كبير الشبه جداً بالقس هاسلام
 حطيب سافي الذي عرفناه من قرنين. ولا يستقر به المقام حتى يحسن عليه بارناباس متهماً ياه
 بالسرقه، لأنه ما زال يقبض من مال الدولة من بعد فوات السن القانونية للعمل. وهو حوالى
 الأربعين، ويرى الأسقف نفسه مطالباً بتبديد الغيوة التي تكثف الأمر. فيقص عليهم قصة

تدعى بدله لها فتنازع تصعبهم من شدة ما تشاء . . . يقول به ترويح في عام ١٩٢٤ من ابنة فر كليب
الذى يجدر بارناباس الحى من أمره . . . وفيه قرأ كتاباً لهم روحه يكثر فيه للإنسان عجرة
طولها ثلاثة عام . لأن حياته السعيدة لا تنقذ به للقيام بواجبه نحو المدينة . وإنه لم يستطع أن
يصدق هذه الدعوى الخارقة . وعاش مع روحه وتغلب الأيام مراراً ووضح فعلها على وجه
زوجته التي مضى من عمرها خيرة وضجاء وطمع أصيب . وهو باق على حال شبابه حتى لاحظت
عليه ذلك مراراً . وحكته قائمة به سيعمر ثلاثة عام . ومضت الأيام وماتت زوجته ولم يبق
منه شيء . فوفى في نفسه أنه سيعمر حقاً . وكان كل عاشق عمراً وعرفت له شخصية تحمل من
وتقمص شخصية جديدة . وكانت السبيل إلى ذلك أن يذهب إلى شاطئ البحر ويترك ملابسه
ويرحل إلى بلد شاطئ فيظن الناس أنه غرق . وبهذه الطريقة كان أسقفاً مرات . وتقلد منصب
الرئاسة مرة وترأس الجيش مرة . وهو الآن بالغ من العمر قرنين ونصف قرن !! فإذا انتهى
هاسلام من حياته . استسلم كل من الحاضرين لعواطف شتى . فبارناباس لا يصدق . ويرجى لأن
يشك شكاً قوياً . وكونقوس يوس يهكر ويهكر له لم يمتدى إلى نور اليقين وسقط هذا الخلام الخلق .
وبيناهم على تلك الحال من التكذيب والشك تدخل وزيرة لمقابلة رئيس الوزراء في أمر من مواد
الدولة . وهي امرأة مهيبة - رغم حداثة تكسوها - ولا تكاد تلتقي عيناً بعين الأسقف
هاسلام حتى تعثرها دهشة وتعثره دهشة مثلها . ويصرح لها بأنه يتذكر أنه رآها في مناز ور من
تأني الذكر أن تدله عليهما . وكل ما يذكره أنها كانت تفتح له باباً وتحنى له . وتعجب الوزيرة
لأنها هي الأخرى يخين إليها أنها كانت تستقبله حقاً وتفتح له باباً كذلك . ولكن أين ومن ؟ .
ويسأل كونقوشيه من الأسقف : هل يعرف أحداً غيره امتد به العمر إلى هذا الحد ؟ ولكن
الأحر لا يدري من هذا الأمر شيئاً . وقد أحفاه عن العالمين لعمه أن الناس كالحجوات يؤدون
من ليس على ما كلتهم . وهذا تذكر الوزيرة الأسقف وتعرف له بأنها خادم حطيطته سابق
التي كانت تستقبله في بيت بارناباس عام ١٩٢٤ . وتقص عليه كيف أنها قرأت كتاب بارناباس
وكيف تأثرت به تأثراً لا يتاح إلا للجاهلات . وقد تزوجت ولاقى حياة عسيرة شاقة لم تكن
فيها حلاوة الحياة ولا الراحة ثم مات زوجها . وبدهشها أن تبقى بعده . وبعد فوات تلك
الأعوام - محافظة على شبابها ومبعدة صباها - ثم وقفت على ما عتلك من أنها ستعمر كما قرأت في
كتاب بارناباس . وقد راعها الأمر لأنها لم تحمّل الحياة وهي قصيرة . فكيف تصبر عليها
ثلاثة عام ؟ ولكن عزاها وشدت عزبتها تقدم مطرد سائر الحياة المياسية والاجتماعية
مما جعلها تحيا لنفسها حتى تبوءت مقعداً في الوزارة ! .
ويلقى بيرج لابن عليها نظرات قلقة . وقد أذهلته الحقيقة ويتعرج فيسألها : لم لا تزوج ؟
ونحيبه بأنها تزوجت من زمن فتاتاً في الثمانين وعاشرته زمناً . ومات الرجل ولما يبدع إبداعاً
حقاً . مات في اللحظة التي تفتحت له فيها أبواب السماء ! فيسألها ثانياً : لم لا تزوج مرة أخرى

هل في هذه السن ؟ ألا لا نرضى أن نأخذ بطمونة واحد مثله في النماذج . وهل تراه
 على وعو في هذه السن أن يتزوج من فتاة في الثانية عشرة ؟ وبدور بين الأسقف والوردية
 حديث رائع عن الحياة الاجتماعية يتناولها فيه بالقد المرموق . فالانجليز يجزعون أمام الأعمال
 الخفية ويتركونها لتزوج والصبيين . ولعله لا يكون بعيد أن يأتي يوم يصبح الانجليز فيه خدما
 في بلاط : وإلا فحظان أن "عقول السفراء والسوداء والسمرات هي التي تبتدع الآن وتبتكر
 كما كانت تفعل قديما" "عقول الاسكوتلاندية والألمانية واليهودية والإيطالية . وحسب
 الانجليز الآن أن يعلموا الجوانب وغيره من الألعاب المسيحية . وصبيحي أن يتجذب كل من
 الأسقف والوردية إلى انصهار ، و من الخروج من أية كل منهما أن يتزوج من صاحبه .
 وحديث بارناس هذه التهمة فيعتز بهما . ولاكنهما يخرجان زعماء منه . ويقترح هو أن يقتلا ولو
 دعا الأمر إلى من تشربح نحره فيه الحياة عن المعمرين . . . ليس من الممكن أن يلدنا أطفالا
 منهما وأن يتشرب هذا المس ويصبحون ؟ طمنا لا . . . ؟ ليس من المستحسن أن تمتد بهم .
 بحيث تناسب عمارهم فيمسون بجانبهم أقراما ؟

ويستمع كوفوشوس إلى حديث بارناس وانه لا يتنعم به ولا يرى فيه وجهاً للحق .
 يجتهد بارناس ويخرج عاصبا . ويذهب اليه عن رئيس الوزراء يحدثا . أولا : إن الانجليز
 يستطيعون أن يعلموا الحكمة لو بلغوا سن أرشد ولا سبيل إلى ذلك مداموا يتوتون أطفالا .
 وإلا فمن دعاهم أنهم وحدوا الركونوا المدة وليس ينظروا على قيادة الشعوب . ويشبهه بأدعاء
 حمن لغريز وتبته على اللعبة المشبهة التي يعبث بها . ويتساءل الرجن : هل يوجد ياترى ناس
 حرون على شاكله الأسقف والوردية ؟ من يدرى ؟ من يدرى ؟ إنما ليسا من هؤلاء المعمرين ؟
 ويماضي به حديثا تدعو وزيرة الصحة الزنجية رئيس الوزراء لترهه يهبط فيها بالباراشوت في
 خليج فنشجورد . فيتردد على غير عادته إذا دعت هذه المرأة . كانت الحياة قصيرة زائلة وكان
 يستعين بها . ولا يعدل بساعة متعة شيئا في الوجود . ولكنه قد يعمر مع المعمرين وقد أقول
 حياته فكيف يجازف بـ ؟ ومن ؟ وهل أنه نحا من الباراشوت . أفليس محتملا أن يعصبيه
 رومترم من برودة البحر ؟ وكيف يحتمل الرومترم ثلثة عام ؟ كلا . . . كلا . . . خير من كل
 هذا أن يرفض الدعوة . وقد كان واستهان هذه المرة بفص المرأة الزنجية . ويسر
 كوفوشوس لهذه النهاية أن تغلبت فيه روح الحكمة على غريزة اللهو والرياضة وأن أصبح
 حباثا حساسا حكما . . . ! ولا يحفل بمرج لابن بهذه الأوصاف ، فليكن جباناً أو غير جبان ، أمر
 واحد يهمه ويكثر له وهو السلام مادام من الجائز أن يعيش ثلثة عام .

نحيب محفوظ

(البقية في العدد المقبل)

احمد بن الشهاب

عاج الخيال قلم يئيل أواما
 مالى ولا لكحلاء هبت عيونها
 ياقا ويحك ما سبب معت لناصح
 لعبت بك الحسناء تدنو ساعة
 والحب مالم تكتنفه شمائل
 والحب أحلام الشباب هنيئة
 والحب نازعة الكريم تهزه
 والحب ملهاة الحياة وطبها
 والحب نيران المجوس لهيها
 والحب شعر النفس إن هتفت به
 والحب من سر السماء فسمه
 لولاه ما أضحى سليل زيبية
 ولما رمى فى الجحفلين بنفسه
 الحب ألبسه المروءة يافعا
 ياشد ما فعل الغرام بمهجة
 كانت صثولا لا تنيل زمامها
 سكنت إلى حلو الغرام ومره
 وطوت أحاديث الجوى فطوت
 يازهرة نسيم النسيم بعرفها
 ياجنة لو كان ينفع عندها
 ياطلعة الروض النضير تحية
 ومضى وخلف فى الخلع ضرما
 فلأن قلبى أنصلا وسهاما
 لما ارتعيت ولا اتقيت ملاما
 فتنير ما بك ثم تهجر عامما
 غراء كان معرفة وأناما
 ما أطيب الأيام والأحلاما
 فيصول سيفاً أو يسيل غماما
 ولقد تكون به الحياة سقما
 يحى النفوس ويقتل الأجساما
 سكت الوجود وأطرق استعظاما
 وحيأ إذا ما شئت أو إلهاما
 يوم التنافر سيذا مقداما
 لا يتقى رجماً ولا صمصاما
 وأعدده للمكرمات غلاما
 ذابت أسى وصباية وغراما
 فقدت أذل الساعات زماما
 ورعت حقوقاً للهوى وذماما
 داء يدك الراسيات عقاما
 وجرى بها ماء النعيم جاما
 نسك لبثنا سجداً وقياما
 ومجاجة المسك الذكى سلاما

٤ - ابن سينا

حياته وفلسفته

بقلم الأستاذ محمد ثابت الفندى
ماجستير فى الفلسفة

مبانه فى الرى

لم يطل عهد مقام فيلسوفنا بجرجان ، والأرجح أنه لم يرد على العامين على الأكثر . ونحن نجد لروايات العربية كلها مجمعة على أنه خرج منها إلى « الرى » عاصمة الأمير محمد الدولة بنى طالت رستم بن خرد الدولة بن بويه . وأنه اتصل بهذا الأمير بسبب كتب وصلت معه تنبئ بمظيم مكانته فى الفلسفة والطب ، وأن الصلة صارت بين الأمير والفيلسوف وثيقة جداً بسبب « طب أنصا » وأنه بنى بالرى إلى أن قصدها الأمير شمس الدولة بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمة عسكر بغداد . وأنه تركها إلى همدان . وأتت الحوادث التى تذكرها التراجم العربية لابن سينا إنما وقعت فى أواخر سنة ٤٠٥ هـ . قال ابن الأثير فى حوادث تلك السنة : « لما قتل (بدر حسنويه أمير الجبل) استولى شمس الدولة أبو طاهر بن خرد الدولة بن بويه على بعض بلاده . وما علم سلطان الدولة بذلك أطلق هلالاً وجهازه وسيره ومعه المساكر يستعيد ما ملكه شمس الدولة من بلاده ، فسار إلى شمس الدولة فالتقيا فى ذى القعدة واقتتل العسكران فاهرم أصحاب هلال وسر هو فقتل أيضاً وعادت المساكر التى كانت معه إلى بغداد على أسوأ حال » (١) .

لا يصيف الرواة إلى ابن سينا - إذ كان بالرى - غير مصنف واحد . هو كتاب (المعاد) . وهذا الكتاب غير (المبدأ والمعاد) الذى صنفه بجرحان للشيرازى . قال ابن أبى شبيب عن كتاب المعاد : « إنه صنفه بالرى للملك محمد الدولة » (٢) .

ولقد تدل قلة مؤلفات الفيلسوف بالرى على أن مدة إقامته بها كانت جد قصيرة .

مبانه فى همزانه

تحدثنا التراجم العربية بعد ذلك بأنه انتقل من الرى إلى قزوین ، ونرجح أن ذلك كان فى أوائل عام ٤٠٦ هـ ، وتحدثنا بأنه انتقل بعد ذلك إلى همدان عاصمة الأمير شمس الدولة بنى طاهر

(١) ابن الأثير : السكول فى التاريخ . تخريج سنة ٤٠٥ هـ ج ٦ ص ١٧٤ حصة أوروبا (٢) ابن أبى شبيب : طبقات الاطباء . ج ٢ ص ١٩

ابن غفر الدولة بن بويه . وعندما كان الفيلسوف بهمدان اتفق أن مرض أميرها بمرض القولنج (المنص) فاستقدم الفيلسوف لمعالجته فمعالجته وبقي في قصره أربعين يوماً وصار من ندما .
الأمير . وفي عام ٤٠٨ هـ خرج ذلك الأمير إلى قرميس لحرب من الحروب الكثيرة التي كانت تشب بنظام مستمر . وخرج معه الفيلسوف ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وعاد الأمير إلى عاصمته منهزماً بدأت الحياة التي لم تذق فيلسوفنا طعم الراحة والاستقرار منذ أن جرفت به من بخاري إلى أن ألقته بهمدان ، بدأت تلك الحياة بتقسيم فتنيله مرتبة سياسية حاضرة ، ذلك أنه صار وزير شمس الدولة . وتذكر التراجم العربية أن حنود همدان ثارت على الأمير لتقليده الوزارة لأن علي بن سينا . وكبست دار الوزير وأغارت على أسبابه واغتصبت جميع ما كان يملكه . وسألت الأمير أن يقتله . فامتنع واكتفى بنفي وزيره عن الدولة مرضاة لهم ، فتواري الوزير أربعين يوماً في دار عين من أعين همدان يقال له أبو سعيد بن دخدوله . وحدث أن عاودت الأمير علة القولنج فاضطر إلى استدعاء ابن سينا من محبته واعتذر إليه كل الاعتذار وأعاد إليه الوزارة ثانية .

ولم تذكر الروايات كلها شيئاً ما عن تاريخ وزارته : متى بدأت ؟ ومتى انتهت ؟ لا نألمنا نعرف أن حليمة في لوزارة كان « تاج الملك » ونحن نجد في كتاب السكامل لادن أن في أخبار سنة ٤١٩ هـ ذكر لتاج الملك وإشارة تدل على أنه من وزيراً في ذلك حين تم عملنا رجح بن يؤكد أن وزارة أبي بن سينا كانت قد انتهت قبل ذلك تاريخ (٤١٩ هـ) من غير شك . كما أنها كانت قد بدأت بعد عودة الأمير شمس الدولة . بهمدان من حروبه بقرميس عام ٤٠٨ هـ . ونحن لا نعرف شيئاً قياً عن حياة فيلسوفنا أثناء تقيد حروبه . كما لا نعرف شيئاً ما عن حكومة الفيلسوف : هل عاوت أن تحقق نظار الفارابي في المدينة المنصية ، أم أنها سارت على سبب الحكم المعروف آنذا ؟ على أن التاريخ يسجل لأحداث زيادة لا الحوادث المصروفة . فهو أن الفيلسوف شد في سبب حكمه عن الأساليب المعروفة آنذا ، نسي التاريخ أن يسجل له هذا الشذوذ .

ويصفنا نظام عروعي السمرقندي في خمسة أئمة وثلاثين سبب حياة الوزير اليومية : فيقول : « وكان أبو علي بن سينا في ذلك عهد وزيراً . وكان ملكاً وشاهنشاه علاء الدولة محمد بن شاهر بار يحله كثير فألقى مقالات الأمور بين يديه ووكل كل من ، إلى حكمة . ولم يكن منذ الأسكندر الذي كان وسط طالس وزيره ملك استوزر أهداً من أبي علي . وحين كان وزيراً كان يستيقظ كل يوم قبل الفجر ليكتب بضع صحف من الشاه . وعندما الفجر يستقبل تلاميذه وهم : بهمدان كياديس ، وأبو منصور بن ربلا ، وعبد الواحد الجوزجاني ، وسليمان الدمشقي . وأما أبو كالجبار (راوى هذه القصة) . وكما تلقى عليه العلم حتى يصبح الصبح

فيمنع بها بمدة . وعند ما يخرج كان يلقاها بالباب فلبس من الثياب ما يشاء وجوه الدولة وأعيانها
وأصحاب الخانات ، فترك الورير ورثه وتبعه هذه الحاشية حتى أبواب ديوانه وبيت الورير
في الديوان حتى الظهور ثم يعود ، وكان يتناول الفداء عن مائدة خلاتي كثير ، وكان يتقبل
فيولته ثم يستيقظ ليؤدي صلاة العصر ، ويرث الأمير بعد ذلك ويتحدث وإياه حتى بعد صلاة
المغرب : ولم يكن يتدخل بيده وبين الأمير في الشؤون الخاصة بالدولة شخص ثالث ... (١) .
ورغم أن هذه الرواية تصور لنا أسوأ حياة وزيرنا اليومية في المحاشية والمحاط والآغلط
مهي تذكر لما أنه كان وزيراً لعلاء الدولة . والواقع أن علاء الدولة لم يكن همذان ولم يستوزر
فيلسوفنا وإنما كان الفيلسوف وزيراً لشمس الدولة . هذا ويبيح نقول هذه الرواية هي لفيلسوف
كان يلقي دروسه صباحاً إذ بنا نجد البيهقي يقول : « فكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم و
عبيد [الجوزجاني] يقرأ من كتاب الشفاء نوبة ، ويقرأ المعصوم من القانون نوبة . وابن ريبلا
يقرأ من الإشارات نوبة . وبهمنيار يقرأ من الحاصل والمحصل نوبة » . (٢)

ولا يسمى هذا النص من التخرج أيضاً ، فإنه يشير إلى أن ابن ريبلا كان يقرأ الإشارات
وهذا قول باطل على ما يظهر ، لأن كتاب الشفاء لم يكن قد تم بعد . ولم يكن قد شرع في كتابة
« النجاة » . وفيه بتعيينه يقرأ من كتاب صنف بعد الشفاء والنجاة : ذلك من الإشارات
كما يقول ابن أبي أصيبعة : (هي آخر ما صنف في الحكمة) (٣) ، ويؤيد من هذا المعنى من
الام ابن سينا نفسه في بعض رسائله . كذلك يشير النص الآخر إلى أن بهمنيار كان يقرأ « الحاصل
والمحصل » . وهذا الكتاب — كما تقدم في المقال الثاني (٤) — صنفه فيلسوف مجاري لأن
بكر البرقي كما صنف له (البر والإيثار) ، وقد قال ابن سينا عن هذين الكتابين : « لا يوجد في
عنده (أي البرقي) فليقرأهما أحد بتصفح منها » (٥) . ومالا يوجد في البرقي مجاري لا يمكن
طبعاً أن يقع بين يدي بهمنيار همذان .

ولن الذي يصح — روايتي السمرقندي والبيهقي قول الفهماني : « وكان يجتمع كل ليلة في
داره طلبة العلم . وكنت أقرأ من الشفاء نوبة وكان يقرأ غير من القانون نوبة » .
تلك صورة من حياة لفيلسوف الوزير : ولما كان فيمنع من ورثته — وكان والده كما رأينا
قبل عام ٤١١ هـ — ظل حفيظاً على ولاته للأمير شمس الدولة ولديها من ممتلكاته . ولما كان في

(١) السمرقندي : المقالات الأربع . الترجمة الإنجليزية ص ٩٢ ، القصة ٣٨

(٢) البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام . ص ٣٣

(٣) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٩

(٤) مجلة المعرفة : عدد أغسطس سنة ١٩٢٣ م ص ٢٨٥

(٥) القفطي : تاريخ الحكماء ص ١١٧

(٦) أي الجوزجاني

(٧) القفطي : تاريخ الحكماء ص ١٢٠

تمس الدولة عام ٤١٢ هـ ضابط الجيود إلى الأمير الجديد سماء الدولة بن تميم لدولة استوزار
أبي علي بن سيبا فأبى عليهم الأمير ذلك . فاستاء الفيلسوف من سماء الدولة فخرج منها إلى أصغمان عاصمة الدولة
الحياة عبثاً ثقيلًا على نفسه بهمدان . وفكر في أن يخرج منها إلى أصغمان عاصمة الدولة
ففي جعفر بن كاويه . فاحتجب في دررجان . من عين همدان يقل له أبو غالب المعدر زمان
اطول لا مشغلا بالتأليف . وهناك في هذه الدار استأنس سينا مع طه جراء كبير موسوعة فلسفية في
الإسلام . ألا وهي كتاب « الشفاء » الذي يقع في ثمانية عشر مجلدًا . على أن شفه الشاذل شاذ
كان اتخافه ببلاط أصغمان . ولذلك فتركها أن يكتب سرًا . للأمير علاء الدولة ضابط خدمته وواليه
إليه . ولما ساء حظ الفيلسوف أن أمط تاج الملك وزير سماء الدولة الشاه عن أمر تلك المكتبة
فألقى عليه القبض وعتقه بقعة فردجان . ومع شقيقه محمود وتلميذه الخوزجاني . وفي
هذه القلعة أنشأ قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

ولقد أوقف الفيلسوف السجين حياته لتأمل وتأليف : فصف بفردجان تولى رسله
الرمزية في الفلسفة . ألا وهي « حتى يرقى من » . وصف بها كتب : لأدوية عقلية . وكتب
« الهدية » وغير ذلك من المؤلفات . وبقي بهذه القلعة محبوساً أربعة شهور نشب في سماء
حرب بين علاء الدولة وسماء الدولة اهرم فيها . لأخير . وعند عودته إلى همدان مر بقعة فردجان
فأخذ الفيلسوف معه إلى عاصمته . وزل الفيلسوف هذه المرة بدار رجل يقل له « لعلني .
وتظاهر بالاعتكاف لعل والتمسيف . على حين كان يعد عذته للانتقال من همدان . ولم يقل مكته
في هذه الدار إذ انسل متنكرًا في ربي الصوفية بصحبة حيه محمود وتلميذه الجوزجاني وشلامي
يقومان بخدمته ميمًا شطر أصغمان عاصمة علاء الدولة . ويظهر أن اسلالة ذلك إنما كان في عين
السنة التي حبس فيها بفردجان والتي نشبت في ثمنها الحرب — التي تقدم ذكرها — بين أمير
كاآصن . وعهان وهذالمات هذه الحرب قد وقعت عام ٤١٤ هـ كما جاء في كتاب « الحكام »
لابن الأثير في أخبار تلك السنة . فإنا نرجح أن آخر عهد فيلسوفنا بهمدان إنما كان هذا العام .
ولاشك أن أسعد أيام حياته إنما رآها بهمدان . ولكنه رأى فيها أيضًا تعسر أيام الحياة .
حين عبس الزمان في وجهه وألقاه بفردجان سجينًا . ومؤلفاته بهمدان كثيرة مهمة حفظت
بقدر ما كان خطيرًا في الدولة . ذلك لأنه أتم بها « القانون » عمدة الطب في القرون الوسطى شرق
وغربًا . ووضع رناهج الشفاء وحقق منه أعظم جزئه . وكتب تلك الرسائل التي تصف إليه
حين كان بفردجان . ولعل من أهم كتبه بهمدان كتاب في الاقتصاد السياسي وفي السياسة لم ينس
لنا منه غير اسمه وهو « تدبير الجند والماليك والعساكر وأرزاقهم وحراج المالك » . ويفهم
من العنوان أنه كتاب أمله عليه التجارب الوزارية .

مبارة في أصفهان

لقد قضى أبو علي بن سينا أربع عشرة من السنين في كشف علاء الدولة بأصفهان. ومع ذلك لم يبق لنا من أخباره في ثنائها غير ندر يسير من القصص التي لا تملأ هذا الفراغ الواسع من الزمان. ولعل الأمير الوحيد الذي اتصل به فيلسوفنا بسبب آخر غير أنطب هو علاء الدولة أمير أصفهان. فلقد كان هذا الأمير ميالاً بشبهه إلى الموم "عقلية تحب للفلاسفة"، ولقد اتهم بسبب ذلك في عقيدته الدينية. قال ابن الأثير: «وكان ابن سينا يخدم علاء الدولة بأصفهان بن كاكويه، ولأشت أن جعفر كان فاسد الاعتقاد. فهذا أقدم ابن سينا على تصانيفه في الإلهاد والرد على المشرع في بلده»^(١). ولعل مما شجع ابن سينا على الاتصال بعلاء الدولة أن هذا الأمير كان الوحيد الذي يستطيع أن يحتضن به ابن سينا من أي اعتداء كان قد يصيبه من السلطان محمود بن سبكتكين الذي استعجل أمره إذ ذاك وصار سيد موك فارس ومطوح عروشها. قال البيهقي مشيراً إلى تكافؤ أمير أصفهان وغزنة: «وكان السلطان محمود وابنه مسعود لا يعدان واحداً من الملوك من قراة، وحصان، سوى علاء الدولة في جعفر بن كاكويه»^(٢). ولقد اشترك ابن سينا في الخصومة التي كانت بين أمير أصفهان وغزنة — عند ما كان أمير هذه الأخيرة هو السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين — بما يمكن لمثله أن يشترك به. ذلك لأنه عندما انتصر سلطان مسعود في حروبه على علاء الدولة ودخل أصفهان أسر أخت علاء الدولة وحملها معه إلى غزنة ليورغم نكاحها على تسليم ولاية من ممتلكاته فدية لها. وهنا يتدخل الفيلسوف في الأمر فيحمله بما أوتي من دكاء وفضة. فيكتب إلى السلطان مسعود ويقول له: إن تروجت بهذه المرة يسم علاء الدولة إليك لولاية. فتزوجها سلطان غزنة ثم طالب أمير أصفهان بالبر بالوعد أو أن يسم أخيه إلى عساكره يعتدون عليها. فيكتب ابن سينا إلى سلطان غزنة يقول: «إن كانت تحت علاء الدولة فهي زوجتك، وإن طلقها فهي مطلقتك، والغيرة على الأزواج لا على الإخوة»^(٣). فأنف السلطان من ذلك ورد أخت علاء الدولة عليه. ويروي البيهقي أن علاء الدولة أهدى ذات مرة منسقة مفصصة بسكاكينها لأبي علي، ثم رآها فيما بعد لدى غلام من غلمان الفيلسوف. فغضب على تعريض أبي علي في هديته غضباً شديداً وأمر بقتله بعد أن صدكه بكفه، ففر أبو علي إلى الري في زي المتصوفة وليس معه شيء ينفقه على نفسه، ودخل السوق باحثاً عن أروج حرفة يمكن أن يتخذها لنفسه، فبعد بحث وتفتد وقع بصره على شاب رقاء يعرف الكهانة والتنجيم يحيط به خلق كثير بينهم امرأة تطلعه على تسرة^(٤).

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٦ أخبار سنة ٤٢٨ هـ.

(٢) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ص ٣٥.

(٣) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ص ٣٧ - ٣٨، والشهرزوري: تاريخ حكماء ص ٢٢٩.

(٤) هكذا في الأصل. في نسخة أخرى: يعرف به عسير الشيء ومعه موهبة.

[illegible]

ويعتقد صاحب المذاهب الأربع في أوروبا في انفسه انما هي اربعة دول هي انجلترا
من تلاميذ اغياسوف هو بوكساردين بومبيدور من لالة الدولة الاولى. وبومبيدور
الرواية الثانية هي. فاولا لما كان فعلا الدولة الثانية بلرى. وبومبيدور من لالة الدولة الثانية
الجوزجاني. ان مستند كان وزير لالة الدولة كذا وزير الدولة الثانية بلرى. وبومبيدور
عن صلا باسوف لالة الدولة الثانية كان لالة الدولة الثانية بلرى. وبومبيدور من لالة الدولة الثانية
الحرب. وكان حين تفقد لالة الدولة الثانية بلرى. وبومبيدور من لالة الدولة الثانية
البيروني واصلا ان صلياني مجلس لالة الدولة الثانية بلرى. وبومبيدور من لالة الدولة الثانية
وعليه قباء درى وعصمة حيش وحف دهم. وبومبيدور من لالة الدولة الثانية بلرى. وبومبيدور من لالة الدولة الثانية
استمع اهل المجلس لا يفسون بحرفه. (١)

أما من لوجهه العلمي فقد كانت حجة الفيلسوف بأصديان زاهرة مبنية بالتحديد. فقد عثر
دراسة اللغة العربية وآدابها وصرف في ذلك زمان ثلاث سنين. وقد مررنا شهاباً على الفلك
وذهب بأرصاد مختلفة. وذلك لأن علاء الدولة خير إصلاح انشأ الوقف في القديس القديم.
الأنطق لأبي علي من الزمان والمنتج إليه. فأخذهم يعمل ثمان سنين قدور. فليبدأ الجورحاني
في إصلاح تلك النقوش. واحتقر لذلك آلات راصلة لم يسبقه أحد من قبله. وول تسيده

الجورجاني داراة تلك الآلات واستخدام صناعاتها، ويشير الجورجاني إلى أن رصده هذا وقع فيه حلل يسيرة وعزى ذلك إلى كثرة أسفار الفيلسوف وصحبة علاء الدولة في حروبه الكثيرة. وفي غير اللغة وأحدث اشتغل بن صينا بالفلسفة أيضاً. نأتم بأصفهان كتابه المسمى «الشفاء»، وكتب له ملخصاً هو «المحاجة». قال عنه الجورجاني: «صنعه في الطريق في السنة التي توجه فيها علاء الدولة إلى سابور مرواست [في سنة ١٨٠٠] كما جاء في ابن الأثير»^(١١)، وكتب بعد ذلك كتابه المشهور باسم «الإشارات والتنبيهات»، وصنف أيضاً كتابه «الإنصاف» في الفلسفة، وكان يقع في عشرين مجلداً. قال عنه ابن أبي أصيبعة: «شرح فيه كتب أرسطو ونصف فيهم المترقيين والمغربيين ضائع في نهب السلطان مسعود»^(١٢)، كذلك صنف له علاء الدولة ٥٠ كتابه المكتوبة بالندريسية «دش نامه العلاني»^(١٣) وقد يكون هذا الكتاب أول مصنف في الفلسفة باللغة الندرسية، ولاشت أن للفيلسوف بأصفهان - غير تلك الكتب - رسائل هامة في شتى العلوم. ونحن نراجع ذلك في ثبت آثاره العلمية في سنتحدث عنها في مقال آخر.

وفاته

بعد هذه الحادثة خالدة الحليّة المصطربة أخذت تمش حياها الى تارث في حياء فارس حتى
وحسين سنة تسع مائة وهو مغربها، فلقد مرض بالتونج وهو بقمعه شلاء لدولة عند
خروجه من مدينة نيش فر ش. ونقول الروايات العربية ان لشد حرسه شو رثا - خشية من طريقة
يدينه الى رثا يستقيم الشير فيها مع المراض - حقن بمس في يوه وحده حتى مرثا. متفرخت
بعض أمه، ثم دبر به سحج. ثم طهره بالصرع الذي يتبع عادة توالج. فسل يدور من حمله
شيرة وصبا. وهو ضربه شاعر دانين من بدر الكرم في حمة مريض به وقت الكرم ربح
المولج. ثم ش. الغيبب. ووضع من ذلك اليد حمة در. هزات أرض حمة. يقول
الجورس: رثا ندرى نعمد فعل ذلك ثم حمة. لا ر. كرم. و. ن. يقول دوا.
المروديوس نوح الصرع. فصرح بعض حمة شدة كثيرا من الأديون فيه. ودوا مائة
يريدون بلاء. وسبب لك أهب حوده في هوال كثيرة احتملوه. من حرانه وشدوه.
وسيلة إلى إخفاء الجريمة غير وقته.

نقل المستشرق وهو من هذه الناحية في تصانيف حيث نشأ في مدينة حمص حتى قدر على
المشي وشيخه حضر إلى بلاد الموت، وهو مع ذلك كثير الخصال في أمر المعالجة^(١٥) فله يبرأ
من علته تمام البراءة^(١٦) ويرى بين حير وآخر.

(١) من لا يعرفه: ٥٠ - أخبار - ٤٤١٨٤ (٢) ابن أبي أصيبعة: ٥٢ - (الأنساب) - ٢ - ص ١٨

(3) ۱۹۹۰ تا ۱۹۹۲: ۱۹۹۱، ۰۳۰۹ تا ۱۹۹۲، ۰۱ تا ۰۳

(٥) "معاينة" أو "كشف" أو "إفشاء" لا يشترط أن يكون في حق الشخص الذي قد تم الكشف عنه، بل يمكن أن يكون في حق شخص آخر.

الى العدة لقرينة : فن التخليل كلط ون الا في الادوية اللازمة للمعالجة .

ولما قصد علاء الدولة إلى همدان لحرب نشبت بينه وبين أميرها - صبحه الفيلسوف في رحلته. وهنا عاود المرض الفيلسوف في الطريق فصعب جسمه وحارت قوته ويئس من الشفاء فأمره العلاج وأخذ يقول: « المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير - والآل فلا تنفع المعالجة ». ولبت على هذه الحال أياما معدودات، ثم انتقل إلى جوار ربه، ويتفق الرواة جميعا على أن وفاته إنما كانت بسبب هذا المرض. إلا رواية يذكرها ابن خلكان وينسبها لشيخ كمال الدين بن يونس الذي يذهب إلى أن مخدوم الفيلسوف (وهو علاء الدولة) غضب عليه فاعتقه فأتت في السجن وهو ينفد:

رأيت ابن سينا يعادي الرجال وبالحبس مات أخس المات
فلم يشف ماناله بالشفاء ولم ينج من موته بالنجاة

وبطلان هذه الرواية، لا مجال للاشتباه فيه: ذلك لأن الجوزجاني ينسب هذين البيتين إلى رجل من معاصري الفيلسوف لا إليه نفسه، ولعل قصة غضب الأمير عليه واعتقاله في سجن، ووفاته بذلك السجن إنما تولدت في خيال الشيخ كمال الدين بن يونس من تورية في البيت الأول. إذ أن لفظ « الحبس » يعنى السجن. ويعنى أيضاً انحباس البطن من القولنج، وتفسير المقصود بالمعنى الأول جائز. إلا أنه ليس أقرب إلى الواقع من تفسيره بمعناه الثانى. أما موضع وفاته ووقتها فيذكر الجوزجاني أنه توفي بهمدان وقبره تحت السور من جانب القلعة. وذلك في سنة ثمان وعشرين واربعمائة. ويريد البيهقي على ذلك أن وفاته كانت في الجمعة الأولى من رمضان من تلك السنة.

وهناك رواية ثانية هي رواية عز الدين أبى الحسن على بن الأثير الذي يقول: إنه توفي بأصفهان - لا بهمدان - وذلك في نفس العام المذكور ولكن في تاريخ أسبق. قال: « وروى أشعبان توفي أبو على بن سينا الحكيم الفيلسوف المشهور صاحب التصانيف السائرة على مذاهب الملاسمة وكان موته بأصفهان »^(١). وهناك رواية ثالثة تتوسط بين الروایتين السالفتين فتقول إنه توفي بعيداً عن أصفهان ثم نقل إليها فيما بعد ودفن في موضع بقرب باب كونسكبند، وترد هذه الرواية في « طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة »^(٢).

إلا أن ابن خلكان يرجح الرواية الأولى ويغلبها ويقول إنها الأشهر، وهي تتمشى في الحقيقة مع منطق الحوادث التي ذكرها الجوزجاني عن حياة أستاذه الأخيرة عند ما يشير إلى أنه توفي لما كان يسر بصحبة أميره إلى همدان بمناسبة حرب نشبت عام ٤٢٨ هـ. اضطراب في الحياة واضطراب في المات! أو ليس من سخريه القدر أن يكون قبر أعظم من أنجبهم فارس وأشهر أعلامها مجهولاً منذ القرون الأولى؟

محمد ثابت النندى

[للبحث بقية]

هل رمت غیری زوجة؟

لشاعرة المصرية الجليلة السيدة منيرة توفيق

يسرنا أن نقدم إلى قراء « المعرفة » استاجدبداً لم يسبق أن طرق الاستماع كثيراً ، ولكنه جدير بأن تعيه الآذان ، وأن يجري على كل شفة ولسان ، وأن نكشف في سماء الأدب عن كوكب لم يلمح قبل الآن . ولا سبق أن سمع به إنسان . تلك هي الشاعرة الملهمة السيدة منيرة توفيق كريمة المرحوم مصطفى بك توفيق كبير الشرط (حكا دار) بمديرية الشرقية ، وزوجة حضرة الفاضل رشدي افندي ماهر مأمور بندر الزقازيق .

وقد أرسلت القصيدة التالية التي عثت فيها فريتها المفصال على ماتخيلته أنه طازم على زواج أخرى . فرأينا إثباتها هنا . لما فيها من الروعة والعبرة ، وحتى يعلم الناس من جهة أخرى أن أفق مصر مزال بحمد الله تزينة نجوم الأدب . من الشاعرات بعد طائفة التيمورية وملك فاصف . قالت الشاعرة منيرة توفيق :

طال السهادُ وأرقت عيني الكوارث والنوازل

لما جفاني من أحـب وراح تشغله الشواغل

وطوى صحيفة حُبنا وأصاخ سمعاً للعواذل

يا أيها الزوج الكريم — م ، وأيتها الحبيب المواصل

مالي أراك معاندي ؟ ومعدني من غير طائل ؟

لم ترع لي صلة الهوى وهجرتي ، والهجر قاتل

هل رمت أن تغدو طليقاً ، لا يحول هواك حائل ؟

أم رمت غيري زوجة ؟ يا للأسى مما تحاول

إن تبغ مالا فالذي تدريه أن المال زائل

أو تبغ أصلاً فالتى قاطعتها بنت الأمائل

أو تبغ حسناً فالحما سن جمّة عندي موائل

أو تبغ آداباً فأشـ عارى على أدبي دلائل

أنا ما حفظت سوى الوفا
وأنا وبني شرف العفا
بجزيتني شرّ الجزا
أنسيت عهداً قد مضى
أيام تبذل من وسا
وتبت معسول النني
ولبتت تغريبي بما
خسبت أن الدهر أذ
ظناً بأنك لم تكن
ماذا جرى فهجرتني؟
عاشرت أهل السوء فاف
ومضيت تطلب بينهم
ورضيت هجر حليمة
والله ما فكرت يو
وجفوت يا قاسي الطب
فاعلم بأنك قاتلي
أين المسائل والموا
أين المودة في الهوى
أين الحديث العذب من
إني أسألك أين عهدك
أدريت ما فعل النوى
فاربأ بنفسك وانها

ء ولا ادخرت سوى الفضائل
ف أعد مفخرة المنازل
ء وكنت فيه غير عادل
حلوا التواصل والتراسل؟
ثل أو تنمق من رسائل
وتعد أسباب التحايل
تبديه من غر الشمايل؟
صفني، وأن السعد مائل
لا بالعقوق ولا المخاتل
والحب شيمته التساهل
تنصوك في شر الحبايل
عيش المقيد بالسلاسل
لما تزل خير الخلايل
ما في جفاك ولم أحاول
ع، ولم تدار ولم تجامل
والموت فيما أنت فاعل
صل في العشي وفي الأصائل؟
يبنى وبينك بالتبادل؟
ك وأين ولي سحر بابل؟
في الهوى إني أسألك
بي من ضني أم أنت ذاهل
وارجع إلى زين العقائل

الأدب العربي كآدب عالمي

للاستاذ محمد علي إمام المحامي

تحدث عن الأدب العربي كأدب مصور لهو عاطف البشرية المشتركة. صادق في تصويره لهذه العواطف. ذلك الأدب الذي يتجرد من الأوضاع والأوساط المحلية ويتسامى إلى بحث العواطف الإنسانية التي لا يحددها تقسيم أثروبولوجي و فاصل وصفي .
وإذن فالجزء النفساني الخالد هو حجر الزاوية في بناية الأدب العالمي. ذلك لأن الإنسانية متشابهة في إحساساتها وميولها. فالحب عاطفة جياشة تغزو قلوب الشرقيين كما تغزو قلوب الغربيين ؛ ولا إحسان عاطفة تفيض بها نفوس الشرقيين كما تفيض بها نفوس الغربيين . وهنا مسألة أحب أن أقف عندها قليلا .

قد يتوهم الأثر الأدبي على العنصر الديني Element Religieux كما نجد في شعر حسان بن ثابت ، وكما نجد في رسالة الغفران لأبي العلاء ، والكوميديا الإلهية لدانتى والفردوس للمilton . وقد يقوم الأثر الأدبي على العنصر الحماسي Element Heroique كما نجد في شعر المتنبي والبارودي وكما نجد في « الألياذة » لهوميروس . وقد يقوم الأثر الأدبي على العنصر العلمي Element Scientifique كما نجد في مختلفات الجاحظ وابن سينا ، وكما نجد في قصص « Jules verne » وهي قصص كانت تدور على اكتشافات علمية ظهرت فيما بعد . وكأن الكاتب هو المكتشف لها ؛ وكما نجد في مذكرات « شربلوك هولمز » الأسس الأولى للشرطة العلمية Police Scientifique لوضعها كونان دويل Conan Doyles

وقد يقوم الأثر الأدبي على وصف محلي للطبيعة Soeale كما نجد في القصيدة السينية لمحتري في وصف قصور كسرى أو شروان ، ورواية « زينب » لدكتور هيكل ، ورواية سمى لمدام أمي حير ، وكما نجد في قصيدة « البحيرة » للامرتين . وفي رأي أن هذه الآثار كلها أدب عالمي مادامت الفكرة الإنسانية تكن في أطوائها ، وما دامت العاطفة البشرية تعب دورها فيها . والأدب العربي - من هذه الناحية - أدب عالمي . والمقام لا يتسع هنا للإشهاد والتدليل . فمن شاء فليرجع إلى الآثار الأدبية يجد فيها حاجته ويقضى منها لباتته .
انتهى من هذا فأتحدث عن الجانب الآخر للموضوع ، عن الأدب العربي كأدب له حيويته وقوته . أتحدث عن الأدب العربي القديم وأوازنه بالأدب الذي عاصرته . وأتحدث عن الأدب العربي الحديث وأوازنه بالأدب الذي تعاصره :

الأدب الذي عاصرت الأدب العربي القديم نفتظم أربعة آداب : الأدب اليوناني القديم ،
لأدب الروماني القديم ، والأدب الفارسي القديم ، والأدب الهندي القديم .

يطلق بعض العلماء — المتوفرون على دراسة الآداب القديمة — على الأدب الجاهلي، أدب البساطة والسذاجة . بل يذهبون إلى أكثر من هذا فيشبهونه بأدب الزوج الذين يعيشون في أفريقيا والهند الحمر الذين يعيشون في أمريكا .

والعرب — عند هؤلاء — قد بعثت بهم مواطنهم عن سيول الأمم المهاجرة والدور الغازية . واعتزلت عن سائر الأمم بعض الاعتزال والصحارى والبحار . فهم لذلك قدس إلى البداوة منهم . الحضارة . وهم لم يكن لديهم وليد الدرس والتعمق . ولا سليل أعمال الفكر والتمق في التحليل بل نتيجته طبيعة دراكته وفطرة حساسه ونفوس ذكية نظرت فأفقت فتنظقت في غير تصنع ولا تكلف .

لكن التاريخ يحدثنا عن قيام مدينة باليمن . وآثار اليمن القائمة إلى اليوم وما رواه المؤرخون عن قصورها ومصانعها وعن سد مأرب وأمثاله . كل ذلك يشهد بما كان في اليمن من عمران . كذلك يحدثنا عن أهل الحيرة وبنى غسان وعما كان بينهم وبين الفرس والرومان من حروب تستلزم حتما قيام مدنية لا يمثلها هذا الأدب الجاهلي . وسواء تحدثنا بمقتضىه القائلين بتمثيل هذا الأدب الجاهلي للعصر السابق للإسلام أنه عدم تمثيله فليس هناك من شك في أن ما وصل إلينا من هذا الأدب قليل من كثير . وليس هناك من شك أيضا في أن هذا الأدب لا نعرف منه مكان هذا الأدب من الأدب الأخرى المعاصرة له .

حاء الإسلام وخرج العرب يحملون رسالتهم الدينية والخرافية . وصمدوا للجهاد والفتوح في سبيل الله حتى أنشروا ملكا طبق الأرض . وما يكاد يستتب لهم الأمر حتى تسيد ربهده رسالة العلمية . وحتى يقلص نزل الرسالات التي سبقتها .

وهنا نجد طائفة غريبة . القرآن هو كلام الله . نزل على رسوله . يتقاه المسلمون فطبة بالتحجيل والاعتبار . وطبيعى لا يقبل الإسلام إلا ومعه اللغة العربية ، تلك اللغة التي نزل بها القرآن ورسلى بها الرسول . وهنا أيضا لا نجد لغة مقصورة فهمها على عدد من العرب كما كانت الحال في ديانة درادشت Zoroastrianism والديانة الهندية .

لم يثبت للأدب العربى — فيما أغار عليه شئ . من الآداب الأخرى حتى البلاد التي لم ينجع اعتمادها الأولى . فقد بقيت لغة الفارسية لغة التخاطب في هذه البلاد . ولكن اللغة العربية طلت لغة الأدب والثقافة . كذلك لم يثبت للأدب العربى الأدب اليونانى على قوته . فقد صمد ونصاعل حتى انحصر في بلاد الميرنسيين والقسطمطيين وحل محله الأدب العربى في البلاد التي كان يسيطر عليها .

وشى ذكر الأدب اليونانى يقول الأستاذ جيب في كتابه «تراث الإسلام» «وازننا بين لأدب اليونانى والأدب العربى : «من نعم ميراث الأدب العربى والفارسى أنه عاطفى romantic»

وقد طالب الذي نشأ على حب المثل اليونانية في الأدب لن يجد في أدب العرب والفرس تلك الصفات التي امتار بها أدب اليونان ، والتي هي السر في قوته الساحرة الباقية على مدى الزمان ، ويرغم مافيها من قوة الصياغة فإن فيه جموداً ، وفي أدب اليونان تنوعاً ، وفيه إغراقاً ومبالغة وفي أدب اليونان شدة واتزان . وقد بلغ الكتاب اليونان واللاتين ما بلغوه من العظمة شوخي البساطة والسهولة وعدم الاندفاع ، على حين أن الكتاب الشرقى ينسج آياته فيملؤها بمديح الغامض من اللفظ . ويلتمس لها الاستعارات والكنايات البديعة الخلابه ، واليوناني يؤثر في تفكير بواسطه اجمل الخالص ، أما العربي أو الفارسي فيؤثر في الخاسه وفي الخيال . يأتي به من الألوان الساحرة . فالاستاد حبيب ينكر على الأدب العربي جموده وعدم تنوعه ووقوفه عند الأدب الروماني في الغرض . وفي تعبير أدق ووضح : ينكر عليه الشعر القصصي وشعر الفنائى والشعر التمثيلي . كما يستبين ذلك من كتابه .

ورداً على تلك لنا نجزم - في قوة وفي يقين - بوجود هذه الألوان من الأدب في الأدب العربي . وإن حتمت من حيث الكم في الأدبين : فالشعر القصصي تنعسه في شعر المهمل وعنترة وابن أبي ربيعة والميموني وغيرهم . كذلك تنعسه في هذا الشعر الذي قيل في حرب البسوس وحسن والمراء وسيف بن ذي - ن . وما في هذا من تجده متفرقاً في كتاب الأغاني وغيره من الكتب العربية . وأما واحد حمرة كبيرة من الشعر التمثيلي : يصف في "الأدب العربي" إذا حدث بكه فلت وقالت أو قال من القصيدة العربية . ليس شعر ابن أبي ربيعة - حين يقف في طريق الركب إلى الحديج ، وحين يقف من صاحبه . وحين تقف منه . وحين يتحجب إليها . وحين ترضى عليه - شعراً تمثلياً بكل ما في هذه الكلمة من مدلول ؟ ليس شعر امرئ القيس - حين يبيت في فلام الدين ويدخل على صاحبه فتأني عليه ويلج عليها - شعراً تمثلياً ؟

وفيهم إكثار حبيب في الأدب العربي حموه من الشعر الفنائى ، والأدب العربي كما يمثل وصف النفس وتغواها ؟ وإذا كان الأمر كما يقول ، ماذا يرى في يتحدث به رملاؤه من رحنه من أن العرب وحلافهم قوم عاطفيون يسرون وراء العاطفة وهوا - النفس ؟

هذا تحيظ واضطراب من « حبيب » ومن لف لفه في غير ما شك لا يبره ولا يفوقه إلا حسنه واضطرابه حين يأخذ في الأدب العربي إغراقه ومبالغته واندفاعه .

فالأدب الحقيقي هو الأدب الذي يتجلى فيه الصدق والدقة الفنية . وليس من الجائز صنف - وفقاً للنهائج العلمى الحديث - أن تصدر حكماً على الأدب العربي بما شاهده في أدب اليوناني ، بل يجب أن نحكم عليه وفق ميول أبنائه . ووفق درجة نجاحه في التعبير عن أفكارهم وأحيلتهم وغراضهم . فإن كان هناك ميل إلى الإغراق والاندفاع في طبيعة العربي ، فقد أدى الأدب العربي - كأدب حق - أماته في دقة وفي صدق : على أنى لا ترى فيما قالوه

إغراقاً واندفاعاً ، ولكن الإصراف بدا في آثار المقلدين من الشعراء حاله هؤلاء . غرقاً واندفاعاً ، وإذن فلا مأخذ ولا قصور في الأدب العربي .

ثما الرومان فلم يكن لهم إنتاج خاص يفخرون به إذا استندوا بالقانون والتشريع . أم أدبهم فقد كان صدى للأدب اليوناني ، وشعره التمثيلي ما كان ليذكر بحجاب الشعر التمثيلي اليوناني ، وخطبائهم مقلدون ومحاكون لشيشرون الذي تهذب وتنفذ بدوره على أفلاطون . ثما الهنود فقد كانت لهم آداب واسعة هندوكية وبودية ، وكانت ثداتها اللغات السكالاكية التي كان مقصوراً فهمها على طائفة بعينها من الناس . ولأدبهم قوم مفكرون . وفلاسفة فلسفية ويرون أن التاريخ سلسلة وقائع ملموسة ، وهم لا يعنون بغير الروح . وثمة لم ينفوه مادامت هذه المادية لا تتفق وتلك الفلسفة . لهذا لم يترك لنا التاريخ إلا القليل المأدر من آثارهم الأدبية التي تمكننا من الحكم على مكانة هذه الآداب .

ترك لنا التاريخ - في ترك - كتاب الهنود المقدس « الفيدا » الذي تأثر به لأديب والفيلسوف الإسباني « سرفيتيس » مؤلف « دون كيشوت » . وترك لنا أيضاً « كتب » لاوسا ، الهندية التي يحدثنا عنها شوبنهاور بأنها دروس شائعة لها أثرها في ترقية الذهن البشري . وبصع مؤلفات كرواية « شاكوتالا » التي وضعت قبل المسيح بزمن ليس باليسير . ورواية « جيتا » التي لا تختلف كثيراً عن رواية « هوراس » من حيث تصوير الميول المختلفة ودقة هذا التصوير . ولكن هذه الآداب كانت من الضعف والخصف في دائرة ضيقة هي الوطنية . بحيث إنها تالشت في الجهات التي هيمن عليها الاسلام خاصة في القرن الثالث عشر حين توغل الأتراك المسلمون في فتوحاتهم في الهند .

ومما يكن من شيء . فالأدب العربي القديم الذي تحدث عنه أدب لم يصد له أدب من الآداب التي عاصرتة حتى الأدب اليوناني أساس الآداب الاحنيية الحديثة . والمذهب الذي روت منه واغتنت على حسابه كما يقول رجال الاقتصاد . وليس أدل على هذا التباين من هذه الظاهرة الغربية : يغزو اليونان والرومان البلدان والأذهان بالسيف والحضارة والعلم ، ويفزو الفرس البلدان والأذهان بالسيف والحضارة والعلم . ويلبثون السنين الطوال يمكنون لأنفسهم ويضربونهم بطابعهم حتى إذا ما وهنت الأيدي ودال السلطان تنكرت المعارف وعفت الآثار . وتداول دولة العرب ويتقلص ظل هذه الصولة . فيظل الأدب العربي بحيث هو ، وتظل الثقافة العربية بحيث هي . لا تؤثر فيها عواذي الزمن ولا أحداثه .

وبينا البلاد التي يسيطر عليها الأدب العربي يغمرها العلم والثقافة إذا بالغرب يغمره الجهل والامية . وإذا بمدرسة تنشأ في أوائل القرن الثاني عشر يكون ههما ترجمة الكتب العربية . فترجم كتب الرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن سينا وابن رشد ، وترجم كتب بقراط

وأفلاطور وأرسطو وإقليدس من العربية . وتظل هذه الكتب موضعاً للبحث والدرس خمسة قرون أو تزيد في الجامعات الأوروبية .

إن هذه الخصومة القائمة حول الأدب العربي - قديمه وحديثه - يمثلها فريقان : فريق من أبناء الشعوب الماتورين وتجار العقائد ، وفريق من أبناء العربية عاشوا حيناً من الزمن في الحى الثلاثيني وموباراباس ، وجاءوا يحملون إلينا قشوراً من الآداب الأجنبية : ويحمون حتى هذه القشور السطحية بلا فهم أو استيعاب ، ويدعون إليها وينتصرون لها في شيء من الغفلة غير قليل ، فهم لم يدرسوا الأدب العربي . فإذا حاولوا درسه اقتصروا على بضعة نماذج مدرسية قليلة لا تغني ولا تفيد ، ثم خرجوا من هذه الدراسة يفضون من قدره ويستمدون الشباب عليه . أما الفريق الأول فلا أرى رداً أجمل ولا أقنع من أن ذكر له يبدأ بما قاله أبناء جنسه ، وممن أخلصوا للعلم والبحث والدرس :

يقول بترارك شاعر إيطاليا العظيم في القرن الرابع عشر : « ماذا ! ماذا ! أبعد ديموستين يستطيع شينرون أن يكون حفيظاً ؟ أو بعد هوميروس يستطيع فرجيل أن يكون شاعراً ؟! وبعد العرب يستطيع أحد أن يكتب ؟! »

« لقد ساوينا الاغريق غالباً وشأونا بهم حيناً ، وإذا شأونا الاغريق فقل شأونا جميع الأمم ، ولكن ما عدا العرب ! بالحنون ! بالفضلال ! بالعبقرية إيطاليا الرائدة الجامدة ! »^(١)

واستموا ما قاله المؤرخ الانجليزى ويلس : « هب العرب يظهرون ما حفي من مواهبهم فبهروا العالم بما أوتوه من معجزات العلم ونمخوا فيه من روحهم الحياة والقوة » إلى أن قال : « إن العلوم والآداب الحقيقية لم تدخل أوروبا إلا عن طريق العرب » . وانظروا إلى ما قاله المسيو ليبرى « Labori » : « مع العرب من التاريخ تتأخر نهضة الآداب في أوروبا قروناً طويلة » ، وكثير جداً مثل هذا ذكره الثقات والمنصفون من أبناء الغرب ، تضيق الصفحات عن ذكره .

وما الفريق الآخر من أبناء العربية - وهو الفريق الساخط على أدب بنى جسده المتبرم به - فأنا أرجوه وألح في الرجاء أن يدرس الأدب العربي دراسة تحليلية عميقة وفقاً لمتطلبات العلم الحديث الذي درسه قبل أن يدرس الأدب الغربي الذي يتغنى به . وأنا زعيم له بأنه سيجد في الأدب العربي مادة واسعة ومنهلاً ثراً لمن شاء الوقوف على أسرار الحياة وحقائقها . وإن لغة وأدبا - كما يقول شاعرنا مطران - جاء بهما كتاب الله لا يمكن أن يقال إنها لا يكونان

أدباً عالمياً . أما الأدب العربي الحديث فأنا أرجو الكلام عنه إلى مقال آخر إن شاء الله .

محمد علي إمام

في الأدب الروسي

قصة الأنف

لنيقولا جوجول (١٨٠٩-١٨٥٢)

(تمة ما نشر في العدد الماضي)

استولى اليأس والقنوط على كوفاليوف ، فأرحى عينيه ثم انظر في آجر الصحيفة حيث كان يوجد إعلان عن حفلة راقصة ، وكان على وشك الانحجار من المرح لما قرأ اسم راقصة فانتة مشهورة بين أسماء الراقصات ، ومد يده إلى جيبه ليعرف هل كان فيه خمس روبلات ثم لتذكره الدخول ، لأن صابغاً في مرتبته - كما هو في زعم كوفاليوف - يجب أن يستأجر مقعداً بمقاراً . ولكن أنفه أقسد عليه سلسلة خياله .

ولقد أحس الكاتب بالألم المر لمرکز كوفاليوف الشاذ ، وإد قد رغب في عزائه وتسايبته عن حزنه فقد ارتأى أن يبادله الشعور في كات قليلة فقال : « إني في الحق في أشد حالات التأثر من حدوث هذا الحادث الشاذ ، هلا تريد قليلاً من الفشوق ؟ فهو يشي الصداع ويدد الأوجع . ل إنه يستعمل أيضاً في الاضطرابات المعوية » . قال الكاتب ذلك وقدم لكوفاليوف عليه « فشوق للحلاة بصورة غادة حسناء تلبس قبة جميلة . وهذا الخروج عن الموضوع لم كوفاليوف كثير » . يقال بحدة :

« لست أدري كيف يسوع لك أن تنفك عن حماي ! ألمت ترى أني فاقد ذلك المصو الذي به يستنشق الناس ؟ ألا لعنة الله على أشوفك » . قال ذلك ثم انسحب من مكتب الجمعية ويكاد الأمى يقتله ، وانصرف إلى حيث يوجد مراقب البوليس . وفي اللحظة التي دخل فيها كوفاليوف كان المراقب يقول : « آه ! ينبغي أن تغفول مدة ساعتين » . وإذن فزيارة كوفاليوف لم تكن ملائمة قط . لذلك استقبل كوفاليوف ببرود وأقهمه أن ماعد الغذاء ليس بالوقت الملائم للأبحاث والتجريات ، وأن الطبيعة نفسها قد هيأت الانسان للاستراحة بعد الأكل ، وإن سيداً محترماً لا يجوز أن يفقد أنفه . وهكذا أضاف المراقب إلى ألم كوفاليوف تأنيباً مقذعاً ، ولا شك أن كوفاليوف قد استاء كثيراً إذ كان يتسامح في كل شيء ينكر أن يقال عنه . ولكنه لم يكن يتسامح قط فيما عس مرتبته ولقبه ، ولقد كان من أنصار الفكرة التي ترى أن وجوب الاغضاء مماير تكب من الخطأ ضد كبار الضباط ، ولكنه لم يقبل أن يهاجم الضباط الصغار . ولقد حيره رد المراقب حتى إنه طوح برأسه وقال في شتم وثقة وفي شيء من التعجب لمسلك المراقب :

« يجب على أن ألاحظ أنه بعد ملاحظتك المقذعة لست أستطيع أن أضيف شيئاً ؟ » . ثم انصرف خارجاً .

ذهب إلى منزله وهو يكاد لا يحس بالأرض التي يمشي عليها ، وكان الظلام قد أرخى سدوله . وقد تبدى سكنه موحشاً مقبصاً على أثر هذه الجهود العظيمة التي بذلها ولم يوفق فيها ، ولقد رنى وهو ينس إلى داره خادمه إيفان راقداً على مرقده القذر وكان يبصق فوق البلاط ، فتقزز كوفاليوف وتغير غيظاً من قدارة خادمه حتى إنه صفعه على جبهته قائلاً : « أيها الخنزير ! أنت دائماً تفعل مثل هذا » فانتفض إيفان وهب واقفاً واندفع نحو سيده يمينه على حلق رداً ، وعندما ولى الماحور باب حجرته - وكان مضى مهموماً - نلى بنفسه على مقعد وثير ، وبعد ما تأوه مراراً قال :

« أي رنى ! أي إلهي ! لماذا حلت في هذه المصيبة ؟ لو أني فقدت دراعاً أو ساقاً لكان أهون على نفسي ، أما العيش بدون أنف فهذا يجعلني غير معروف النوع : فلست متمكة ولا بحاجة ولا إنساناً . ولست أصلح لشيء غير أن أقذف من نافذة بأعلى المنزل ، ولقد كنت أكون مرتاح السميع لو أنه قطع في معركة حربية أو في مبارزة أو لو كان قد قطع عجز إرادتي ، ولكن المجيب أبى فقدته بدون سبب أو حجة أو مبرر . فقد نه لغير ما سبب البتة » ، وعقب ذلك صحتاً ثم قال : « مستحيل ! لا ! لا يصدق الإنسان العاقل أن نقاً يستقيل من منصبه ويترك وظيفته . هذا وهما طبل ، ربما أن يكون قد شربت بدلاً من الماء قليلاً من العودكا التي أفسح بها دفتي عيب أخلاقه فهيات في الأمور على غير حقيقتها » .

ولكي يتحقق أنه ليس في حمة أخذ يقرض نفسه بشدة بالغة حتى صرخ متألماً ، ولقد أقعته عذا لصراخ للمرة الأخيرة أنه كان في عالم الخفاف والوفاة لا في عالم الوجه والجلال ، فاقترب بكل ثورة وحراس من المرأة ثم أخذ يختلس - في حين - نظرة واحدة منها ولكنه لم يعثر على صالته في موضعها الأسفل . فتراحم وهو يصيح . « شيء صورة فكاهية هذا الوجه ! » .

وفي الحق لم يكن الأمر معقولاً أو مقبولاً . ولو أن الذي ضاع كان رداً من أررار المعطف أو ملحقه فضية أو ساعة أو ماشابه ذلك لكان أمراً مقبولاً ، أما وقد ضاع الأنف فهذا غير مفهوم وبعد أن فكر في كل الظروف السابقة لمقدانه أنه وصل الماحور بتفكيره إلى أن قرب ما يكون إلى الحقيقة أن الذي مهد السبيل لقرار الأنف هو ذلك الشخص الذي أراد أن يتزوج من ابنته وتلك هي مدام بودنة تشين . وفي الحق كان كوفاليوف يحب أن يغارل ابنتها ، ولكنه كان دائماً يتحجب أن يعدها بخطبتها لها . وعندما كانت أمها تصارحه بأمر زواجه بابنتها كان كوفاليوف يتملمس بدعاه منها ، وذلك بأن يكتر من تحيانه لها وتشكراته وبقوله إنه مازال صغير السن وإنه يفضل أن يبقى خمس سنوات أخرى حتى يصير عمره اثنتين وأربعين سنة ، وإذن فقد تكون مدام بودنة تشين قد أصرت على سبيل الانتقام أن تشوه خلقته فاستأجرت لذلك الغرض ساحرة من سحرة الفلاحين . فرض كوفاليوف ذلك الفرض لأنه يستحيل أن الأنف يكون قد قطع بأي

وسيلة كانت . ذلك لأنه لم يدخل عليه ش حجرته أحد ما ، ولقد خلق له الخلاق إيفان باكو فلفتش في يوم الأربعاء ، وطوال الأربعاء ، بل حتى يوم الخميس كله كان الأنف ما يزال قابضاً موضعه ، هذا شيء يذكره كوفاليوف تمام الذكر . وفوق هذا لو صح أنه اقتطع اقتطاعاً لشعر أولاً بالألم ، ولما اندمل الجرح بهذه السرعة حتى صار وجهه كالقطيرة الطازجة . رسم كوفاليوف جملة خطط المحاسبة مدام بودناشين : فهو يمكنه أن يرفع عليها دعوى في المحكمة ، ويمكنه أن يذهب إليها بنفسه ويستقدمها معه ، ويمكنه غير ذلك . وبينما هو كذلك إذ قطعت عليه أفكاره وخططه سلاسل الأضواء التي انبثت خلال ثقب الباب منبهة بأن المصباح قد شعل عند دخول خادمه إيفان ، وسرعان ما دخل إيفان وهو يحمل المصباح فأضاء الغرفة كلها . وكانت أول حركة بدت من جانب كوفاليوف آنئذ هي أن يجذب مديله بسرعة البرق ليحجب به الموضع الذي كان بالأمس يتجلى بالأنف ، حتى لا يتفرس خادمه الغبي في وجهه عند رؤيته له .

وقبل أن ينصرف الخادم إيفان إلى مصححه سمع صوت شخص غير مأثوف وهو يجتاز المدخل الخارجي على حين كان يقول : « هل الماجور كوفاليوف هنا ؟ » ، فقال كوفاليوف : « نعم نعم ! إنه هنا » . على حين كان مندفعاً بسرعة نحو الباب ليفتحه ، فدخل ضابط من ضباط البوليس حسن الهندام له شاربان متوسطا الطول والكثافة وحدان بارزان . هو عين ذلك الشخص الذي استوقف الخلاق إيفان يا كوفلفتش عند نهاية الكوبري كامر في صدر القصة .

قال : « هل افتقدت أثفك ياسيدي ؟ »

« نعم » ، (بصوت منخفض حتى لا يسمعه خادمه)

« لقد وجد الآن » .

« ماذا تقول ؟ » ، قال الماجور ذلك وكان السرور قد حبس لساه فلم يستطع إلا أن يحدق النظر بعينين متسمتين إلى ضابط البوليس الواقف أمامه الذي كان ينعكس على شففيه ووجنتيه ضوء الشمعة الوضاء ، ثم قال : « وكيف ؟ »

« كان ذلك بمصادفة عجيبة . فقد قبض عليه أثناء الطريق وهو ذاهب إلى ريفنا . وكان يحمل جواز سفر ، باسم مستعار على أنه موظف حكومي . والمعجب أني توهمته سيلاً محترماً بادي دى يده . ولكن لحسن الحظ كانت معي نظارتى التي مكنتني من أن أعرف أنه الأنف . و أنت أعلم أنني قصير النظر حتى إنك لو وقفت أمامي . فإني أشاهد فقط أن لك وجهاً . ولكنني لا أخطئك ولا لحيتك ولا أى شيء آخر . وهما تى لا ترى شيئاً أيضاً » .

وكان الفرح قد سد على كوفاليوف كل مشاعره فقال بلهفة : « أين ؟ أين ؟ دعنى أعرف ذلك لألحق به الآن » .

« لا تريك نفسك ؟ فلعلنى بأنك في حاجة ماسة إليه قد أحضرته معي ، والشئ الغريب أن الشخص انتهى أعانه على الفرار حلاق متشرد بشارع فورنسكى وهو الآن رهين الاعتقال ، وقد

اشتبهت فيه منذ زمن أنه سكران وليس ، وأول أمس فقط سرق حزمة من الأزرار من متجر عظيم هاك تفك كما كان بالصبط من غير زيادة ولا نقصان ، قال ضابط البوليس ذلك على حين كان يخرج الأنف من جيبه . « هو ، هو ، بكل تأكيد ، من غير شك ، لا ريب يجب أن تتناول معي هذا المساء ككوباً من الشاي » .

« يسرني ذلك كثيراً ولكنني قد لا أستطيع ذلك الآن : إذ يجب على أن أتوجه إلى ملجأ الأحداث لقد صارت ثمان الحاجيات مرفوعة وعندى في المنزل حماتي وأولادى وأكبرهم سناً تبدو عليه ملامح النجاسة ودلائل الأمن ، فهو دكى جداً ولكن ليس لديه مال يقوم بتربيته » ، قل ذلك ثم خرج . ولقد ظل كوفاليف بعد خروج رجل البوليس في حالة دهول تام رمتاً طويلاً . ولما استعاد رشده تناول بغاية الاعتناء ذلك الأنف المعاد إليه بين كفيه وهو يلمصهما الواحد بالآخر ، وصار يمحس الأنف بانتباه ويقظة .

« نعم هو بعينه . هو بكل تأكيد . وهذا هو الدم الذي برز في الجانب الأيسر أمس » . قل ذلك وهو فغر فاه صمكا وسروراً . ولكن ليس في الوجود شيء يدوم طويلاً ، فان سرور كوفاليف لم يكن عظمي في اللحظة التالية ، وفي اللحظة التي تلتها كان أقل أيضاً ، وأخيراً عاد إليه عبوسه لأول . فقد كان كوفاليف مثل الماء الذي ترسم على سطحه حلقات متعددة عند سقوط حجر فيه . ثم لا يلبث أن يعود إلى حالته الأولى إذ تنبذ تلك الحلقات رويداً رويداً . ففكر كوفاليف فوجد أن المشكلة لم تحل إلا حزوها : الأنف قد وجد وأعيد إليه . ولكن انهم أن يعاد إلى موضعه . (وما قيمة ذلك إذا لم يثبت في موضعه ؟) كذلك تسأل كوفاليف فيما بينه وبين نفسه .

وأخيراً اندفع إلى المنضدة وراح المرأة إلى نسي وأراد أن يحكم وضع الأنف في وسط الوجه . وكانت يدها رتخان . ومع ذلك فقد وضعه في موضعه الأول تماماً إلا أن الأنف لم يثبت في مكانه قط . فحاده شفتيه وأخذ ينفخ في باطنه بنفسه الحار على يدق فيقبل الالتصاق ، ثم أعاد وضعه إلى المكان التالي بين حديه ولكن الأنف لم يلتصق . فخطبة ثلاً : « هلم هلم التصق أيها الخبث » إلا أن الأنف كان يبدو كأنه لوح من الخشب ، وسقط من يديه فوق المنضدة فانبعث من سقوطه صوت يشبه فرقعة الزجاجة المسدودة عند فتحها ، فرغمه ثم قال : « يجوز أنه لا يثبت في موضعه مرة ثانية » ، وكان كلما أعاده إلى موضعه يؤوب من التجربة بالفشل والخسران .

فاستدعى إليه خادمه إيفان ووقفه إلى طبيب كان يستأجر الدور الأول من نفس المنزل ، وكان الطبيب رجلاً ضيقاً وسما له شاربان أسودان وزوجة حديثة . وكان يأكل التناج الطازج في كل صباح ويحفظ فيه على الدوام نظيفاً ويمسحه كل صباح مستعملاً خمس فرجونات مختلفات ، وكان يستغرق في مسحه نحو ثلاثة أرباع الساعة تقريباً ، وجاء هذا الطبيب في الحال . وفي حين كان يسأله الطبيب عن الوقت الذي أملت به هذه الملمة ، كان أيضاً يقبض على ذقن المجاور كوفاليف

بيد وليس موضع الأنف بيده الأخرى : فاترع الماحور رأسه بسرعة حتى إنه ارتطم بالحائط
فطمأته الطبيب ونصحه بأن لا يجذب رأسه هكذا ، ثم طلب إليه أن يدير أولاً رأسه إلى
اليمين : وحير ذاته لمس الطبيب الموضع الذي كان الأنف به فقال كوفاليف : « أولاً ،
ثم طلب إليه أن يدير رأسه إلى اليسار ففعل ولما سه الطبيب في موضع تفرقه عن كره منه ، وأخيراً
تفرقه في ذلك الموضع حتى إن كوفاليف جذب بسرعة البرق رأسه فارتطم ثانية بالحائط ،
وبعد أن قام الطبيب بهذه المشاهدات هز رأسه وقال :

« لا ، لا يمكن ، الأفصل لك أن تبقى على ما أنت عليه الآن . إذ لو عيّد لأفكار واهلا عليك . قد يمكن أن يرشق في موضعه إلا أنني لا أستطيع ذلك في الحال . عني أني تؤيد لك أن في إعادته وبالا عليك » .

« حين ما قلت . لكن كيف أعيش بدون ألف ؟ ليس يمكن أن تكون الأمور ثمراً ماهي
الآن ، السب أستطيع أن أطعم أحداً من الناس على شكلى وأنا ههنا الوجه الكاريكاتورى . في
صداقه عديدون . مثلاً اليوم كان ينبغي لى أن يكون في حفلة مسائليتي . وأنا أعرف
شخصيات بارزة كثيرة . فأعرف مدام تشم تاروف زوجة ذلك الصانع الخدير . و مدام بودوتش
ارملة ضابط حصار آخر . . . ولو أنها لعبت دوراً ضدى إلا أنى إن أمسها إلا عن طريق المواليس .
بربك انى على إعادته هلا توحد طرق لذلك ؟ وحتى لو لم تمكن تقنيته جيداً . و قد نفس
إلصاقه بأى شكل كان ؛ إذ طالما ثبت في موضعه « فى أستطيع أن أسمده بيدى في الظروف
الحرحة ، وإن أرقص بحال من الأحوال حتى لا يصدمه رافض فيقبله . أما فى ما يخص بأحرار
فتن بأن لك منى كل ما تسمح به ظروفى » .

فأجاب الصبي في صوت ليس بالمرتفع ولا بالمنخفض ولكنه مقمع حداب نه صدقني .
لا يمكن أن يحترق في إلى العمل أدنى باعث من بواعث الشفقة لأن ذلك يسيء مبادئهم . ولعلنا
كنت نستطيع أن رد إليك أثقت ولكن تؤكد لك بشرى أن في ذلك وبلا عليك . وهن
شيء أن تنتظر فعل الضيعة وصنيعها بك غسل موضع الألف بالماء الساخن دائما . و
تؤكد لك بأنك ستكون في صحة جيدة ، وأنصحك أن تضع ثقت في زحاجة صغيرة مع مقتير
من الفودكا . وحينئذ تستطيع أن تببسه بمبلغ عظيم من المقود . وربما حدثت له بعض إذا
لم تغل في نفسه .

[illegible]

بمدام بودتاتشير ليبرف ما إذا كانت على استعداد أن ترد إليه حاجته المطلوبة فكتب إليها ما يأتي:

سيدتي العزيزة الكساندرة جريجوريفنا :

لست أستطيع أن أفهم سلوكك الغريب حياي؟ ومي يكن من شيء فأنا أؤكد لك أنك لن ترحي منقل ذرة ما فعلت . كما أنك لن تتقدمي قيد شعرة في سبيل إرغامك إياي على الزواج من ابنتي . صديقتي ! إن قلت لك إن فعلت الشئ الممنعة بأني لم تعد بعد حافية عني ، كما لم يعد حافي عني . أنك وحدك الشخص المسئول عن ذلك . فأر فرار المدكور أنا من موضعه الطبيعي . ثم أخفيه تارة في ثوب مؤلف حكومي . وتارة في صورته المعتادة ليس الا نتيجة للسحر الذي ت به أنت أو قام به أولئك الأجراء الذين يحترفون هذه الحرفة الشريفة مثلك . وأنا نحس بأنه من وجي أن نذكرك قبل بلاغ شيء جهة أخرى ، فإذا لم يكن الأنف المذكور في موضعه اليوم فسأضطر إلى الاستعانة بحماية القانون .

ولي عظيم الشرف - . مي يكن الأمر - أن أكون خادمك المقدر لعملك .

أفلاطن كوفاليوف

سيدتي العزيزة أفلاطن كوزميتش .

لقد دهشتني خطابك كثيراً جداً . ويحب على أن صارحك بأني لم أكن أتوقع مثله منك . وعلى الخصوص ما كنت أتوقع تخرصاتك على . وأؤكد لك أنني ما استقبلت قط ذلك الموظف الحكومي في منزلي . كما نشرت في خطابك . لا متحميا ولا في لباسه العادي . حقا لقد زارني ابنن يفدوفتش بودتاتشيكوف . ومع أنه طلب مني يد ابنتي - وهو كما تعلم ذلك الشخص الحسن السلوك الكثير لعمه لوافر الدكا - لا أنني لم أشجعه قط في زمله . ثم إنك تشير أيضا إلى أنه . فإذا أردت أن أفهم من ذلك بك تنوءة أنني رفع الأنف بشم . فعني أنني أرفض حملو بكت باهتمام ، فلا شئت أن قولك مستهجن إذا أنك تعلم أنني كنت وسأكون دائما عني تقيص ذلك . فإذا كنت دائما ، ابنتي وواضعا نصب عينيك الزواج منها فأز عني استعداد لأن تعاوت حالا . لأن هذا كان عني الدوام أنه رغائبي . وسأضل دائما مستعدة لخدمتك .

الكساندرة بودتاتشير

قد كوفاليوف بعد أن اضلع على رسالتها : (لا ، الحق إنها لا تستحق الدوم . لا يمكن ذلك إذ الخطاب مكتوب كما لو كان صادر عن شخص برى لا عذر له بالجريئة ولكن بأني وسيلة حدث هذا الحادث لمشئوم؟ داك سر لم أمض عنه تقاب . قل ذلك عني حين سقطت يداه إلى جانبيه لما أعيته الحيل وأضناه التفكير .

وكانت قصة الأنف قد داعت في كل أضراف المدينة . وفيها زيادات وإضافات لاغنى لمناس عن اتتحالها .

وفي هذا الوقت عينه شغلت أفكار الناس قاطبة فاطبة بتلك التجارب العجيبة التي أحرثت في

مسائل التنويم المغناطيسى ، وفوق هذا كانت قصة المقعد الرصاص الذى يرقص فى شارع «كونيوشنى» مارالت عالقة بالأدهان لقرب عهدها، وإذن فليس عجباً أن يرى الناس بدءوا يعتمدون أن أنف كوه ليوف اعتزل وظيفته وكان يسير فى ميدان تفسكى فى تمام الساعة الثالثة بعد الظهر . وكان الناس المستطلعون يتجمعون هناك كل يوم . وقيل مرة أن الأنف فى متحر يوفكر . فكنت ترى الجماهير كداساً عند باب هذا المتحر حتى إن البوليس اضطر أن يتدخل فى أمرها . ولقد انتهز هذا الرحام أحد المتفرجين - وهو رجل كان يبيع الحلوى والمأكولات عند أبواب دور التمثيل - فصنع مقاعد خشبية ليقف عليها من شاء من الجماهير مقابل أجر قدره ثمانية كوبكا لكل مقعد . وقد خرج واحد من الصباط العظام من منزله مبكراً بقصد التفرج . فشق طريقه وسط الرحام بشق الأنف حتى وصل إلى المتحر ولكنه امتلاً حقناً وغيتاً فى الحال ، لأنه بدلاً من أن يرى الأنف المزعوم رأى نفس الصديرى الصوفى المعتاد وإلى جانبه صورة تمثل فتاة رشيقة تسحب جوربها إلى أعلى ، فى حين كان شاب أنيق يسترق النظرات من وراء شجرة قريبة . وتلك صورة تقوم فى موضعها دالك منذ أكثر من عشر سنوات . قتال محقق وسويهم بالانصراف : « كيف يفتاد الناس لمثل هذه القصص السخينة التى لاتصدق ؟ » . ثم ذاعت إشاعة أخرى بأن أنف الماحور ليس فى ميدان تفسكى . ولكنه يتجول فى حديقة « تافرتشكى » . وأنه كان هناك منذ زمن بعيد . وأنه لما كان « هررف مررا » يسكن هناك كان يدهش جداً لمثل هذه العجيبة . فيهم شطر تلك الحديقة كثير من طلاب أكاديمية الجراحة ، وكتب سيدة من الطبقة الراقية خطاباً إلى مدير الحديقة ترجوه فيه أن يرى أبناءها تلك الظاهرة العجيبة . وأن يشرحها لهم إذا تمكن شرحاً وافياً . ولقد صار كل الدين يحضرون اجتماعات الساهرة - بقصد الاتصال بالفتيات الجميلات وإدخال السرور إلى قلوبهن - حد شاكرين لمثل هذا الحادث الذى أتاح لهم أن يتدروا به ، لأن ثروتهم القصصية كانت قد بددت فأفلسوا من الأقصيص والأحاجى . ولم يستأ من هذا الحادث غير جماعة صغيرة من ذوى الرئى . قال واحد منهم إنه لايفهم كيف أن الناس فى هذا العصر المستنير بعباء العلم والمعرفة يذيعون بإيمان واعتقاد تلك السخافات المختلفة . وتعجب من هذا أن الحكومة تسكت حيث لا يجب الكلام . وهذا السيد على ما يظهر هو من أولئك الذين يريدون الحكومة أن تتدخل فى كل شئ حتى فى الزراع اليومى الذى يحدث بين الأزواج والأزواج وهما أيضاً ذهب الحادث فى طيات السيان ولم يعرف أحد ماذا جرى بعد ذلك .

فذلك الأنف الذي كان يتحول بعربة في زى رسي ، والذي أقام المدينة وأقعد لها ماد إلى سابق موضعه بين وجنتي الماجور كوفاليوف كأن لم يحدث شيء هناك. حدث هذا في الساع من إبريل فقد استيقظ الماحور كوفاليوف ذلك الصباح وتناول المرأة صدفة فرأى أنه أحكم وضع يده عليه فوجد أنه أنه لاشك فيه ، فأخذته نوبة من السرور وفهقه كثيراً وأخذ يرقص حافي القدمين في حجرته ولم يصده عن تهرجه غير دخول حادمه إيفان . أمر خادمه أن يحضر له ماء في الحال ، ثم أخذ يغسل وجهه وفي أثناء ذلك عاود النظر إلى المرأة مراراً فكان يحذ الأنف في موضعه . ثم مسح وجهه بمنشفة واحتلس أثناء ذلك جملة نظرات في المرأة ليتأكد من وجود الأنف .

« انظر يا إيفان كنت متوهمًا أن دملاً فوق أنفي » كذلك قال كوفاليوف لخادمه على حين كان يقول في نفسه : « كم أخشى أن يجيئني إيفان بقوله لا ياسيدي ، لادمك هناك ولا أنف »
ولكن إيفان قال : « لا شيء هناك ولا دم ، أنفك ياسيدي لا بأس به » .
فقال الماجور في نفسه : « لقد مدد الله الظلام »

وفي هذه اللحظة كان إيفان يا كوفلنتش الحلاق يدفع باب الغرفة ليدخل . ولكنه كان كالقط الذي يريد أن يدخل حجره خرج منها طريداً لسرقة ارتكبها . فلما لمح طرفه الماجور وكفاليوف صاح في وجهه : « أخبرني أولاً هل يدلك لفيفتان ؟ »

فقال الحلاق : « نعم »

« أنت تكذب ! »

« لا ورن ياسيدي ، هما نظيفتان » .

« حسناً ، هلم احلق »

وجلس الماجور كوفاليوف إليه مقبداً ثم طرح إيفان يا كوفلنتش عليه منشفة . وفي قلب من الزمن غطي كل ذقنه وبعض خديه بالصابون

هل عيناي بخير ؟ قال ذلك إيفان يا كوفلنتش في نفسه ؟ على حين كان يدير رأس زبونه من اليمين إلى اليسار وبالعكس وهو يتأمل الأنف ملياً ثم قال : « الأنف هو هو بكل تأكيد ولكن ما معنى ذلك الحادث ؟ » ثم ابتعد قليلاً وكان يدقق النظر فيه أيضاً وحيراً رفع يده بكل حذر وبطء ليلمس طرف الأنف .

فقال كوفاليوف على الفور : « حاسب . حاسب . حاسب » فتراجعت يد إيفان يا كوفلنتش ، وتراجعت بسرعة وامتلاً هو بالرعب والاضطراب بشكل لم يسبق له مثيل - وبدأ أخيراً أن يحركه بالموسي تحت ذقنه لأنه يصعب على إيفان يا كوفلنتش أن يحكم وضع موساه إذا لم يكن يقبض جيداً على عضو الشم . ومع ذلك فقد غرس أصابعه في خد كوفاليوف وبذلك تغلب على الصعوبة وأنجز مهمته الشاقة .

فما انتهت الخلاقة شرع كوفاليوف في ارتداء ملابسه على وجه السرعة ثم امتطى عربة وتوجه نحو الخوانى . وقبل أن يدخل الباب أخذ يصيح : « يا حرسون ! كوب من السكاكاو » . واحتلس في اللحظة عينها نظرة في المرأة ورأى الأنف . وحينئذ شاح بوجهه من فرط السرور ثم رفع عينه ببطء كما يفعل الارستقراط من الناس فوفقت عيناه على اثنين من ضباط الجيش . كان أنف أحدهما لا يكبر على الزر حـ . خيل للماجور كوفاليوف أن يحذر ذلك الضابط من محاولة هروب نفسه واعتاراه الاستغالة من مركزه . إلا أنه تماك نفسه والشغل مراعاة لتحقيق من أنفه . ثم انصرف نحو المصلحة الحكومية التي تقدمه إليها للتوظيف كمساعد للحاكم أو إداري بوفوق في ذلك فكرئيس للكتابة . وعند مروره بحجرة الانتظار نظر في المرأة لأخر مرة فطمأن لوجود الأنف . ثم شق طريقه إلى ماحور آخر كان من دأبه أن يتهم على كل شيء . وفي مساء دهابه إليه كان يقول في نفسه : « إذا لم ينفجر الماحور صاحبكا عند رؤيته لي فذلك تأكيد قاطع بأن كل شيء في موضعه » . إلا أن الماحور الساحر لم يقل شيئا من ذلك . فقال كوفاليوف في نفسه : « حساً ، حسماً جداً . الحمد لله » . ثم إنه صادف في طريقه مدام بودتانشين مع ابنتها فأكثر من التحية والاعجاب . لم يخيبها بنوع من الدهشة والاعتباط مما جعله يرداد اطمئناناً بأن كل شيء في موضعه سليم يرى من القصر . وتحدث معها قليلاً . وفي أثناء ذلك أخرج عنده نشوقه ثم وضع السعوط في حيشوميه سوياء . متممداً ذلك حتى لا يهمل مراعاتها . ومنذ ذلك الوقت أخذ الماحور كوفاليوف يتجول في ميدان تسكي ويراد لمسارح كأن لم يكن حدث هناك . كذلك الأنف فقد ربح في موضعه من غير انحراف ولا اعوجاج كأن لم يكن قد فارق كوفاليوف قط . وبذلك كان الماس يرون الماحور صاحباً نشيطاً مفارداً لكل الفتيات الحسان .

تلك هي الحادثة القريبة التي وقعت في مصر في العاصمة الجمالية لامرأته يريتها الشسعة . والآن فقط عندما تأملها يدرك أنها تشتمل على شيء لا يمكن وقوعها منه . فدا شعاع تلك الحقيقة وهي أن أنفها يعال موضعه ويظهر في مكانة محتمة في زى رست . ثم هي محض حرافة ! فإن هناك مالا يمكن تخيله ، وهو كيف أن كوفاليوف لم يدرك أنه ليس من الاثنين أن يعلم عن حرافة في الصحف السيارة ؟ ثم كيف وصل الأنف إلى لرغيف ؟ وما شأن أنف يا كوفاليوف به ؟ لست أستطيع أن أفهم ذلك .

ولكن أبعد الأشياء غربة وبعداً عن التصديق هو أن السكتات يتناولون هذا الحادث بأفلامهم . وأنا أصرح بأن هذا فوق مدارك . فالحدث فب كل شيء لا فائدة فيه لوطن . وثانياً ثم ثانياً أيضاً لا فائدة فيه بالمرء . وفي الحق لست تجد ما قوله عنه . . . ومع ذلك فعندما تمس النظر فيه فستجد فيه حتماً بعض الشيء . وبها تقول الناس فإن مثل هذا الحادث يحدث حقيقة لا كتهراً . ولكنه يحدث والسلام . يحدث في أوهام الجماهير وعند ضعفاء التقدير والتفكير .

التلقيح عند الحيوان

بـمـ الأستاذ محمد محمد السيد

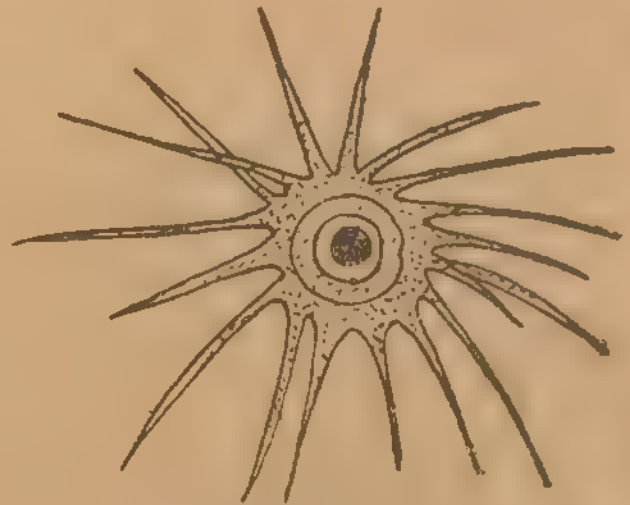
المدرس بمدرسة طنطا الثانوية

[البويضة والحيوان المموى - أعضاء التناسل - التلقيح]

البويضة والحيوان المموى : بين ملايين الخلايا التى تكون الجسم توجد خلايا لأوظيفة تؤديها لمنفعة الكائن الحى نفسه . بل تعيش لمصلحة النوع لمصلحة الأفراد . وتلك هى الخلايا التناسلية .

والخلايا التناسلية أو حريم التلقيح (وتسمى أيضاً جامتات) هى البويضة فى الأنثى والحيوان المموى الذكر . وهما باحادهما يكوّنان الخليّة الملتحقة التى إذا وجدت وسطاً وغذاءً ملائمين تتطور وتنمو مكونة الجنين .

ويتركب الحيوان المموى - لأغلب الحيوانات (انظر شكل ٥٠) - من رأس . الجذ الأكبر منه نواة . ومن ذنب طويل بواسطته يتحرك



شكل ٥٠ الحيوان المموى للأنثى
فى وضعين مختلفين ميكراجياً

شكل ٥١ الحيوان المموى لأغلب الحيوانات المقترب من النواة فى الوسط
ميكراجياً

الحيوان المموى حتى يصل للبويضة . ويوجد بين الرأس والذنب عنق له أهمية خاصة فى حمل البويضة

الآتي على الاقسام وتكوين الجنين . ويبلغ طول الحيوان المنوي كله نحو ١ على ٢٠ من المليمترات . وفي الحيوانات القشرية نجد الحيوان المنوي (شكل ٥١) له شكل كروي ، وهو ذو روائد كثيرة بواسطتها يتحرك متجهاً نحو البويضة .



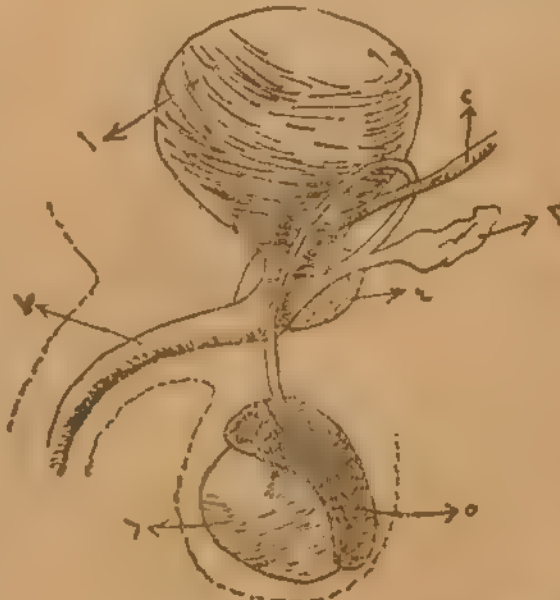
أما البويضة (شكل ٥٢) فخلية كبيرة كروية الشكل : وهي في أغلب الحيوانات الثديية تبلغ نحو ١ على ٥ من المليمتر قطراً . وتحتوي خلافاً النواة على جانب من كريات زلاية لتتغذى عليها في الأطوار الأولى من النمو .

أعضاء التناسل : يتركب الجهاز التناسلي للذكور في الحيوانات الراقية (شكل ٥٢) من زوج من الخصى ، حيث تفرز الحيوانات المنوية ، ومن قنوات لمرور السائل المنوي إلى حيث يلقح بويضات الأنثى ، ومن عديد من الغدد تفرز سوائل لها أهمية في تنشيط الحيوانات المنوية لتؤدي وظيفتها .

شكل ٥٢ البربخ والمهبل للأنثى
كبير (حمارسج)

والخصية تتركب أساسياً من كتل من أنابيب ملتوية مبطننة بخلايا هي التي بانقسامها تكون الحيوانات المنوية . وبين هذه الأنابيب الملتوية توجد خلايا أخرى تفرز سوائل لها أهمية في تكوين المميزات الجنسية للذكر كنمو شعر الذقن والشارب وغيره .

وتمر الحيوانات المنوية عقب تكونها إلى الحويصلة المنوية حيث تحزن في الوقت المناسب قدا احتيج إليها اندفعت إلى القناة التناسلية البولية بعد أن تختلط بسوائل تفرزها غدد خاصة . وهذه الإفرازات تنشط الحيوانات المنوية

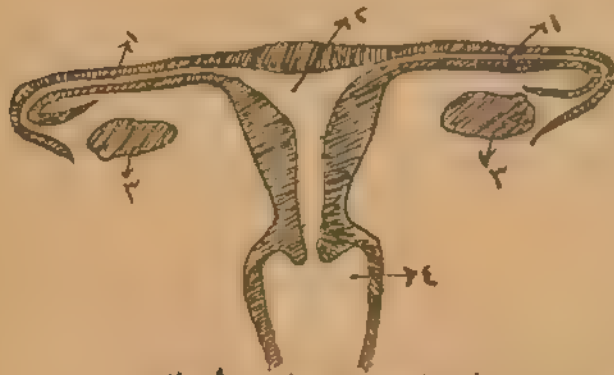


شكل ٥٣ أعضاء تناسل ذكر حيوان ثديي راق
(١) شانة البول (٢) المثانة (٣) الحويصلة المنوية (٤) غدة البرستاتا
(٥) مقلع المنوية (٦) الخصية (٧) القناة التناسلية البولية

تفديها حتى تقوم بواجبها . ويوجد إسراف كثير في صنع الحيوانات المنوية . ففي كل عملية تلقح يستهلك لا أقل

من مائى مليون حيوان منوى لتفتنى إلى أن يلقح واحد منها فقط بويضة الأنثى . وفى أحوال
فيلة يحتاج لأكثر من واحد إذا كانت البويضات المعدة للتلقيح كثيرة .

أما الحمار التناسلى للأنثى (شكل ٥٤) فيتركب (فى الحيوانات الثديية الراقية) من
مبيضين يقابلان الخصى فى الوضع بالنسبة للحجم ؛ ومن قناتين توصلان إلى غرفة تعرف بالرحم
حيث تنقسم البويضة من تلقيحها مكونة الجنين .



شكل ٥٤ : نطرح فى أعضاءنا - على حصر كماله -
قناة المبيض (أ) الرحم (ب) المبيض (ج) المهبل (د)

والمبيض شبكى التركيب،
ويحتوى أيضاً على الخلايا التى
لافرزاتها أهمية فى تكوين
المهبرات الجنسية الثانوية .
ويوجد فى المبيض البويضات
فى حالات مختلفة من النمو
يحيط بكل بويضة عدد من
الخلايا للعناية بها وتغذيتها ؛
وكما تقدمت البويضة فى العمر
رداد تعقد خلايا المحيطلة بها .

وتنتهى قناة المبيض من أحد الطرفين بالرحم؛ ومن الطرف الآخر بقمع لاستقبال البويضات
من المبيض؛ وهذا القمع لا يحيط بالمبيض تماماً . ولذلك يحدث أحياناً أن تسقط البويضات المتكونة
فى تحويف الرحم بدل مرورها فى القناة . وفى أحوال نادرة جداً يتم تلقيح البويضة بأحد
الحيوانات الموية - وهى فى هذا الموضع الشاذ - فيتسبب من انقسامها ونموها متاعب حجة
الأم . ولهذا كان الجهاز التناسلى للأنثى الحيوانات الثديية الراقية (ومنها أنثى الإنسان) غير
كامل من هذه الوجهة . وحسن منه أجهزة بعض حيوانات ثديية أخرى كالسكاب : فإن
مبايض ونهاية قنواتها مغلقة كلها بنفسيج متواصل يحول سقوط البويضات فى التحويف
البطنى مستحيلاً .

وجدران الرحم سميكة والنسيج المبطن به فى الحيوانات الثديية العليا يتمزق مرة كل شهر
ويتكون بدله نسيج جديد . وهذه العملية يتسبب عنها الحيض الشهري عند النساء وإوانات
الحيوانات العليا .

وأجهزة التناسل للحيوانات الأخرى تختلف عن ذلك تركيباً : ففي الطيور والزواحف
تلا تنصب البويضات أو السائل المنوى مع البول والمواد البرازية فى تحويف واحد يعرف
الكوكا أو المجمع . والبويض هنا ليس صغيراً ، بل هو كبير يحاط بقشرة صلبة محتوية على الجرثومة

الملقحة وكمية كبيرة من الطعام المخزون، ولا يوجد للبيض عادة موضع في الجسم لينمو فيه ويتحول إلى جنين، بل البيض يوضع ويحصى خارج جسم الأم، ولو أن هناك بعض حيوانات شاذة .

التلقيح : يتم التلقيح باتحاد الحيوان المنوى بالبويضة . ورغم كثرة عدد الحيوانات المنوية فإن أغلبها تموت في طريقه إلى البويضة ، ولا يفوز بتلقيحها إلا حيوان منوى واحد هو الذى يتمكن من اختراق حدارها بواسطة رأسه . ويتلاشى الذيل وبذبل بمجرد دخول الرأس في البويضة . وتحتق (سيتوبلازمة) الحيوان المنوى في (سيتوبلازمة) البويضة وتندمج بها . أما النواة (الرأس) فتتحرك إلى نواة البويضة وتندمج بها اندماجا تاما . ويتكون ما يسمى بالزيجوت (البويضة الملقحة) .

وباندماج النواتين يعود عدد (الكروموسومات) في النواة الجديدة العدد العادى في نوى الجسم . ويلاحظ أن عدد الكروموسومات في كل من جرثومتى التلقيح نصف العدد الأصلى (أو تقريبا النصف) وبالتلقيح يعود العدد كاملا .

وهذا الاندماج يرث الجنين من كل من والديه بعض صفاته . وبذلك يوجد تنوع كبير مما كان في توزيع الصفات المختلفة . وهذا يحتمل احتمالات اختلاف النسل عن والديه احتمالا كبيرا ، وتسبح فرص جديدة لتحسين النوع بتزاوج أفراد صالحة قوية بأخرى قوية .

والتلقيح في الحيوانات الدنيا يحدث خارج الجسم . ففي بعض الأصداف يلتق الذكر المائى الموى في الماء . وكذلك تلتق الأنثى بويضاتها ويصبح التلقيح راجعا للاتفاق . فإذا صادف مرور تيار مائى يحمل شيئا من الحيوانات المنوية على البويضات تم التلقيح .

وفي الأسماك تتخذ احتياطات أدق لضمان التلقيح . فالأنثى تضع البيض عادة في حفرة تنحفرها في قاع النهر . في حين تندفع الذكور وراءها ملقمة السائل الموى على البيض لينم تدقيحه . وهى تتقاتل وتتنافس وراء الأنثى لهذه الغاية .

وفي الضفادع يتم التلقيح بطريقة فريدة ، ففي موسم التلقيح (أوائل الربيع) تنتقل الإناث بعد خروجها من محبها الشتوى إلى البرك لوضع البيض . فتقبض عليها الذكور من الخلف بسف الأضراف الأمامية حولها . وهى تقبض عليها بشدة - بواسطة نمو حاص في الأصابع الأمامية يحدث خاصة في هذا الفصل - حتى لا يمكن أن يفرق طارىء بينهما . وربما يستمر الذكر قريبا عليها ياما كثيرة أو أسابيع حتى تلتق البيض في الماء . فيصب الذكر السائل المنوى عليه أثناء خروجه وبذا يتم تلقيحه .

وفي الحيوانات الأخرى يتم التلقيح داخل الجسم ، فقد رأينا كيف تلتق بويضات الدودة الأرضية بواسطة سائل منوى من دودة أخرى رغم كونها خشن ، ويتم التلقيح الداخلي

عادة بدخول عضو خاص من الذكر في أعضاء الأنثى التناسلية يحمل إليها السائل المنوي حيث يتصل بالبويضات وبلقحها. وفي بعض الأصناف يلتقي الذكر السائل المنوي في الماء فتحمله تيارات مائية إلى داخل جسم الأنثى (إذ توجد أهداب تتحرك لإدخال الماء باستمرار في الجسم) وهناك يتم التلقيح.

وفي العناكب يوجد السائل المنوي في الأطراف الأمامية ، وهذه تحمله إلى داخل جسم الأنثى.

وفي بعض الأخطبوط يوجد السائل المنوي في إحدى أذرع الذكر. وهو يدخل هذه الذراع في تجويف الأنثى ثم تنفصل الذراع عن جسم الذكر ويتم بواسطتها التلقيح. وتحفظ الحيوانات المنوية بحيويتها مدة طويلة، ففي إناث النمل والنحل يتم التلقيح مرة واحدة في موسم خاص، وفي هذه المرة تخزن الأنثى السائل المنوي في كيس خاص وهي تلقيحه منه البيض الذي تضعه وفق إرادتها. وقد شوهدت بعض ملكات النحل تضع بيضاً ملقحاً رغم مرور ثلاث سنوات على عملية التلقيح، أي أن الحيوانات المنوية احتفظت بحيويتها طول تلك المدة.

وتختلف مدة التلقيح. فقد تتم هذه العملية ببطء مستمر عدة ساعات. كما في بعض الحشرات، وقد لا تتجاوز المدة أكثر من ثوان قليلة.

محمد محمد السيد

كتاب

في التربية والتعليم

تأليف الأستاذ الكبير أحمد فهمي العمروسي بك

هو دائرة معارف عامة في التربية والتعليم ، ألفه المرني الجليل الأستاذ أحمد فهمي العمروسي بك ، وتناول فيه أغلب مباحث التربية وموضوعاتها التي تار البحث حولها في الماضي والحاضر ، بأسلوب سهل وعبارة مفهومة ، وشرح كامل . وهو يقع في ٣٢٠ صحيفة من القطع الكبير . والكتاب واضح الحروف ، جيد الطبع ، متين الورق ، وله ٢٢ صورة على ورق مصقول . ثمه (٥ قرشاً) يضاف إليها (٥ قروش) أجرة البريد، ويطلب من إدارة «المعرفة» . ويهدي مجاناً للمشاركين الذين سددوا قيمة اشتراك المحلة ، وعدد النسخ الموجودة ٥٠ فقط هو مجلد ينبغي ألا تخلو من مكتبته أي مدرس أو أديب

الجزء الأول

بقلم الأستاذ رشدي ميخائيل السيمى

امسكوا اللص !! اللص !! اللص !! امسكوه !!

انبعثت هذه الأصوات من قصر رهوف بك رئيس جمعية الانسانية الخيرية بالقاهرة ومدير إحدى البيوتات المالية الكبيرة ، فذهب جميع فقراء الشارع وعامته وتقاطروا إلى حيث مبعث الصوت ، وإذا عرفوا مصدره سارعوا للتنفيذ وكل منهم يبغى أن يرشح نفسه القبط على المجرم... وحلف إحدى بوابات حديقة القصر عثروا على شاب وسيم رغم شجوب وحمه وضجور يده ، عليه ثوب مهلهل أو أظفار بالية ، وكان يرتجف ارتحافاً ولا يكاد يقوى على حمل نفسه . فهلل العامة لهذا المفوز وكبروا ثم أخذوا بنحناق المجرم... وراد الشاب أن يتكلم فأرغم عليه الكلام وصمت إذ لم يدع على شئ فرد ممن يحيطون به علائم عطف أو إشفاق.

قال رهوف بك غاصباً : ألم تجد من تسرقه غيرى . وإن المحسن الذى لا أحد فقيراً « منجدة » إلا أعطينته . أو منكوا إلا أفلته من عثرته . أو فريسه الكوارث الزمى إلا أنقذته : أهذا جزاء من كرس وقته وجهوده لخدمة الانسانية وتخفيف ويلاتها ؟ . تكلم ، أليس لديك ما يجب به ؟ ولكن شئ جواب بعد ما حدث وبعد ما ضبطوك متلبساً بجريمة السرقة !! تمسك . إه : لست ضعيفاً إلى هذا الحد ...

فجاهد « المجرم » جهاداً شديداً حتى نيسر له أن يسلق . إنما فى الفاظ مرتعشة حافته فيها ألم ويأس ، وبصوت كأنه - لفرط ضعفه - صادر عن أعماق القبور : شئ تحتضرياسيدى . وأأموت جوعاً ، ولقد طرقت بابكم الكريم . من قبل - أسأل عملاً أو إحساناً ، فرددت حائب .. فقال رهوف بك - وقد ارتسمت القسوة على وجهه بصورة واضحة رهيبة - : وإذن فأنت تنار لنفسك منى !! يا اللعائن المجرم !! نعم مثلك من يرد خائباً وتوصد دونه الأبواب ، لا تلتأثم شريراً ، وليس أدل على إنك من حادثة اليوم .. إلى السجن أيها المجرم حتى تنال جزاء ما اقترفته يدالك من شر .. خذوه !!

فأترجت شفتا الشاب عن ابتسامة مرة يفعمها الاستهتار ، وخرج من لدن رئيس جمعية

الانسانية الخيرية يحيط به جلادوه من إخوانه الفقراء البائسين الذين رضوا أن يصمموا من أنفسهم عبيداً الأغنياء ، وساقوه حيث أودع غيابة السجن ...

وكانت كلمة القضاء .. وإذ هي تقضى بحبس الشاب سنة مع الشغل . لأنه وإن ثبت لقضاء قطعاً أن الشاب لم يلجأ إلى السرقة إلا لابتعاد والدته من برائن الموت وخلص نفسه . ولكن القانون صريح لا تأويل فيه ، ويريد القانون تشدداً وعنفاً أنه في هذه الحال بالذات إنما يحى رموف بك نصير البائسين وملاذ الفقراء والمموزين .

وهتف أتباع المحسن الكبير في حماسة ظاهرة: يحيا القضاء العادل ! يحيا القضاء العادل ! وهمس بعض الأغنياء من الحاضرين : لعله من القضاء خطأ غير مقصود !! وأما رموف بك رئيس جمعية الانسانية الخيرية فراح يتحدث إلى كل من لاقاه - في تواضع وفي غير افتحار - بأنه كان عقل من أن يعطى الإحسان لمن لا يستحقه ...

في كوخ حفير بإحدى طراف المدينة النائية . وفوق حصير بال تحيط به أربعة جدران سوداء مرطبة . راحت أم « المجرم » المعجوز تنادى ولدها الوحيد العزيز وهي في غيبوبة النزع الأخير: ولدى! ولدى! هاك استمع مر مولدك فقد حلت الساعة! ولدى! ولدى! وكانت زائفة البصر تنشد وجه ابنها عبثاً فيمن حولها من الفقراء الذين أخفوا عنها الحقيقة المرة ، وكانت تحتضر في بطنها كأنما كانت تستعمل الموت حتى تودع وحيدها الذي أودعوه غيابة السجن وبات محالاً أن تراه ... ولكن ... ولكن كأن الموت أشفق أخيراً على المعجوز أن يتناول عذابها فلم يرض أن يعيها ، وإذ حلت الساعة زهية لفظت الأم آخر أنفاسها وهي تردد: ولدى! ولدى!

وتولت جمعية الانسانية الخيرية التي يرأسها رموف بك دفن رفات المعجوز الفقيرة إذ لم يكن لها أحد يعتنى بها أو يهتم لشأنها بعد ابنها السجين، وأثناء ما كانوا ينقبون جثمانها ليواروه التراب عثروا في فجوة تحت الحصير على صندوق صغير من العاج هوكل تراثها. فأخذوه وسلموه رئيس الجمعية ...

وفي استهتار وافر وعدم مبالاة فتح رموف بك الصندوق وتناول منه ملفاً صغيراً من الأوراق هوكل ما يحتويه ، وإذ كان يقلب هذا الملف بين يديه سقطت منه صورة فتوغرافية صغيرة عرف فيها رموف بك والده الباشا بلباسه العسكري.. فأخذته رعدة، جالداً حتى تقلب عليها.. ثم راح يقرأ ما بالملف من أوراق، فإذا هو في صدد قصة رائعة حزينة كان والده الباشا بطلها.

عرف والد رءوف بك هذه المجوز منذ نيف وثلاثين سنة، ولم تكن قد تخطت - إذ ذاك - العقد الثالث من عمرها فأحبها إلى حد الولع. إذ كانت وافرة الحسن رائعة الجمال. وعاشرها فترة أنجبت فيها ذلك الشاب البأس الذي زج به رءوف بك إلى السجن وهو أخوه من أبيه، ثم مات الباشا وتسترت الأم على نفسها حشية المصيبة والعار، وتوالت المكبات عليها فباتت ولا مورد رزق لها في الحياة سوى جمالها إن شاءت، فأبت أن تقبذل وراحت تشتغل لتعيش.. تنازعت نفس رءوف بك أفكار متباينة وعواطف متصادمة وراح نهياً مقسماً لها، فهو يشفق تارة ويقسو تارات، وأخيراً انتصرت فيه عاطفة الأنانية وحب الذات، فقام إلى باب حجرته وأوصده، ثم عمد إلى الملف فأشعل فيه النار وظل يرقبه حتى انهمته عن آخره.

استراح ضمير رءوف بك الحى، ثم خرج من غرفته متزن الخطوة فى غير غرور، وسار بين صفوف المعجبين به والمرئيين الذين كانوا لا يفتأون يرددون آيات الإعجاب به وحلقه المتسامح السامى الذى يأخذ الأم بحريرة ابنها، ثم لم يتأكلوا أنفسهم من أن يهتفوا له جميعاً فى صوت واحد: يحيا رءوف بك ملحقاً بالبائسين!! يحيا المحسن الكريم!!!...
رشدى ميخائيل السيمى

مخاطرات القباب

أو الأميرة الهندية

رواية مصرية غرامية أخلاقية اجتماعية

حافلة بالمواقف النبيلة والمفاجآت العنيفة

تجمع إلى الحب العذرى تحليلاً دقيقاً لأهم خواص النفس الشريفة

بقلم الأديب: حسن رشاد بمعهد التربية

مصدره ومنقحه يبحث فى أدب القصة وتطورها بقلم صاحب «المعرفة»

صفحاتها ٢٠٨ ونمطها ٥ قروش مصرية تطلب من المؤلف أو من إدارة «المعرفة»

اسماعيل باشا صبرى

شيخ شعراء العصر

١٨٥٤ - ١٩٢٣ م

بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته

- ٣ -

عرف القارىء مما نشرناه على صفحات هذه مجلة الزهراء عن اسماعيل باشا صبرى ، كيف أن أدباء العصر قد اتحدوا منه زعماً لهم . أو عميداً لمدرسة الشعر الحديث ، وذلك لما تحققوه في شعر الرجل من لروعة وروح التجديد ، وفي نقده وملاحظاته من الدقة وأصالة الرأي ؛ هذا ويوحى لى أن « صبرى » لم يكن أستاذاً لمشاعير أدباء جيله خصب ، ولكنه كان فوق ذلك أستاذاً لشعيرات أدبيات العصر أيضاً .

فيؤخذ من حديث أدبع لبابغة الشرق الآتية مى ، أن من نهج البواعث التى أثرت في مجرى حياتها . تلك الاجتماعات الأدبية الراقية ، التى كانت تنعقد في صالونها في كل يوم ثلاثاء برئاسة اسماعيل صبرى . وقد قالت هذه الأدبية العظيمة الفذة : إنها اقتبست تهذيبها العربى مما كان يدور في الصالون من البحوث الطريفة الشائقة باللغة العربية الفصيحة .

وإلى أحفظ لشاعرنا أغرودة من الشعر العاطفى الرقيق ، يحن فيها إلى تلك الاجتماعات الثلاثية ، والتى كان يرأسها بدار « مى » ؛ كما يحن الطائر الصادى إلى غدير الماء ، وهذه هي الأغرودة :

روحى على بعض دور الحى حائمة كضامى الطير تواقاً إلى الماء !
إن لم أمتع « عى » ناظرى غداً أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء !

حفظت ونا يافع هذين البيتين ، يتحلقهما تشطير بديع محكم . وقد عثرت عليهما منشورين بمجلة « سركيس » ، بيد أن الذاكرة - قاتلها الله - قد خاتمتى الآن في حفظ اسم ذلك الأديب السورى صاحب هذا التشطير :

« روحى على بعض دور الحى حائمة » ترتاد موضع أحلامى وهوائى
دار لمية أنويها وطلبها « كضامى الطير تواقاً إلى الماء »
« إن لم أمتع بى ناظرى غداً » أو لم تتمع أغاريدى بإصفاء

أنكرت يومى بل أنكرت ليلى بل «أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء»!

ولقد كان لشيخ الشعراء ولع بالموسيقى شديد . جملة يهتم بتقريبها ، ويسمى لتهديب الأناشيد، وله مقاطيع وأدوار عدة بالعامية والفصحى ، وضعها حصيصاً للشعير . وهو المؤلف لهذا الدور البلدى لأحد الموقمين على نفقات العود :

فدك أمير الأغصان	من غير مكابر
وورد خدك سلطان	على الأزاهر
دا الحب كله أشجان	ياقلب حاذر
والصد ويا الهجران	جزا المخاطر

إلى آخر الدور :

وبأنى سأعرض على القارىء أدواراً من أغانيه الفصيحة مع مختاراته فى ديل المقال ، ولا شك فى أنها مستذهب بخيال القارىء ، إلى ما كان عليه الغناء العربى فى عهد العباسيين الراهر ! وفى هذه النادرة الطريفة التالية ، لبرهان قاطع على أن شاعرنا كان مرجعاً لشعراء الألفى كما كان مرجعاً لسوام .

قال الدكتور هيكل : « روى لى أحمد شوقى بك حادثة فى غاية اللطف ، تلك أنه كان يوماً عند « صبرى » وهو يشغل منصب النائب العمومى ، وكانت مصر تروج أفكار أهلها بحادث سياسى وقع فيها ، وفيما هما جالسان يتحدثان ، دخل حاجب ومعه مظروف حكومى كبير فقطع ذلك حديثهما ، وانتظرا أن يجدا فيه إشارة إلى ذلك الحادث السياسى . وما يجب اتخاذه من الاجراءات بإزائه ، فلما فض صبرى باشا المظروف وقرأ ما بداخله هز رأسه مبتسماً : ذلك أن على باشا شريف رئيس مجلس الشورى يومئذ قد بعث فى هذا المظروف « بدور غنائى » وهو يطلب إلى النائب العام إصلاحه .

« ولهذا المناسبة فض صبرى لشوقى حادثاً وقع فى قرطبة حين كانت الدولة الإسلامية على وشك الزوال منها ، وكانت طرقها تجرى دماً لاقتتال الناس فيها ؛ ذلك أن فتاة أطلت من نافذتها منادية صديقة لها فى نافذة مقابلة ، تطلب إليها وترأ تصلح به عودها ! وكذلك يطلب رئيس مجلس الشورى إلى النائب العام . أن يصلح له دوراً غنائياً فى حين أن البلاد المصرية تروج بحادث سياسى لا تعرف نتائجها . »

يجمل بى هنا أن أكتفى بما دوتته من تاريخ حياة الرجل باختصار ، وبما سقته من مستطرف نوادره التى تدل على مكانته المحترمة الملحوظة بين أدباء العصر ، والمزايا الجملة التى تتردد بها . وهأنذا أمهد لما سأختتم به موصى من مختارات الشاعر . لقد نظم شاعرنا فى مختلف المواضيع كالمدح والرناء والغزل والحكم والفلسفة حتى الفكاهة ، وكان موفقاً فى كل ما نظم فيه بنوع

طام . ولكنه قد وفق كل التوفيق - بنوع خاص ، فيما نظم من الشعر الغنائى والغزل الوجدانى .
ولعل السبب فى ذلك - هو شدة حب الشاعر للمرأة وتقديسه لها ، وشاعرا لم يتصب
بامرأة معروفة بالذات . ولم يمشق عشقا أثميا داعرا كما كان يمشق عمر بن أبى ربيعة وبشار بن
برد ، وأضرهما من الشعراء الشهوانيين . حاشا ! بل كان يحب المرأة من حيث هى امرأة ، أو
قل بمباراة ثانية . كان يحب الأنوثة حبا قدسياً فلاتونيا عفيفاً عفيفاً ! !

« ويقول أحد الأساتذة : إن صبرى كان ينظر إلى المرأة نظر المصور الماهر إلى دمية جميلة
يحد في جامها ظلاً يتروى فيه من هجير الحياة ! وينظم فيها المقاطيع الشعرية الرائعة ، شأن
المثال الذى يفضل تحت الدمي الصغيرة على تشييد هرم جليل ! » .

وانظر إليه فى هذا البيت المبتكر المعنى ، كيف تخيل المرأة محوفاً ملائكياً روحانياً ،
ليس للماء ولا للطين أى دخل فى تكوينه ، قال :

أنت روحانية لا تدعى أن هذا الحسن من طين وماء ! !

ونحن شوقى قد اقتبس هذا المعنى الجديد وصاغه فى بيته :

صوتى جملك عنا ننا بشر من التراب وهذا الحسن روحانى

وأنت إذا رجعت إلى مطلع عينية شوقى التى جارى بها عينية الفيلسوف الرئيس ابن سينا وهو :

ضمى قناعك ياسعاد أو رفعى هذى المحاسن ما حلق لبرقع

لوجدت أن شوقى قد أخذ هذا المعنى أيضاً من قول أستاذه صبرى حيث قال :

واسفرى تلك حلى ما خلقت لتوارى بلثام أو خباء

ولا غرو فشوقى له حسناته فى تقيد من كان معجباً بهم من الشعراء الذين تقدموه وهاصروه .

وبلاحظ أن صبرى نفسه - فى أيام شبابه - كان مقلداً - يجرى وراء هذا وذاك من فطاحل

الشعراء الأسبقين ، يقلدهم ويستعيد طريف معانيهم - ولا سيما البحترى الذى كان يعجب به ويستظهر

ديوانه عن ظهر قلب . ولكنه بعد أن حلق عنه رداء الأربعين . امتلأ شعره بروح تجديدية

محسوسة . تضامك من حلال لعاظه الرائعة ودقيق معانيه ، ولكأنى به كان يقول مع القائل :

سئمت كل قديم عرفته فى حياتى

إن كان عندك شيء من الجديد فهات

« وقد قل أحد الأدباء : وكأننى بصبرى قبل بوجه سن الأربعين ، كان يفتح كتاب الوجود

يتلص فيه الطريقة البكر التى لم يترعها شاعر قبله ، ولكنه لم يهد إليها إلا بعد أن حال لون

النهار وكان مساء ، فجاء شعره كالشفق المذهب يمع نوره فى أفق الحياة عند الغروب ! ! » .

وشعر صبرى على تنوع موضوعاته يتسم بسهات الرقة . ولا قصد تلك الرقة اللينة المسائمة

التي تولد في النفس عوامل التراح والامتسلا ، كالتى يصطبغ بها شعر بعضهم من المتصوفة والزهاد ، والذين لا أمل لهم يسعون لتحقيقه في هذه الحياة . وإنما قصد الرقة الى لها من جمالها قوة ومن روعتها تماسك . الرقة التي تنبه أحاسيس النفس وتشجدها . وتلأخوات القلب حباً وأملأ وحياة ! الرقة التي تمثلها سمات السحر المنعشة بحطراتها . وارهرة بشذاها وخلق ابتسامتها ، والقمر ببهاء طلعتة وصفاء نوره وتلألؤه !

ولأعرج من هنا إلى حديقة أشعار شيخ شعرائنا ، لكي أنسق بها بقية من زهر الشعر أقدمها للقارىء ، وأنا ضمين بالألا يعترض القارىء ، في بيت ما . رأى غامض . أو كلمة نائية ، أو تشبيه جاف معتد ، أو معنى مبتذل ، بن سيحبد القارىء في هذه المختارات والمقتطفات للحداء متحاربة ، وروياموسيقياً مطرباً . يسرى رنينه في النفس كما يسرى النسيم البليل في جسم الشروق . وأظن أن ليس من الإيضاف أن أغلذكر تلك الحكمة البليغة الجامعة ، التي شرح فيها شاعر القطرين لطريقة التي يجرى عليها شبرج الشعراء في نظم أشعاره . قال مفران :

« أكثر ما ينظم للخضرة نخطر على باله . من مثل حادثة يشهد بها أو حردى بال يسمعه أو كتاب يطالعه . ولما كان لا ينظم لشجرة بل بآراء نفسه على ما تدعوه إليه . فالغالب في أمره أنه يقول الشعر متمشياً ، وربما قاله بخضرة صديق وهو مأثل عنه بعقده . وله بين حين وحين أنه يمثل ما تنطق لفظه » إنه « مستظيلة ، ينظم المعنى الذى يعرض له في يمين عادة إلى أربعة إلى ستة ، أو قلما يريد على هذا المقدار . إلا حيث يقصد قصيدة وهو نادر . شديد النقد لشعره ، كثير التعديل والتحويل فيه . حتى إذا استقام لما يريد ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الأسلوب . همه ثم نسيه . وهكذا يمر الآن بعد الآن . فيحيش الشعر في صدره ، فيرسل بيته بإطلاق زوجي الطائر فيذهبان في القصص . ضاربين من شطرهما بأحنحة منمنمة ، شادين على توقيع العروض . إلى أن يتواريا وينقطع نغمهم من عالم الديان . ذلك هو الشعر للشعر » .

مختارات

قال من قصيدة دعاها تمثال جمال:

إن هذا الحسن كالماء الذى	فيه للأفئس رى وشفا
لا تزودى بعضنا عن ورده	دون بعض واعدلى بين الظاه
أنت يم الحسن فيه ازدهمت	سفن الآمال يزجيهما الرجاء
أقبلنى نستقبل الدنيا وما	ضمنته من معدات الهناء
واسفرى تلك حلى ما خلقت	لتوارى بلباس أو خباء
أنت روحانية لا تدعى	أن هذا الحسن من طين وماء !
وانزعى عن جسمك الثوب بين	للملا تكونين سكان السماء

وَرى الدنيا جناحي ملك حلف تمثال مصوغ من ضياء !
 شرت هذه القصيدة الحالية اللفظ ، البديعة المعنى ، لأول مرة برمتها فى سنة ١٩٠١م ،
 بالخط المصرى الى كان يقوم بإصدارها خليل مطران ، وبالنسبة لطرافة القصيدة وطلاوتها
 علق عليها يقول :

« كانت الغزليات قبل الآن . فيها ما يمس الآداب العمومية ، من ذكر القدود والبهود .
 والصم والعناق . ورقة الخصر وكنافة الردف ، ولقد كان هذا من العام . حتى فى قصائد
 المدح للموتى والأمراء . وهذا مالا ترضاه الأذواق السليمة فى هذه الأيام ، وينكره علينا
 أدباء حرب . وقد سئلت سعادة المفضل إسماعيل باشا صبرى نظم أبيات تنقل إلى اللغة الفرنسية ،
 وتعمل فى كتاب يؤلف الآن فى مختارات الشعر العربى قديمه وحديثه ، فحادثت فريخته الوقادة
 بهذه الأبيات التى جاءت على الطريقة الصوفية . من حيث سمو الخيال ، وراحة المقصد ، وغرابة
 الوصف . ولعل هذه القصيدة أحسن ما جمع فيه بين الأسلوبين العربى والغربى فى نظم الشعر » .

ومن غزله الذى جاوز فيه حدود الإبداع ولم يسبقه إلى معناه شاعر ما ، قوله :

يارحة القلب يا شغل القواد صلى متيا أنت فى الحالين دنياه
 رينى الندى وسينى فى جوانبه لصفاء يعم رعايا اللطف رياه
 ريناعة أنت فى صحراء مجذبة من الرياحين حياياتها بها الله !
 إن غاب ساقى الغلا وأصد لا حرج هذ جالك يغنينا بحياه !

ومن غنائياته السائرة :

اصبر فؤادى فى الذكرى بنافعة ولا بشافعة فى رى ما كانا
 سلا القواد الذى شاطرته زمنا حمل الصباية فخلق وحدك الآنا
 هلا أخذت لهذا اليوم أهبتة من قبل أن تصيح الأشواق أشجانا ؟
 لهنى عليك قضيت العمر مقتنعا فى الوصل نارا وفى الهجران نيرانا !

ومنها أيضا هذه الأنشودة :

يا آسى الحى هل فقتت فى كبدي وهل تقيت داه فى زواياها ؟
 نواه من حرق نودت معظما ولم ترل تتمشى فى بقاياها !
 يا شوق دققا بأضلاع عصمت بها فالتقلب محقق ذعرا فى حنيناها !

وقال فى أحسنه عن لسان فرعون مخاطب الشعب ويستنهض همته :

لا اقوم قومي ولا الأعوان أعوانى إذا وى يوم تحصيل العلا وان
 ولست بلم تؤيدنى فراغت منكم بفرعون على العرش والشان
 لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملا فهو العذب لم يخاق لكسلان
 ردوا الحرة كذا دون موده أو فاضلوا غيره ربا لظمان
 لا تتركوا مستحيلا فى استحالة حتى يميظ لكم عن وجه إمكان

وكان أستاذ شعرائنا يسير في يوم من أيام الصيف راجلاً بصاحبة الجيرة . ثم في طريقه بدوحة وارقة الظل . وجوقة من شاديات الطيور ، تنغني عني أنفاسها وتطارح الأناشيد وهي آمنة من حر الهاجرة الذي اصطلى هو به . فأجاش هذا المشهد عاطفة الشعر في داخله ، فوقف يستظل بأغصان هذه الدوحة . ويعاتبها عتاب شاعر رقيق حساس . ويسأل عن يمينه جناحي طائر صادق . لكي يمتلي الدوحة ويقصى سحابة العمر مترنماً . كما هي عادة المعادل . قال :

عار عليك وهذا الظل منتشر فكت الهجير بمنى في نواحيك

فمن معيري جناحي طائر غرد كي 'صرف العمر شدوا في أعاليك؟ !
وقد ارتجل هذه الأبيات الآتية التي تسيل كلماتها دموعاً . يوم وفاة الطفل الوحيد لصديقه

الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد المدعو عمراً :

ياملي العين نوراً . والمؤاد هوى . والبيت نساً . تمهل . يها القمر !

لاتحل أوقتك بخلتك الضلام به والزم مكائك لا يحل به الكدر

في الحى قلبان باناً يانعيهما وفيهما إدفصيت المار تستعر

وأعين ربع تبكي عليك أرى ومن بكاء الشكالي السيل والمطر !

قد كنت ربحانة في البيت واحدة يروح فيه ويفدو فمحبها المطر

ما كان عيشك في الأحياء مختصراً إلا كما حاش في أنكاهم الزهر !

فارحل تشيعك الأرواح جازعة في دمة الله بعد القبر يعمر !

ونختار له هذه الأبيات من قصيدته المؤثرة في رثاء بطرس باشا عاني :

تبكي للمروءات على بطرس ذاك الهمام الماجد الأروع

فقتت ، لما لم أجد مقلتي كفواً ، عن الفضل ليبيكي معي !

ف قيل لي : قد سار في إثره يوم دفناه ولم يرجع !

يا مجرباً دمع الملا أبحراً أدركهم يامرقى الأدمع

يا نازلاً بين وفود البلى آنتهم ياموحش الأربع

عيني فيك اليوم قطيعة تروي الأمل عن مسلم موجه !

يهم من وجد ومن لوعة في الجانب الأيسر من أضلعي !

يا من سقاني الجهم من وده هذا ودادي كله فاكرع !

وقال من قصيدة يمتدح بها صاحب السمو الأمير عمر طوسون باشا ، بمناسبة إقامته للحرعي

الذين أبوا في الحرب التركية ضد البلقان :

لك الإمارة والأقوام ما برحت بكل عالي الدرا في الكون تاتمر

لوم ترثها لما ألفت أعنتها إلا إليك خلال كلها غرد

يا ابن الأولى لو أطوا من مضاجعهم يوماً عليك لقالوا : إيه يا عمر !

عُدت أيامهم في مصر ثابته حتى توج قوم أنهم نشروا !
وسرت سيرتهم حتى كأنهمو إذا حطرت بأرض مرة خطروا !
لله درك كم نبهت من همم تلى على أهلها الأصال والبكر
وكم تمهدت جرحى من أسود وغى إن يكشر الدهر عن خدائه كثر و !
ومن قوله المملوء بروح الحكمة والحقيقة :

غاص ماء الحياة من كل وجه ففدا كالجوانب فقراً
ونفثى العقوق في الناس حتى كاد رد السلام يحسب برا !
تعب الفيلسوف في الداس عصراً وتولى السرائر الدين عصراً !
والورى طارد إزاء طريد وعقاب يرمى يطارد صقراً
عبر كلها الحياة ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ ؟
وهاك ما يدل على وفاة الشاعر حتى للخائنين من أصحابه :

إذا حانى خل قديم وعقنى ودوقت يوماً في مقاتله سهمى
تعرض طيف الود يبنى وبينه فكسر سهمى فأنثيت ولم أرم !

رغم بعض الفلاسفة أن للدين لوناً يختلف عن لون الفلسفة كل الاختلاف ، بمعنى أنه إذا
كان مثلاً للدين لون أبيض ، فيكون للفلسفة لون أحمر ! ونا اعتقد أن الإنسان متى وفق
في مزيج هذين اللونين ، تولد هنالك لون آخر رائق يبهر النفس . وأستطيع أن أسمي هذا اللون
بالاعتدال وعدم التصرف في الرأي : وهذا ما تمكن صبرى أن يفعله في هذه المقطوعة الفريدة
في بابها ، التي جمع فيها بين شططي الآراء الفلسفية وروحانية الدين ، على أنى لا أزعجك
لأرحل مذهباً خاصاً به في الفلسفة كان يعمل له ويدعو الناس إليه ، إنما غاية ما هنالك أن هذه
الآيات تدل على ما يكنه قلبه الشاعر الكبير من التعظيم لمبدع هذا الكون العظيم .
قال يناجى الله ويسأله في ضراعة وإتهال :

يارب أين ترى تقام جهنم للظلمين غداً وللأشرار ؟
لم يبق عفوك في السموات العلى والأرض شبراً خالياً للنار !
يارب أهلى لفصلك واكفنى شطط العتول وفتنة الأفكار
ومر الوحد يشف عنك لكى ترى غصب اللطيف ورحمة الجبار !
يا عالم الأسرار حسبي محنة على بأنك عالم الأسرار
أخلق برحمتك التي تسع الورى ألا تضيق بأعظم الأوزار !

ومن فلسفياته أيضاً الآيات الآتية ، التي يقف فيها بجانب فيلسوف المرة «أبى الملاء» ،
ويرجح كفة الموت الراجحة براحة على كفة الحياة التي لا تحتمل على شئ ، عدا التعب قال :
إن سئمت الحياة فارجع إلى الأرض فم آمن من الأوصاب !

تلك ثم أحنى عليك من الأ م التي حلتك للأنعاب !
 لا تخف ، فإلمت ليس بجاح منك إلا ما تشكى من عذاب
 كل ميت باق وإن خالف العذ وان مانص في غضون السكتاب !
 وحياة المرء اغتراب فإن ما ت فقد عاد سالماً لثراب !

نهاية الكنار

وفي أواخر أعوامه أذابت الشبحوحة ديباجة^(١) هذا الكنار أو بالحري «ملك الكنار». ولم
 به داء عضال أخفت صوته وأهان جناحيه، وجعله ضريح الوساد لا يستطيع أن يفادر وكده.
 وهذا المرض هو داء الأرملة الصدرية، وكأني به حين ازدياد وطأة الأزمة عليه يتوى في
 فراشه المساء وهو يرجع قوله مهيباً بالموت :

ياموت هأنذا نفذ ما أبقت الأسقام مني

يبنى وبينك خطوة إن تخطها فرجت عني

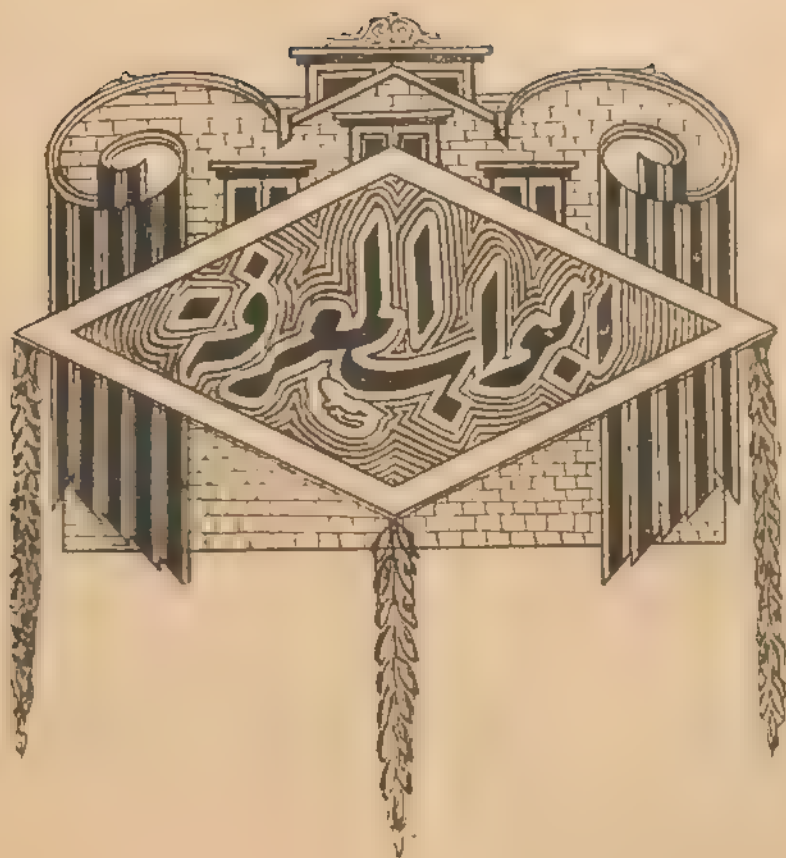
ويقول الأستاذ أنطون الجميل : « كان الجميع يرصون عن شعر صبرى إلا صبرى نفسه
 حتى كأنه يقول إن أجمل شعرى لا يزال فى صدرى لم أتمكن من نظمه بعد ». ويقول الأستاذ
 أيضاً : « ماعدنا صبرى مرة فى أيام مرضه لا وسألنا : هل من شعر جديد فى البلد : وهكذا
 شأن كبار القواد، متى أحبوا إلى الاستبداع يرتاحون إلى سماع أخبار المواقع حتى يصح
 خطتها ونظمها غيرهم » .

هذا وفى الحادى والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٢٣ م . امتدت يد الموت القاسية إلى
 قينارة الأدب المصرى . فتناولتها واترعت منها - فى غير رحمة ولا شفاق - وترأ حالى لربير
 متنوع النفث ، وهذا الوتر هو شيخ شعراء مصر . إسماعيل باشا صبرى . فلا غرو أن :
 جزع الحى لتعيبه ويكاه شبان وشيب !

المبارك إبراهيم

[أم درمان : سودان]

(المعرفة) اتفق وجود الأستاذ الهراوى وقت تصحيح النظم لآخر من هذا المقلد . فلاحظ
 أن هذه العبارة غير متفقة والواقع . والحقيقة التى يعرفها من معاشرته للفقيد حتى آخر أيامه
 أنه استحف بكل شئ - فى الحياة . ومن بينها الشعر على قدرة منه عليه .
 ونذكر بهذه المناسبة أن صهره الأستاذ محمد بك عزت المستشار بحكمة الاستئناف قد جمع شعر الفقيد
 المشتت فى الصحف والأقواد . وهو الآن يعدده للطبع .



مملكة المرأة والبيت

لماذا كسدت سوق الزواج؟

أتحدث هذا الشهر عن المشكلة الاجتماعية الكبرى التي كثر فيها القيل والقال . والتي لم ينفع في حلها قيل ولا قال ، وهي كساد سوق الزواج :

أعرف بيتاً من البيوت العريقة ، في حي من الأحياء القديمة . وفي هذا البيت ثلاث فتيات تتوفر فيهن كلهن كافة شرائط الزواج . ولكنهن لم يتزوجن ! لاحظت هذا ، فدفعني الفضول إلى محاولة التدرج معهن في الحديث عما هنَّ يفضين إلى بما يجيش في قوسهن ، بعد إداد انصح لي أن سبب إحجام الشبان عنهن هو .. على حد تعبيرهن .. « قرحة » الست الوالدة والسيد الوالد المحترم .. وفي ذات عصر انتهزت فرصة خلو البيت إلا من الفتاة الكبيرة ، فأحببت أن أحادثها في الموضوع قليلاً ، فقلت لها :

قرأت يا أخت في المدرسة أن التراجع هو الأصل في النوع ، وهو قانون الحياة الأول . وأنت مثقفة وجميلة وفي السن الملائمة . فلماذا لا تتزوجين ؟

وبدل أن تنطق الفتاة في ثرثرة فتيات المدارس المعتادة ، رُبَّما تصدر تنهدة ثقيلة . وتقلب شفتيها ، ولا تنبس ببنت شفة . فكررت السؤال . وتكررت منها التمهدة وقلبت الشفتين ، وتناوات من جانبها كتاباً في « التطريز » أخذت تقلب صفحاته في سرعة مجنونة وإشارات اضطراب عصبى عنيف فسكت . ولم تمض بصم دقائق حتى لفت الكتاب إلى جانبها وقالت :

تسأليني يا « ص » : لماذا لا أتزوج ؟ فتحسبن ذلك صادراً عني ؟ ! ليست على وجه الأرض فتاة في سني ، ولا تفكر في الزواج ، ولا تزنيه .. ولكن الفتاة مهيضة الجياح مهضومة الجانب في الحياة الدنيا . فإذا ترىنها فاعلة عدم ما يتحكم في مصيرها ولي أمرها سواء أ كان والدها أم والدتها ؟

قلت لها : ما نأخذ على وجه الأرض ولي أمر فتاة لا يحب لها الزواج وسعادة المصير . فقالت : هو كذلك ! ولقد يجرم الإنسان بعض الأعيان عن غير قصد ، ولكنه مجرم في نظر الحق على كل حال .

قد برغمي من الفتاة لعلها بمنى هذه « السفسطات ». فاقتربت منها ووضعت يدي على كتفها
وقلت لها :

صمتاً يا فتاتي ! ألا فلتنفض فك عن مثل هذا القضايا ، ولتعلمي أن كثيراً من المقررات النظرية
لا ينفع في الحياة العملية على الإطلاق ، حتى لكأنما يجوز لنا أن نتهم بالجنون واضعها
والمفكرين فيها والآخذين بها . وعندى أن التربية والاجتماع والنفس كل أولئك شئون تجريبية
كثير منها نظرية . دعي من هذا فإني أحب أن أعرف الحقيقة عنك وعن شقيقتك فيما يختص
بزوج ، فأرجو أن تتكلمي عني بالإجابة عن الأسئلة الآتية . فنظرت إلى الفتاة نظرة حركت
قلبي منى وعواطف الحس . واغروق الدمع في عينيها ، ثم أطرقت برأسها إلى الأرض وقالت :
لك ذلك ، فاسأليني ما تريدن .

قلت :

هل تقدم لخطبتك أحد ؟

فأومأت برأسها ولم تحب كلاماً ، فاستدركت أقول :

حسناً ، فلماذا لم يتم الزواج ؟

فانطلقت الفتاة تقول . وقد تفجر القول منها تفجيراً :

— تقدم لخطبتي شاب من شجرة أصلها في الصعيد ثابت وفرعها في القاهرة ، توفرت لي
هذا الشاب كل الشرائط التي كنت أصبو إليها . فإني عند ما رأيت صورته تبين لي أنه شاب
جميل مفتول العضلات متين التركيب حلو التقاطيع مليح الوجه ، وسأل أبي عنه فعرف أنه يملك
خوفاً من المائة فدان في إحدى قرى أسيوط . وهو محام شرعي حديث . وأبدي موافقته
لي المهر الذي طلب أبي . وعني أن يعيش معناني نفس هذا المنزل . وعلى أن يقطع بتناصلته
ذالة له كان يعايشها بدل أمه . أما أبوه فقد توفي قبل تقدمه إلى بنحو العامين . والظاهر أن
لي كان أعقل من والدتي وحزم . فإنه قد ارتصاه لي زوجاً ، وعلى حسب الطريق المنبعة في
بيوتات المصريه فقد أخذ رأيي فأبديت قبولاً .. بل قولي أبديت سروراً ... وفي أذنك :
إذا زبد فتاة في الثالثة والعشرين ، تعلمت واكتملت أنوثتها ، أكثر من أن تتزوج شاباً جميلاً
يا له عمل ؟! ولكن والدتي — قاتلها الله — صرخت في وجه أبي تقول :

فومئى في قبرها لن تزوج ابنتي الكبرى من رجل « بعمة وجبة وقفطان » !!
اجتمعت الدنيا أساطيل بأسرها فما استطاعت أن تعولها عن رأيها . وهكذا ضاعت
الخطوبة الأولى .

وأخرجت من جيبى الصغير منديلاً أجفف به دموعها المتدفقة ، والتي جرت من تلقاء ذاتها ، حزناً

على تجربتها، وحاولت أن أهدي، من روعها، ومهمت أن أنكأ، ولكنني سمعتها تقول :
وما كان أعنفها صدمة ! ومع ذلك فقد كانت الأسابيع القادمة كقيلة بذهاب أثرها، حيث
تقدم لخطبتي شاب من موظفي الحكومة فرفض، لأن راتبه ستة جنيهات مصرية فقط ! وتقدم ثالث
فرفض أيضاً إذ قيل إنه من عشاق الخمر، وتقدم رابع وخامس وسادس وهكذا . . . وعيب
صغير في كل منهم هو الذي يقوم بمهمة « وكيل النيابة » ضده ؛ وتقدم واحد فتمت خطوات
الخطوبة كلها، ثم قام خلاف بينه وبين والدتي على شكل الدولاب أدى إلى فسخ الخطوبة !

وفي الحق، لقد هاجني ما سمعت وندبت حظ تلك الفتاة، ولم يكن لي من قبل عهد بمنزل ذلك
التحكم، فقد توفي أبي - وأنا صغيرة - وتوفيت والدتي في السنة التي تخرجت فيها من مدرسة
المعلمات، ثم أخذت زوجي الذي أعاشره الآن بنفسى ودون أن يصدني عنه حائل ما، وعرفت
أن والدي هذه الفتاة لها عقلية غريبة، فأحببت أن أعرف عنها شيئاً أكثر، فقلت:
هو من عن نفسك فلمل بعد نظرهما هو الذي حدا بهما إلى رفض كل هؤلاء الخاطبين .
وكأنما كانت على علم بما سأقول، فأني رأيتها تقول في لهجة ميكانيكية:

نعم يا « ص » إن لها لنظراً بعيداً . . . إنها يريدان أن يتقدم لخطبتي « البرنس
أوف وير » أو من يساويه درجة !؟ فإذا لم يكن الأمر كذلك : فهذا الذي ترضى سحايه كلها؟
كفى المرء نبلاً - يا صديقتي - أن تمد معاييه - على ما قال شاعر العرب ؟ أو هل يريدن
أن تكون الحياة أمامي أقراصاً من العمل وسلالات من الحلوى ؟ هل يمكن أن يتحقق هذا
في زيجة من الزوجات ؟؟ إنني يا صديقتي كنت أرتضى الزواج بأي من تقدموا لخطبتي . . . ولكن . .
هل أجروا على فتح في ؟؟ كلا . . . أو يسحب الخياط لسده . . .

قلت: يجب أن تكوني أكثر شجاعة وجلداً، ومن يقابل الحياة بالبكاء، تقابله بالعيول
والنواح . . . والبأس لها يجدها ضاحكة له على الدوام . . . والآن فإذا عن أحوالك ؟
فقلت: حالهما هي حالي يا « ص » . وعند والدتي أن الكبرى يجب أن تكون أسبق أخوانها
إلى الزواج، وعبي الصغيرة أن تنتظر تأهيل الكبيرة، أو فإنها لا ترى الزواج مطلقاً . . . وأني
لا بد له في النهاية من أن يخضع لرأي أمي و . . .

وريت أن استدامة الكلام قد تمكر علينا صفو جلستنا الهادئة فأومأت إيجاباً . ثم أسفاه،
ثم أخذت ذراعها في ذراعي وانطلقنا إلى صديقة لنا تقطن الشقة العليا، لأصرفها عن التفكير
فيما كنا به نتحدث ؟

العلوم والفنون

مبضع كهربائي جديد :

ا اخترع الأستاذ (شاراس . فـ برينوير) أحد أعضاء « قسم التجارب والأبحاث » بمعهد كاليفورنيا التكنيكي ، جهازاً جديداً يجعل من المستطاع التحكم في التيارات الكهربائية عالية الذبذبة . وهذا الجهاز الجديد عبارة عن مبضع كهربائي كالذي كان يستخدم من قبل في عالم الطب لإجراء العمليات الجراحية الخطيرة الذي يقصد فيها إلى النظافة التامة ، وإلى عدم تساقط الدماء . ولكنه يتأزر عن القديم بما حواه من مواد تخضع ذبذبات التيار ، في علوها وانخفاضها ، لإرادة الطبيب ، ويعتبر خروج هذا الجهاز إلى حيز الوجود فاتحة عهد جديد للجراحة الكهربائية .

أرجل ميكانيكية :

في مدينة (لوز أنجلز) بكاليفورنيا من ولايات أمريكا . يوجد رجل اتخذ الاختراع مهنة له ، فاستأجر في شارع بعيد عن منزله معملًا يكون مسرح تجاربيته ، فكان الرجل يجد صعوبة ومشقة في الانتقال على قدميه من بيته إلى معمله ، ومن معمله إلى بيته عدة مرات في النهار . ولم تكن حالته المالية تساعد على التخلص من مقاعب المشي باستخدام إحدى طرق المواصلات الحديثة .

وقد أخذ الرجل يفكر في حل لمشكلته ، وفيما هو يستعرض مختلف ما يمكن من الحلول ، قال في نفسه : إنني لا أكره المشي في ذاته وإنما أكره التعب الذي يستولى على من جراه المشي ، وليس ينتج التعب إلا من الإجهاد العضلي ، ومعنى هذا أنني لأمانع في المشي إذا لم ينتج عنه إجهاد عضلي . أي إذا تمت عملية المشي بمجهود ميكانيكي .. وهكذا ظل الرجل يفترض ويستنتج



نوع جديد من « البراشوت » يفتح من الجانب بدلاً من أسفل ، ويفيد كثيراً حينما تزيد على الطيار قوة الجذب إلى الأرض ، بسبب اشتداد الرياح

وقد استطاع هذا القسم أن يصنع (شوكولاته) مادتها الأساسية (التي تعادل في الشوكولاته العادية الكاكاو السائل) هي زيت كبد الحوت. ولكن لا يشعر الذي يتعاطى قطعة منها بأي طعم لا يستيفه. وقد حتمت بعض الحكومات الأمريكية على الأهالي إعطاء أولادهم عدداً معيناً من هذه الشوكولاته اللذيذة في كل أسبوع.

أكبر كتلة من الذهب في العالم :

في العالم بضع قطع من الذهب تمتاز بأكبر حجمها، وتعتبر فريدة في بابها. كما يعتبر أصحابها من أصحاب الجحوظ السعيدة والثروة العظيمة. وأكبر قطعة من هذا المعدن النفيس هي التي

عثر عليها حديثاً في استراليا مهندس معدن بسيط، ظل يوالى بحته عن الذهب حتى كادت ثروته البسيطة أن تضيق، لولا أن ساعدته الظروف بالعثور على تلك القطعة الفريدة في بابها. وقد قدر ثمنها بمليون دولار !!

تلغراف طبيعي عند الزئوج :

لا يحتاج سكان الكنفو في أفريقيا، إلى إنشاء نظام التلغراف لنقل الأخبار بصفة مستعجلة من قرية إلى أخرى. فإن طيورهم تقنيهم عنه، وتخدم بوسيلة ملائمة لنقل الأخبار.

وقد بحث المستكشفون والعلماء رموز هؤلاء القوم التي يتراسلون بها، فوجدوا أنها في دقة وكال الرموز الموجودة بأرقى البلاد المتقدمة.

والطبل الكونغية هذه، مكونة من نصف جذع مجوف من جذوع أشجار الكنفو الضخمة. ولها صوت رنان يسمع على مسعدة عدة أميال.



الطائرة السهمية

يرى القاري، في هذا الرسم نموذجاً لطائرة سهمية جديدة بنوى اخترعها «ديوي لاندروكس» أن يزور بها القمر !!

مكتبة المعرفة

كتب التربية، وكتاب العمروسي بك

قد وتحليل بقلم الأستاذ أبي السمح

مدير دار الحديث بمكة المكرمة

قرأنا كتباً كثيرة في التربية وقرأنا كتاب العمروسي بك فألفيناه كالقمر ليلة تمه وهي كالنجوم حوله. بل هو كالشمس وهي كالقناديل . لقد امتاز كتاب العمروسي بك بمميزات حملته في السماك الأعلى: منها رشاقة عبارته. وبلاغة أسلوبه الذي يأخذ بمجامع القلوب، فلا يحل القارئ، بل يشوق كل الشوق إلى استيعابه؛ فلا يزال ينتقل من موضوع إلى موضوع ومن فصل إلى فصل كأنه ينتقل في جنات نضرة وبساتين منيرة - ومنها أنه عملي فلا يكاد يقرؤه قارئ - فيما لم يتقدم من أهل العلم والمشتغلين بالتعليم - إلا اقتنع بكل ما فيه وتطور به وانفتح فكره بطابعه فأصبح معلماً بمعنى الكلمة لا يرى مشقة في كفايات إفاضة تلاميذه ما عنده من علم وتخرج طلبه مستقلين في الفكر .

ومنها أنه يدور حول قطب، هو أمر كل ارتقاء ومدنية وحضارة وعز وسعادة، وهو الاستقلال الفكري المناقض للتقليد الذي يمت القرائح والفهوم - ومنها أنه يجلي لك كفايات التعلم والتربية في مختلف الأقطار والملوك المتحضرة الراقية. ويكثر من التمثيل والموازنات التي تجعل مسائل العلم كالبدهي عند القارئ، وكأنه يشاهدها في معاهد العلم والتعليم : فهو الحق يقال كتاب عديم النظير. لم ينسج على منواله ناسج، ولم يأت بمنزلة مرب ولا مؤلف - وقد وفق الله جل شأنه الأستاذ أحمد بك العمروسي فيه توفيقاً يبشرنا بحسن المستقبل لامتنا المصرية بل للشرق كله . وإذا دبت الحياة في مصر وهي قلب الشرق كله حيا باذن الله .

ولقد امتاز كتاب العمروسي بك أيضاً بإيراد كثير من الآيات والأحاديث الخاتمة على استقلال الفكر ومدحه وذم التقليد وأهله .

ولا عجب أن يعنى العمروسي بك بهذا النوع من التربية، وهو يعلم أن التقليد عمى . وأنه مضاد للعلم الحق وحائل بين العقل وعمله الذي خلق له، وأنه الذي ظالم الحال بين الناس وسعادتهم الدنيوية والأخروية. وأنه الذي قال الله في أهله : « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ». « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على أمرهم مهتدون » .

وفد أجمع علماء الإسلام المستقنون على أن المقلد جاهل لا يجوز له أن يتولى القضاء ولا الإفتاء. لأن ذلك يحتاج إلى علم متجدد بتجدد الحوادث والأقضية، واستنباط حكم ينطبق على كل حادثة من كل جهة من جهاتها. ولزمان والمكان ظروف في الحوادث لا يصح حكم إلا بما فيها. لذلك كان القرآن العزيز والسنة المحمدية صالحين لكل زمان ومكان. فاداً لم يستقل فسر الأفراد لم تستقل أممها. وكتاب العمروسي بك من أحسن الكتب التي يجب على كل معلم أو متعلم أن يقرأ مراراً وتكراراً ليستفيد منه ملكة الاستقلال وكيفية إتقاد غرق التقليد من بحار تقليده وإحياء أموات أفكاره أو بعثها من قبور أنماخهم.

وما كتب التربية الأخرى فهي مقصورة على نظريات وفلسفة الأخلاق وطوار النفوس وفصول كيفية تعليم بعض الفنون، لكنها خلت من الروح الحى، وهو التعليم الاستقلالى وتدريب الطالبة عليه على الوصف الذى جلاه العمروسي بك فى كتابه أكثر الله من أمثاله وكتبه.

أبو السمع

المسوى من أحاديث الموطأ

للإمام ولي الله الدهلوى

تفع الكتب وأجدها بالذبوع هى هذه الكتب التى تسمى بالناحية الدينية على وجه كامل، وليس أحق بالدراسة من أحاديث الرسول العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فإنها فى تفصيلها وجمالها دستور رائع للشرعين وذوى الأفهام جميعاً.

ولقد كان «الدهلوى» أحد القلائل الذين عوا بإخراج جبهة كبيرة من الأحاديث النبوية إخراجاً كله تحقيق طيب لجلال الأحاديث. فإنه غنى باستخراج الشوائب منها وإزاحتها بعيداً. وإن أوفر دليل على قيمتها الممتازة أنها طبعت فى الهند مرتين، وأنها ما تزال مرجعاً طيباً من المراجع الإسلامية الدقيقة. ولقد توفر على إخراجها فى ثوب فنيب - العالمان الفاضلان الحجازيان الزميل الفاضل الأستاذ السيد محمد صاحب نصيف، والسيد عبد الوهاب الدهلوى، فنشكر لهما هذه الهدية القيمة مقدرين جهودهما فى إخراجها إخراجاً موفقاً سديداً. راجين للميلة المحترمة «صوت الحجاز» التى طبعت فى مطبعتها بمكة المكرمة وقدمته هدية - كل تقدم وفلاح.

الهداية

فى العراق الشقيق نهضة إسلامية واسعة النطاق! وفى أهله دهب ومنابرة على استعادة مجد الإسلام والإشادة بكل ما اكتشفه من حداثات لها أثرها البليغ. وإن فى مولد النبى العظيم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأعمق حادث يهتز له المسلمون إجلالاً وإكباراً. ولقد غنيت جماعة الهداية للإسلامية فى بغداد بأصدار عدد ممتاز من مجلة «الهداية» قصرت

بحوثه الكثيرة المنشعبة على الحفاوة بهذه الذكرى الخالدة ، مستكبة في ذلك أفلاماً عرفت بالدراية والقوة . لأنها عصارة أذهان كلها يقين وإيمان . فنحمد إلى الجمعية جليل عملها . وبالغ جهادها الاسلامي النبيل .

كتاب : « الفلسفة في كل العصور » و « فلاسفة الأدهار »

تأليف الأستاذ حنا حياز

المراد بالفلسفة : العلم العام بحقائق الأشياء ، والتدرج من معرفة الكون إلى معرفة ما هيته ، لذلك لا تكون مغالين إذا أهبطنا بكل إنسان ، يريد أن تكون ثقافته ثقافة علمية منظمة ، أن يدرس الفلسفة في متصل بشأنه من فروعها . إن لم يكن فيها جميعاً . وحسب الفلسفة غرضاً . أن تتيح للإنسان لبحث الحر ، وتهيء له التفكير المنظم والدقة المفورة .

نقول هذا لمناسبة الكتابين اللذين نحن بصددهما الآن ، ونعني بهما كتبي « الفلسفة في كل العصور » أو « مدحس الآراء الفلسفية » . وكتاب « فلاسفة الأدهار » اللذين ألفهم الصديق الفاضل الأستاذ حنا حياز ، والذي نعرف فيه دقة البحث ، وسعة الاطلاع . والذكاء المتسوقد . والجلد في مقارنة الدراسات العميقة ، ويزيدنا ثباتاً كيداً في عقيدتنا تلك هذان الكتابان اللذان جمعهما ملخصين من أقدم الكتب وأشهرها في تاريخ الفاسفة ، ومن المؤلفات الحديثة مثل : مارفن وروجرس ونلي وغيرهم من أقطاب العالم الغربي في هذه الموضوعات . وكانت طريقته التي اتبعها في ذلك دالة على الأمانة في النقل ، والدقة في الترجمة ، والبراعة في التلخيص . والتدقيق في الاختار . فهو قد احتار من كل مؤلف من المؤلفات السابقة خلاصة وافية للفكر الفلسفية وتراجع أصحابها الدائعين .

على أن تقديرنا لعمله هذا لا يمنعنا من محالته لما له فيما ذهب إليه في كتابه الثاني « فلاسفة الأدهار » من غمط لحقوق الفلاسوفين العظمين : ابن سينا وابن رشد ، غمطاً سحله في تمهيد الكتاب بقوله . احترت عشرة مكرين في زعماء الفلسفة في كل الأدهار . ولست أتحمل مسؤولية وضع « ابن سينا » و « ابن رشد » بينهم على أني لا أدعي أنهما مساويان الأقطاب الثمانية الآخرين .

فن إذاً من زعماء انفسفة الاسلامية غير هذين يستطيع الأستاذ أن يساوى بهما الأقطاب الثمانية ؟ أفلا يوجد واحد من زعماء الإسلام يساوى حتى فلاسفة النهضة الأوروبية الحديثة وهم تلاميذ ابن رشد وابن سينا ؟

لو أن المجال يسمح بالإفاضة في هذا الموضوع لما تأخرنا ولكن عذرنا واضح ، وثبوت حق الفلسفة الإسلامية وفلاسفة الإسلام ، واضح لا يحتاج إلى إفاضة أو تدليل . وحسبنا هذا الآن .

أسرار الكف

ترجمة الأستاذ بيومي زكي

علم دراسة الكف من علوم الأسرار - أو العلوم المستيرية على حد التعبير اليوناني القديم MYSTERIA - التي لم نزل حفظها من الاستقرار بعد ، شأنها في ذلك شأن بقية تلك العلوم التي تحتفظ دائماً بصيغة سرية ، وتتصل بالغيبيات غير القابلة للتفسير بالكلمات ، فتعتمد على الرموز والأشكال والخطوط ووسائل أخرى ليس هذا مجال ذكرها .

لذلك كان من العسير دائماً الحكم على قضايا هذا العلم ومقرراته التي لما تستند على حقائق علمية ثابتة يقبلها العقل ، ويقرها المنهج العلمي الحديث . بل لا نبالغ إذا قلنا . إن مقدار الشك في صحة هذا العلم . أكثر جداً من مقدار التسليم بصحته والايان بمقولاته .

وما يزال العلماء جادين منذ قدم المصور ، بل من عهدنا ، هيكل أبولون في دلفي . بل منذ ٥٤ قرناً . أو من عام ٣٤٦٨ ق . م على التحديد وهو العام الذي وضع فيه « فوهي » الفيلسوف الصيني أول كتب في علوم الأسرار . (وهذا نتيجة بحثنا الخاص . نقول ماير العلماء جادس في تحقيق مسائل هذا العلم تحقيقاً أدنى إلى الرياضيات المطلقية منه إلى المقررات الغيبية .

والذين يتتبعون المراحل التي قطعها علماء الغرب في هذا الشأن يرون عجباً ويردادون غرابة ، حين يعلمون أن لهؤلاء العلماء في كل يوم بحثاً جديداً وكتاباً جديداً في حين أن من ذلك كله في عماء ، أو - على الأصح - في غيابات من الخرافات ، وأودية من الخربلات .

فهمناك في الغرب يتضافر علماء الفسيولوجيا والبيسيكولوجيا مع أرباب هذا الفن ، في تحقيق مسائله ، وشرح غوامضه ، في حين أننا هنا نعتمد على ما يشبه « تجربات الديري » . و « شمس المعارف » ، و « أبي معشر الفيلسفي » وغيرهم .

لذلك لا نرى بأساً من توجيه المشتغلين بهذا الفن إلى دراسة هذا الكتاب الجديد الذي ألهمه العالم « تشيرو » ، وترجمه الأديب الفاضل والباحث المدقق الأستاذ بيومي زكي مدير مكتب وكيل وزارة الداخلية .

فإن الكتاب جمع إلى ما مؤلفه من صيت عالمي ، وشهرة علمية بعيدة ، ترجمة دقيقة عنى بها الأستاذ المترجم عناية فائقة ، تجلّى أثرها في اختيار الألفاظ ، وانتقاء الكلمات ، والتدقيق في المعاني ، واستقراء المدلولات استقراء أقرب ما يكون إلى الصحة ، إن لم تكن الصحة كلها . وعذر المترجم في ذلك واضح ، فهو يعتمد على الاستنباط والتحليل ، ودقة الفهم ، وذكاء الخاطر .

فاذا كنا ننهي الأستاذ المترجم على ما بذل من مجهود موفق ، فإننا ننهي - في الوقت نفسه -

المشتغلين بهذا العلم ، وفي أولهم المؤلف ذاته ، على ما قدم لهم هذا العالم الشاب من خدمة خالصة لله والعلم .

وحسبنا أخيراً أن نقرر في صدق ، أن هذا الكتاب هو الأول من نوعه ، فيما قرأناه من كتب حتى الآن ، فلمل المترجم الفاضل يرى من الجمهور ما يكافئ جهوده المصنفية ، وبلقى من العلماء ما يستحق من تقدير ، فينشط في ترجمة كتاب « علم قراء اليد » وغيره من الكتب التي وعدنا بها ، والتي ننتظرها شغوفين .

أما طبع الكتاب وورقه فبالغ حد الجودة ، بالنسبة إلى غيره من الكتب ، وأما صفحاته فمعددها ٢٨٨ ، فأما ثمنه ف عشرة قروش ، وهو يطلب من المترجم الفاضل بعنوانه ، أو من مجلة « الصباح » الغراء .

دراسة القانون

تأليف الأستاذين : مصطفى رضا ومحمود أحمد الحفنى

يتجمل المعهد الموسيقي الملكي إلى السكال بخطوات واسعة جداً . ولكنها - مع كل هذه السرعة والسمعة - لم تفقد توازنها . ولم تحدد عن الوقار . وقد ككل هذا الحزم الذي أبدته رئاسة هذا المعهد الجليل بالمطف الملكي . فجاء هذا الرضا المالى برهاناً واضحاً وآية كبرى على أن الله لا يضيع أجر العاملين .

فقدما هذه الكلمة القصيرة لمناسبة هذا الكتاب الأول في نوعه ، والذي صدر عن ذلك المعهد بعنوان « دراسة القانون » من تأليف الأستاذين الكبيرين مصطفى بك رضا رئيس المعهد والدكتور محمود أحمد الحفنى . وقد نهج المؤلفان الفاضلان في مؤلفهما منهجاً لم يسبق له مثيل في لغتنا العربية . فأصدرا كتابهما في معرض على عملي معاً . حتى ليكاد الكتاب من حسن استعراضه يعلمك صناعة العود . دون حاجة إلى معلم ، فهو في الجزء العملي موضح بالصور ، كما هو في الجزء العلنى غاية في الأسلوب .

وقد مهد المؤلفان لبحثهم ببذرة في تاريخ هذه الآلة الموسيقية العظيمة (القانون) ، فندا بها رأى المشهور القائل بأنها من اختراع الفارابى الفيلسوف الشهير . وقد كان بودنا أن يسهبنا قليلا في هذه النقطة التاريخية ، لئيبينا لنا : من من العرب إذن هو الذى صنع ما صنعه في شكل هذه الآلة غير الفارابى ؟ أما إهم ينشرون الشك حول هذه المسألة التاريخية ثم يتركونها بدون تحقيق فليس في نفارنا إلا من باب عيوب القادرين الذين عناهم المتنبي بقوله :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كمنقص القادرين على التمام

والكتاب كما قلنا آلفاً هو الأول من نوعه ، فهو فائمه إنشاء مكتبة موسيقية لنعقد أن الثقافة العربية في أشد أنواع الافتقار إليها الآن .

الرسالة الثانية من الخط الكوفي

بقلم الأستاذ يوسف أحمد

لصديقنا العلامة يوسف أحمد شهرة ذائعة في الآثار العربية ، لا نظن أن إنساناً عظيماً - مصرياً أو أجنبياً - زار الآثار العربية إلا وعنده عن الأستاذ يوسف فكرة حسنة ورأى جميل . والحق أن الأستاذ يوسف خدم الآثار العربية أعظم خدمة ، وعنى بها أكبر عناية ، حتى إنه في العلم بها ليعمد حجة في هذا العصر بلا نزاع ، وما يزيد القراء في ذلك تأكيذاً ، فقد شرحناه في العدد الأسبق عند كلامنا عن الرسالة الأولى .

ويظهر أنه لتلك العناية العظيمة بهذا الفرع من فروع الثقافة التاريخية ، قد تمكن من دراسة الخط الكوفي . فهو من حين لآخر يتحف العلماء والمطالع بمجموعات خطية جميلة من هذا الرمم الكوفي الجميل .

وبين أيدينا الآن هذه المجموعة الثمينة ، ففيها بحث طيب عن تحسين ذلك الخط وإدخال الشكل والإعجاز ، ولا يسمنا التنويه بها أكثر من أن نقول إنها كتبت بقلم يوسف أحمد ، وهو من يعرفه قراء « المعرفة » جميعاً بمقالاته الممتعة في علم الآثار ، وما إليه من خطوط ورسوم .

كواكب في فلك

بقلم الأستاذ توفيق وهبه

مجموعة شعر وأدب وسياسة بقلم الأستاذ توفيق وهبه ، وهو أديب عربي يقيم في باريس ليراسل جريدتي : « المقطم » و « البصير » ، والذين يقرأون هاتين الصحيفتين يعرفون ما لقلم الأستاذ توفيق من توفيق بين الديباجة العربية الناصعة الرصينة والمعاني الاجتماعية المستحدثة في هذا الزمن .

فحين تقرأ أسلوب الأستاذ يخيل إليك أنك تقرأ ديباجة أديب قضى عمره كله في كتب العرب ، وحين تنظر في معانيه لا يسمعك إلا أن تظن أنك تقرأ أفكار كاتب أوروبي حديث . وإذا كان هذا التجديد يحمد لصاحبه ، فإن المحافظة على الرصانة العربية لتحمد أكثر . ففتح نهى . الأستاذ توفيق بروحه القومية التي لم تستطع باريس أن تفسيه إياها ، كما نهى زميلينا المحترمين : « المقطم » و « البصير » على حسن اختيارهما للأستاذ توفيق .

وكم كنا نود لو أتيت لنافرصة تحليل ما في هذا الكتاب من أغراض ومواضيع لولا ضيق المقام .

- ٥٣٤ كلمة صريحة إلى حضرات القراء
٥٣٦ آ في بيزانت ومذهب الثيوصوفية الحديثة
٥٤٠ تعريف أدباء مصر إلى الأفطار الشرقية
٥٤٥ أرنت هيك
٥٤٧ رجل الغد
٥٥٥ على طريق يبروت (قصيدة قصصية)
٥٥٧ الشباب والعروبة في القاهرة
٥٦١ شوقي وحافظ (قصيدة)
٥٦٤ الاسلام والعلوم الجغرافية
٥٧١ الحفريات في العراق
٥٧٤ في حانة خمار (قصيدة)
٥٧٦ حياتي (قصيدة)
٥٧٧ حكاية أبي القاسم البغدادى
٥٨٧ وجوه الاعجاز
٥٩٢ الرجوع إلى ميتوزيلا
٦٠٠ أحلام الشباب (قصيدة)
٦٠١ ابن سينا وفلسفته
٦٠٩ هل رمت غيرة زوجة ؟ (قصيدة)
٦١١ الأدب العربى كأدب عالمي
٦١٦ قصة الأنف
٦٢٥ التلقيع عند الحيوان
٦٣٠ الجرم (قصة رمزية)
٦٣٣ إسماعيل صبرى باشا
- بقلم المحرر
للأستاذ محمد الهراوى
للأستاذ إسعاف المشاشي بك
للأستاذة زينب الحكيم
للأستاذ أحمد الصافي النجفي
بقلم المحرر
للصيدة ف . ع
للأستاذ أحمد زكى وليدى بك
للأستاذ محمد يحيى الهاشمي
لحسين شفيق ورزقى نظيم
للأستاذ عبد اللطيف ثابت
للدكتور زكى مبارك
للأستاذ السباعي بيومى
لبرناردشو
للأستاذ على الجارم
للأستاذ محمد ثابت الفندي
للصيدة منيرة توفيق
للأستاذ محمد على إمام
لنيقولا جوجول
للأستاذ محمد محمد السيد
للأستاذ رشدى ميخائيل السيسى
للأستاذ المبارك ابراهيم

أبواب المعرفة

٦٤٥ العلوم والفنون

٦٤٣ مملكة المرأة والبيت

٦٤٩ مكتبة المعرفة

اعتذار

لم نستطع الكتابة عن المؤلفات التي وصلتنا أخيراً ، فقد تراكم لدينا منها عدد كبير ، بين كتب ودواوين ومجلات حديثة ، فنعتذر لحضرات أصحابها ، وأعديين بأفراد صفحات أكثر عدداً في الجزء الآتي . معتردين في الوقت نفسه من عدم توفية أبواب المجلة لضيق المجال . هذا وسيكون العدد القادم باكورة موفقة فيما نعتزمه من تجديد وتنويع

فانتظروه في أول يونيو

الاعشاب

الديوان الجديد الذي أصدره في هذا العام

الشاعر محمود أبو الوفا

يطلب من المكتبات الشهيرة

ومن إدارة هذه المجلة - الثمن ٥٠ مليماً

مجموعات المعرفة

ترسل الإدارة - إلى من يطلب - مجموعة السنة الأولى بثمن قدره ٥٠ قرشاً مصرياً لمصر والسودان ، و ٧٥ قرشاً للخارج . أما السنة الثانية فثمنها ٦٠ و ٩٠ قرشاً . ولاحق للطالب في الهدايا مطلقاً ، إذ هي وقف على المشتركين . كذلك ترسل الإدارة الأعداد الناقصة إلى راعبيها نظير ٤ قروش للمعدد الواحد ، عد العددين الأول والحادي عشر من السنة الأولى فثمن كل منهما ١٠ قروش مصرية .

ويجب أن ترسل القيمة مقدماً ، أذونات أو طوابع بريد ، أو حوالة على أحد المصارف المالية الموجودة لها فرع بالقاهرة . ولا تدخل في هذا مصاريف التجليد .

هذا والإدارة ترسل المجلة لمدة ثلاثة أشهر هدية إلى كل من يرسل إليها نسخة من الممدد الحادي عشر لسنة الأولى

عنوان المجلة (شارع الهدارة رقم ١)

المعرفة

مجلة - شهرية - جامعة

تصدر ١٢ مرة في السنة

وتهدى مشتركيها كتاباً أو أكثر في كل سنة

صاحبها وناشرها ومحررها المسؤول

عبد العزيز البستاني

في مصر والسودان جنه مصرى

في خارج القطر ١٢٥ قرشاً

أو ٢٥ شلناً إنجليزياً

أو ١٢٥ فرنك فرنساوى

الاشتراك السنوى

يخضع للمدبة والمدرسين ٢٥ ٪

اشتراك عن ستة برونه الزهرايا ٥٠ قرشاً في مصر فقط

وكل طلب اشتراك غير مصحوب بالقيمة لا يلتفت إليه

الاعلانات

مركز الادارة

المكتبات

تخاير بشأنها الادارة

بمبنى شارع الادارة وعبد العزيز

تكون باسم الادارة

وقم بالفاخرة

AL-MAAREFA

An Arabic Monthly Review

1, El .haddarah, S. Abd -el-Āziz Street,
CAIRO